

شرح بشارة يوحنا

تأليف

الدكتور القس إبراهيم سعيد



دار الفكر

طبعة رابعة

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر
أو طبع بالرويو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر
وحده حق إعادة الطبع) ١٠ / ١٠٨ ط ٤ (أ) / ٣ - ٩ / ٦٤ - ٧٨ - ٨٨
رقم الايداع بدار الكتب : ٥٧٣٣ / ١٩٨٨
رقم الايداع الدولى : ٨ - ٠٩١ / ١٦٦٠ - ٩٧٧
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة - شبرا - القاهرة

مقدمة عامة

بشارة يوحنا هي فريدة القرائد . فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع ، وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة
أهذه البشارة مقالة تاريخية؟ أم هي بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي؟
أم هي حجة لاهوتية جمعت بين ثناياها دقائق التاريخ وجمال الفلسفة؟ أم هي كل هذه مجتمعة معاً؟

بشارة يوحنا هي بشارة الخاصة . لكنها في نفس الوقت ، بشارة العالم أجمع .
فمع ان كاتبها يهودي مشبع بالآراء اليهودية ، ومع أنه مسيحي مثم بكل ما جاءت به البشائر الثلاث السابقة لبشارته ، ومع انه مرتبط بمحدود الزمن الذي نشأ فيه ، ومتأثر بعوامل البيئة اليونانية التي كانت محيطة به ، إلا أن كتابه ليس قاصراً على اليهود ، ولا هو كتاب جيل خاص ، لكنه كتاب الاجيال ، لان وراء يد يوحنا ، عاملاً قوياً خفياً ، هو روح الله العارف قلوب البشر أجمعين في الاصحاحات الثلاثة الأولى ، نرى المسيح « كلمة الله الازلي » ، محاطاً ببيئة يهودية ، واذ نبلغ الاصحاح الرابع ، نرى القادي وقد تخطى حدود البيئة اليهودية الضيقة ، حتى اتصل بالسامريين فوجدوا فيه مخلصهم المنتظر إذ قالوا « هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم »

ان كل قارئ ودارس لهذه البشارة ، مهما كانت لغته وجنسيته ، تقابله على صفحاتها كلمات جامعة تقوم أمامه واثبة لتحجيه بلغته الخاصة ، لانها كلمات عامة تلبس جميع البشر على توالي الأيام — المحبة ، الحياة ، النور ، الحق ، الخبز ، الماء — كل هذا يؤكد لنا ان البشارة هي كتاب العالم أجمع

قالها له يسوع فذهب « واذ نتقدم في القصة نجد ايمان الرجل وقد ارتقى درجة أعلى: «ففهم الأب في تلك الساعة . . . فأمن هو وبيته» ٥٣:٤
(ج) ايمان الرجل المولود اعمى :

في ١١:٩ قال عن المسيح انه «يسوع». هذه درجة ابتدائية في سلم الايمان
وفي ١٧:٩ قال عنه انه «نبي» — هذه درجة مناسبة في سلم الايمان
وفي ٣٣:٩ قال عنه انه «من الله». هذه درجة راقية » »
وفي ٣٨:٩ آمن انه «ابن الله». هذه درجة أرقى » »
(د) ايمان أهل السامرة :

في ٣٩:٤ نجد القول « فأمن به كثيرون بسبب كلام المرأة — » هذه
درجة ابتدائية

وفي ٤٢:٤ نجد القول «فقالوا للمرأة اننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن
لأننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة مخلص العالم». هذه درجة راقية
ولنلق نظرة أخرى الى الدرجات التي هبط اليها عدم الايمان :
(أ) عدم ايمان يهوذا :

في ٦:٦ نرى لمحة خفيفة عن خُلُقهِ «مَنْ هو الذي يسلمه»
وفي ٢:١٣ نجد القول «التي الشيطان في قلب يهوذا — ان يسلمه»
وفي ٢٧:١٣ نجد القول «دخله الشيطان». في الخطوة السابقة التي
الشيطان افكاره في قلب يهوذا. وفي الخطوة النهائية دخل هو بكَليَّتِهِ في قلبه
(ب) عدم ايمان الامة اليهودية :

في ١١:١ نقرأ القول «وخاصته لم تقبله»

وغرض يوحنا من تأليف بشارته، اثبات كون يسوع الناصري هو المسيح ابن الله . دحضاً للبدع التي كان حينئذٍ قد أخذ يدب فسادها في الكنيسة ، كبدع الدوكينيين ، والاغنستيين ، والكيرتتين والايونيّين وتلاميذ يوحنا المعمدان . وكان الدوكينيون والاغنستيون يقولون ان جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً . والكيرتتيون يجحدون لاهوته . والايونيّون يقولون انه لم يكن له وجود قبل مريم أمه . وتلاميذ يوحنا كانوا يفضلون معلمهم عليه . فلما رأى اساقفة اسيا هذه الأضاليل تفشو في كنيسة الله استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف انجيله ، فكتبه وانبا فيه بميلاد المسيح الازلي ، وصرح بفضله على يوحنا المعمدان ، وذكر ما دعت الحال الى ذكره في تنفيذ تلك البدع ، واثبات لاهوت المسيح كما قال في ٣١:٢٠ « وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه »

عن الآب علانية . ٢٦ في ذلك اليوم تطلبون باسمي . ولست اقول لكم اني انا اسأل الآب من اجلكم . ٢٧ لان الآب نفسه يحبكم لانكم قد احببتموني

يتمثلون فيها من الروح القدس يوم الخميس ، فحينئذ لا يكلمهم بالغاز غير مفهومة ، بل يخبرهم عن الآب علانية ، لان الروح القدس سيعلّمهم كل شيء بوضوح ، وجلاء ، وعلانية

عدد ٢٦ و ٢٧ . سرّة محبة الآب للتلاميذ ، وماهيتها : « في ذلك اليوم » — اي في يوم الخميس — « تطلبون باسمي » . هذا وصف لما يجب ان تكون عليه الكنيسة في سهرها ، واستعدادها ، وصلاتها . « ولست اقول اني انا اسأل الآب من اجلكم لان الآب نفسه يحبكم » . اراد المسيح بهذه الكلمات ان يطبع على قلوب التلاميذ ، صورة واضحة ، جلية ، لشدة محبة الآب لهم فأفهمهم ان الآب يحبهم من تلقاء نفسه ، محبة قوية اختيارية . لا يحتاج معها الى استعطاف من جانب المسيح لاجلهم . ولم يقصد القادي بهذا الكلام ان ينفي شفاعته . كلا . فان خلاصة الانجيل كله ، هي ان المسيح شفيعنا الأوحد (عب ٢٥: ٧) ، ولا يُعقل ان المسيح ينقض ما سبق فقرره في هذا الخطاب الوداعي (١٦: ١٤) . وانما اراد ان يحذر التلاميذ من ان ينظروا الى شفاعته كأنها وسيلة لاستعطاف الآب نحوهم ، لان الآب يحبهم من تلقاء نفسه ، ومن فرط محبته لهم ، دبر لهم الفداء بما فيه شفاعته المسيح

ماهية محبة الآب لهم : « لانكم قد احببتموني وآمنتم اني من عند الله

وآمنتم اني من عند الله خرجت . ٢٨ خرجت من عند الآب وقد

خرجت . هذه محبة الآب الخاصة نحو المؤمنين الذين دخلوا عائلته المقدسة بحق اتسابهم الى ابنه الوحيد — اذ اهبوه ، وآمنوا به . فبمحبتهم له ، صاروا أهلاً لان يكونوا موضوع محبة الآب (١٤: ٢١ و ٢٣) . وبايمانهم به ، أعطوا سلطاناً ان يصيروا أولاد الله (١: ١٢) . ان الله يعتبر اصدقاء ابنه ، اصدقاءه ، ويميل الى اجابة سؤلهم . وعلة ذلك — المسيح . لانه فيه اختارنا ، وفيه احبنا ، وفيه دعانا ، وفيه بررنا ، وفيه يقلسنا ، وفيه يمجدا

«لانكم قد احببتموني وآمنتم اني من عند الله خرجت» . يقول جودي: ما دام التلاميذ ثابتين في المركز الجليل الذي أهلتهم له محبة المسيح ، فليسوا في حاجة الى شفاعاة المسيح . ولكن ان سقطوا عن هذا المقام ، واخطأوا ، عندئذ تلزمهم الشفاعاة: «ان اخطأنا فلنا شفيع» (١ يو ٢: ١)

«احببتموني وآمنتم» — من السهل على المرء ان يثق في من يحب . لان الثقة تاج المحبة ، وعدم الثقة وليد عدم المحبة

عدد ٢٨ . مزمومة مجيدة : «من عند الآب ... الى الآب» . هذه خلاصة مركزة لتاريخ رسالة المسيح ، في اربع كلمات :

نبع رسالته : «خرجت من عند الآب» . مرهبط رسالته : «أتيت الى العالم»

انجاز رسالته : «وأيضاً اترك العالم» . منتهى رسالته : «واذهب الى الآب»

ويجوز ان نحلل هذه الآية الخالدة تحليلاً آخر :

ازلية الكلمة : «خرجت من عند الآب» . تجسر الكلمة : «أتيت الى العالم»

أتيت الى العالم وايضاً اترك العالم واذهب الى الآب . ٢٩ قال له
تلاميذه هوذا الآن تتكلم علانية

انمام رسالة الكلمة: «اترك العالم». أبدية الكلمة: «واذهب الى الآب»
ومن الممكن ان ننظر الى هذه الآية كأنها ترجمة مختصرة لحياة المسيح:
من المجد: «خرجت من عند الآب»، الى المذود «وأُتيت الى العالم»
الى جبل الزيتون: «وايضاً ترك العالم»، الى المجد: «واذهب الى الآب»
عدد ٢٩-٣٢. اقرار مفرح ومخبر مؤلم: «قال له تلاميذه.. أجابهم يسوع»
عدد ٢٩ و ٣٠. (أ) اقرار مفرح: «قال له تلاميذه..». سمع التلاميذ
من المسيح، تصريحه الجليل عن خلاصة ترجمة حياته: «من عند الآب...
الى الآب»، فوجدوا انفسهم مغمورين بنور باهر، ما كانوا يتوقعونه. وشعروا
كأنّ تصريح المسيح في عدد ٢٨، قد سبق وعده المتضمن في عدد ٢٥،
فسبقه وغطاه. فأمام هذا التصريح النير، فاضت قلوبهم باقرار، جاهدوا
فيه ب: — أ — اذراكرهم معنى كلامه بوضوح (عدد ٢٩). — ب — تحقّقهم
من علمه الكلي (عدد ٣٠ أ). — ج — ايمانهم به (عدد ٣٠ ب)

عدد ٢٩. — أ — مجاهرة التلاميذ باذراكرهم كلام المسيح بوضوح:
«قال له تلاميذه، هوذا الآن تتكلم علانية». كلمة: «هوذا»، كثيرة الورد
في بشارة يوحنا. فقد وردت فيها وحدها اكثر مما في سائر اسفار العهد الجديد معاً
(انظر ٣: ٢٦ و ٥: ١٤ و ١١: ٣٦ و ١٢: ١٩ و ٩: ٤ و ١٤: ١). وكلمة: «علانية» تدلّ
على انهم شعروا كأنهم في نور نهار العلم الكامل، الذي وعدهم به المخلص

ولست تقول مثلاً واحداً. ٣٠ الآن نعلم انك عالم بكل شيء
ولست تحتاج ان يسألك احد. لهذا تؤمن انك من

في عدد ٢٥، فصاروا لا يحتاجون معه الى مزيد من النور. على ان «العلائية» كما
قصدتها المسيح، خاصة باعلاناته عن الآب (عدد ٢٥)، و «العلائية» كما
قصدتها التلاميذ، تصف كلام المسيح عن رسالته هو (عدد ٢٨). وهي في كلا
الحالين تعني الوضوح من غير ألغاز، والجلاء من غير خفاء

عدد ٣٠ — ب — اقرار التلاميذ بمقتصرهم من علم المسيح الكلي :
«الآن» — قبل ان تأتي تلك الساعة المذكورة في عدد ٢٥ — «نعلم» — علم
اليقين والتحقق — «انك عالم بكل شيء ولست تحتاج ان يسألك أحد». ان
علم المسيح بنيات قلوبهم، وخواطر افكارهم، قبل ان يصرتحوا له بها، قد
أنطق ألسنتهم بهذا الاعتراف الجميل، الذي يشبه اعتراف ثنائيل حين انباه
المسيح بأنه رآه تحت التينة قبل ان يدعوه فيلبس (١: ٤٨ و ٤٩). واما قولهم:
«ولست تحتاج ان يسألك أحد»، فراجع الى اجابة المسيح على استلهم
قبل ان يسأله اياها (عدد ١٩). عادة لا يستطيع المعلم ان يفهم التلاميذ
درساً، الا متى فهم هو افكارهم، ولا يستطيع ان يفهم افكارهم الا بالاسئلة
التي يلقونها عليه. اما المسيح، معلمنا الاعظم، فقد اقر له التلاميذ بأنه «عالم بكل
شيء وليس محتاجاً ان يسأله أحد». فقد أقرّوا اذاً بأنه عليمٌ بذات الصدور
— ج — اقرار التلاميذ بايمانهم بالمسيح ورسالته: «لهذا تؤمن انك من
الله خرجت». باقرارهم هذا، ردّدوا صدى صوت المسيح في عدد ٢٨: «خرجت

الله خرجت. ٣١ اجابهم يسوع الآن تؤمنون. ٣٢ هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تفرقون فيها كل واحد الى خاصته

من عند الآب. ان هذا الاقرار - نظير اقرار ثنائيل - يتناول امرين : أولهما ، سمو اصل المسيح . وثانيهما : مصدر رسالته

عدد ٣١ و ٣٢ (٢) تحذير مؤلم : «الآن تؤمنون؟ هوذا تأتي ساعة..» في هذه الكلمات يمتزج الاستفهام بالتعجب !؟ وهي ترينا - أ - انه المسيح أقر التلاميذ على ايمانهم لهذا ، ورجب به (١٧ : ٨) . ب - انه نبههم الى عدم نضوج هذا الايمان . وحذرهم من علم ثباتهم امام العاصفة : «هوذا تأتي ساعة» - ساعة القبض عليه ، وتسليمه الى أيدي اعدائه ، ومحاكمته ، وصلبه - «وقد أتت الآن» . بما ان اول حلقة من هذه السلسلة المحزنة قد وقعت ، بخروج يهوذا من صفوفهم ، واتفاقه مع الاعداء ، فقد انفرطت معها سائر حلقات السلسلة ، واعتبرت كلها في حكم الانحلال والوقوع . لذلك قال المسيح : «وقد أتت الآن» . فضلاً عن ذلك فان كلمة : «الآن» لا تعني مجرد وقت في سجل الزمن ، لكنها تعين نقطة فاصلة في تدبير القداء (٥ : ١٢ و ١٣ : ٧ و ٣٣ ورؤيا ١٢ : ١٠) . ومن المحزن ، ان يكون التلاميذ في هذه «الساعة» الفاصلة ، غير خليقين بهذا الايمان الذي جاهدوا به ، بل يرجعون القهقري ، وينزلون عن هذا المستوى الراقى الذي رفعهم اليه حديث المسيح الوداعي . «تفرقون فيها» - كما تفرق الرعية بعد ان يضرب الراعي (انظر ١٠ : ١٢ و زكريا ١١ : ١٦ و ١٣ : ٧) - «كل واحد الى خاصته» . كلمة :

وتتركوني وحدي . وانا لست وحدي لان الآب معي . ٣٣ قد
كلتكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق .

« خاصته » قد تعني — بيته (٢٧: ١٩) ، أو مرثته (متى ٢٦: ٥٦)

— ج — المسيح ينبئهم بوحدة المأثومة : « وتتركوني وحدي . وانا
لست وحدي لأن الآب معي » . ما شبه هذا النبأ باليوم الطبيعي !
شطره الاول حالك كالليل : « وتتركوني وحدي » . وشطره الثاني مضيء
كالنهار : « وانا لست وحدي لان الآب معي »

الوحدة نوعان : وحدة محلية مؤقتة — كوحدة السجين في سجنه
الانفرادي . ووحدة معنوية نفسية ، هي تلك التي يقاسيها المصلح حين يكون
محاطاً بجمهور من قومه وذويه ، الذين لا يشاطرونه افكاره ، وآماله ،
وآلامه . هذا النوع الثاني من الوحدة هو الذي قاساه المسيح . فقد كان
وحيداً في آماله ، وآلامه ، وافكاره ، وشخصيته ، وصفاته ، وتضحيته . حتى اثناء
وجود التلاميذ معه ، كان وحيداً . فكيف به بعد تفرقهم عنه ؟ غير ان وحدته
التي قاساها بالنسبة للغير ، كانت في الوقت نفسه وحدة مأثومة : « وانا لست
وحدي ، لان الآب معي » . هذه هي الوحدة التي لا تعرف الوحشة . ان
الانصراف عن الناس هياً له فرصة مناسبة للاختلاء بالآب : « لان الآب
معني » — ليست هذه مجرد معية — وان تكن ملكية — وانما هي وحدانية
الروح ، والالفة ، والمحبة ، والمساواة

عدد ٣٣ . مسك الختام : « لكم في سلام » . « في العالم ... لكم ضيق »

ولكن ثقوا . انا قد غلبت العالم

ولكن ثقوا أنا . . . » . ما اجل هذا الختام الذي فيه رسم المسيح للتلاميذ صورتين متناقضتين وختمهما بنتيجة مازلة . في الصورة الاولى رسم لهم البيئة الرومية الداخلية المحيطة بهم : « في » . وفي الصورة الثانية وصف لهم البيئة الخارجية المحيطة بهم : « في العالم » ، ثم قارن بين هدوء البيئة الاولى : « في » سلام ، وهياج البيئة الثانية : « في العالم ... ضيق » . ومن فرط حب القادي ، أنه لم يتركهم في حيرة من جهة مصير كل من هاتين البيئتين ، بل انبأهم بالصراع العنيف الذي حمي وطيسه بينهما ، فاتهى بانتصار المسيح على العالم

وردت استعارة « الغلبة » ، في كتابات يوحنا مراراً عدة ، ومرتين فقط في كتابات بولس (روم ٨: ٣٧ و ١٢: ٢١) . ولم ترد قط في كتابات غيرها

ان نصره التلميذ ، مستمدة من نصره السيد ، وان حلقة الاتصال بينهما هي الثقة . فلن ينتفع التلميذ بنصرة سيده الا على قدر ما يثق بسيده : « ولكن ثقوا » . وان مجد نصره القادي هو انها تمت فعلاً . فاذا ما حاربنا العالم ، فلندكر اننا نحارب عدواً مهزوماً ، واننا نجاهد جهاداً مضمونة نتيجته

الاصحاح السابع عشر

مطالب الشفيع الاعظم

بعد ان فرغ المسيح من التحدث الى تلاميذه ، انصرف الى حديثه مع الآب . في تحدثه الى تلاميذه ، أحاطهم بحنوه ، وشملهم بنظره ، مخاطباً اياهم بالقول : « يا اولادي ! » (١٣ : ٣٣) . وفي حديثه مع الآب ، رفع عينيه نحو السماء وقال : « ايها الآب » . ما أقرب التشابه الكائن بين الحديثين في براعة الاستهلال ! فقد استهل المسيح حديثه مع تلاميذه بالقول : « الآن تمجد » ، وافتتح كلامه مع الآب بالقول : « قد أتت الساعة . مجد » . فالفاحة في كليهما تشير الى الصليب الذي يكلله المجد

هذا الاصحاح ، كما قال فيه بنغال « يُعتَبر في مقدمة فصول الكتاب من حيث بساطة التعبير وسهولة اللفظ . وفي طبيعتها ، من حيث سمو الفكر » في هذا الفصل ، حُفظت خير صلاة رُفعت بعد خير عظة في التاريخ قدّم المسيح هذه الصلاة على مسمع من التلاميذ ، وعلى مقربة منهم ، في ذلك المكان عينه الذي ألقى فيه القسم الثاني من خطابه الوداعي . وقد أخذنا بالرأي القائل انه القاه في البقعة القريبة من وادي قدرون عند منحدر جبل الزيتون . قدّم المسيح هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ ، ليقيم لهم مثلاً لصلاته على الارض ، وصورة ضئيلة لشفاعته في السماء في هذه الصلاة اجمل المسيح ما قاله في خطابه الوداعي . ووضع ختمه على كل اعماله الماضية ، ملقياً نظره على الماضي ، والحاضر ، والمستقبل

١ تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء

هذه صلاة التكريس التي رفعها الكاهن الاعظم ، وفيها قرَّب ذاته قرباناً على مذبح التكريس في الهيكل السماوي ، قبل ان يقدمها ذبيحة على الصليب في هيكل الجلجثة . وفيها ايضاً رفع صلاة شفاعية ، ضمنها ثمرة مطالب : —

اولاً : طلب المتعلق بشخصه في صلته بالآب — لينتد بحمده (١٧:١ - ٥)

ثانياً : طلب الخاص برسه — لاجل حفظهم وتقديسهم (١٧:٦ - ١٩)

ثالثاً : طلب بشأنه كنيسة — لاجل توحيد صفوفهم (١٧:٢٠ - ٢٦)

هذه المطالب الثمرة مجتمعة كلها حول عبارة واحدة : « مجد الله »

الطلب الاول (١٧:١ - ٥) — يتركز في كلمة واحدة : « مجد » (عدد ١ و ٥) . والطلب الثاني يدور حول كلمتين : « احفظهم » (عدد ١١) و « قدسهم » (عدد ١٧) . والطلب الثالث تجمعته ثمرة عبارات : « ليكون الجميع واحداً » ، « يكونون معي » ، « ليكون فيهم الحب » (عدد ٢١ و ٢٤ و ٢٦)

اولاً : الطلب الاول — متعلق بشخص المسيح في صلته بالآب (١٧:١ - ٥)

تحدثنا هذه الاعداد ، عن ثمرة امور خاصة بهذا الطلب المتعلق بالمسيح :

عدد ١. (أ) موهب هذا الطلب . ينبئنا هذا العدد بـ : (١) الطرف الذي قدم فيه هذا الطلب : « تكلم يسوع بهذا ورفع ... » . بعد ان فرغ المسيح من مخاطبة الارض اتجه الى مخاطبة السماء . (٢) اتجاه هذا الطلب : « رفع عينيه نحو السماء » . هذه الكلمات تعين اتجاه افكار المسيح ، كما انها تعين ايضاً اتجاه الصلاة نفسها : « نحو السماء » . في هذا درس لمن يصلون

وقال ايها الآب

وعيون اذهانهم شاخصة الى الناس ، منتظرين علامة استحسان او كلمة ثناء . هؤلاء ، صلاتهم أقية ، لا عمودية ، فهي « حائمة » حول رؤوس الناس ، وليست « صاعدة » بثبات الى عرش الله . على ان هذه الكلمات ليست قاصرة على تعيين اتجاه افطار المسيح وقت رفعه هذه الصلاة ، لكنها تصف ايضاً اتجاه حياة المسيح بأسرها ، فقد قضى كل حياته على الارض ، وهو على اتصال دائم وثيق بالآب الذي في السماء . (قابل هذا بما جاء في ١١: ٤ و لوقا ١٨: ١٣ و أعمال ٧: ٥٥) . ومع ان الله موجود في كل مكان ، الا ان جلال السماء المنظورة ، هو خير رمز لمجد الله المتلألئ في السماء الغير المنظورة وكذلك رَفَعَ العينين الى السماء ، يحمل رمزاً ضمناً الى تسامي النفس فوق الفيود المادية المحيطة بها . (٣) الشخص الذي قدم هذا الطلب : « يسوع » . هذه صلاة الشفيع الأعظم حال وجوده بالجسد على الارض ، وهي ايضاً دليل على شفاعته في السماء ، حيث حمل معه بشريتنا في جسد مجده . (٤) الشخص الذي اُله رفع هذا الطلب : « وقال ايها الآب » . لما علم المسيح تلاميذه ان يصلوا ، قال لهم : متى صليتم فقولوا « ابانا » ، لانهم اخوة — مع سائر المؤمنين — للآب الواحد . لكنه لما صلى هو ، قال : « ايها الآب » غير حاسب معه شريكاً في هذه النسبة القدسية الفريدة . فهو « الابن الوحيد » بمعنى سامٍ يمتاز عن بنوة المؤمنين للآب . وقد استعمل المسيح في هذه الصلاة ، الكلمة الارامية : « الآب » ، للتعبير عن تلك الصلة الباطنية ، الروحية

قد أتت الساعة . مجد ابنك

السرية ، الغير المدركة ، الكائنة بين الاقنوم الاول ، والاقنوم الثاني في اللاهوت (قابل هذا بما جاء في شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٣١١)

ان الله اب لجميع الجنس البشري ، بوجه عام ، باعتبار كونه خالق الجميع وهو اب للاؤمنين بنوع خاص ، لانه تبناهم لذاته ، وادع في قلوبهم حياة روحية مستمدة من روحه ، وهو فوق كل ذلك ، اب للمسيح بصفة ممتازة ، فريدة ، على اساس ما بين الاقنومين من وحدة في الجوهر ، وتشابه في الصفات ، ومحبة عميقة ، أزلية ، أبدية . فالؤمنون هم ابناء الله بالتبني ، لكن المسيح هو « الابن » طبيعياً وحقاً . وغني عن البيان ، ان هذه الصلة الكائنة بين الاقنومين تختلف اختلافاً بيناً ، عن الصلة الكائنة بين الوالد والمولود الارضيين فالاولى صلة روحية ، سماوية ، والثانية جسدية أرضية (لمزيد الايضاح راجع تفسير ١: ١٨) . ومن الملاحظ ، ان المسيح فاه بهذه الكلمة : « الآب » ، بنعمة الثقة ، التي هي وليدة الدالة البنوية الصادقة . (٥) هو هذا الطلب : « قد أتت الساعة » — يريد « الساعة » التي تبدأ بالصلب ، وتُتوج بالقيامة ، والصعود والمجد . هذه هي « الساعة » التي سبق المسيح فقال عنها في مناسبات سابقة : انها لم تكن « قد أتت بعد » (٧ : ٣٠ و ٨ : ٢١) . « مجد ابنك » — ان تمجيد الابن هو اظهار جلال طبيعته ، وكمالات قوته ، وقوة كمالته ، امام عيون الناس ، بنصرته على الصليب ، وكسره شوكة الموت ، واعادته الى المقام الجليل الذي كان متمتعاً به قبل اتضاعه بالتجسد . كما ان تمجيد الآب هو اظهار اسمه الكريم للناس ، بقدسيته ، وقوته ، وجلاله (عدد ٦)

ليمجدك ابنك ايضاً. ٢ اذ اعطيته سلطاناً على كل جسد

(ب) غاية هذا الطلب (عدد ١ ب) : « ليمجدك ابنك ايضاً » — باعلان اسمك واعلاؤه امام عيون المؤمنين ، والعالم . لم يذكر المسيح كلمة : « الابن » في حالة الاطلاق ، بل في نسبتها الى الآب : « ابنك » . ان تمجيد الابن ، شرط لازم لتمجيد ابيه ، كما ان تمجيد الآب ، نتيجة طبيعية لتمجيد ابنه (انظر ١: ٢) . فالآب يمجّد الابن ، برضاه عنه ، وتأييده له ، وتفضيله اياه ، ليكسر شوكة الموت . والابن يمجّد الآب ، بتعريف الناس به ، وانمام الرسالة التي تسلمها منه ، واطاعته حتى الموت ، موت الصليب

عدد ٢. (ج) الاساس الاول لهذا الطلب — ابراهيم حياة ابدية للمؤمنين « اذ اعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة ابدية لكل من اعطيته ». إن المجد الذي طلبه المسيح ، هو تاج رسالته على الارض ، وهو مكافأتها . وان الحياة التي أُعطي المسيح سلطاناً ليهبها لخاصته ، ليست قاصرة على البقاء ، ولا هي مجرد الشعور بالوجود ، لكنها حياة صادرة من الآب ، عن طريق المسيح الذي هو الطريق . اذ به وحده يستطيع البشر ان يعرفوا الآب . (ايوب ٢٢: ٢١ ومتى ١١: ٢٧)

الكلمة الاولى : « كل » ، في قوله « كل جسد » ، كما وردت في الاصل تعني الكتلة البشرية كافة ، التي وُهب المسيح سلطاناً مطلقاً عليها ، حين أُرسل الى الارض برسالة الخلاص (متى ٢٨: ١٨) . والكلمة الثانية : « كل » في قوله « لكل من اعطيته » ، تعني كل فرد من المؤمنين الذين أُعطوا للمسيح

ليعطي حياة أبدية لكل من اعطيته . ٣ وهذه هي الحياة الابدية ان
يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك

ليكونوا خاصته في عهد الفداء . ف « كل » الاولى ، تعميمية إجمالية ، و « كل »
الثانية تخصيصية تفصيلية . وقد استعمل المسيح كلمة : « جسد » لتعني الانسان
كله في حال الضعف . هذا من قبيل إطلاق الجزء على الكل

ان العبارة الثانية في هذا العدد : « ليعطي حياة أبدية » ، موازية للعبارة
الثانية في العدد الاول « ليمجدك ابنك ايضاً » . فكأن المسيح طلب الصعود
الذي به يتمجد ، ليكون تمهيداً ليوم الخسین الذي فيه سيودع « روح » حياته
في قلوب المؤمنين . وان قوله « كل من اعطيته » يذكرنا باقواله التي مررنا بها
في ٦: ٣٧ و ٤٤ و ٦٥ — « كل ما يعطيني الآب فاليّ يُقبل ... لا يقدر احد ان
يُقبل اليّ ان لم يجتذبه الآب ... لا يقدر احد ان يأتي اليّ ان لم يُعط من أبي »

عدد ٣ . (د) الصلة الثلاثة بين تمجيد الله وابتهاب الحياة للمؤمنين —
ماهية هذه الحياة الابدية : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله
الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته » . فالحياة الابدية تقوم بمعرفة
الآب والمسيح الذي ارسله . ومن المهم ان نلاحظ الوصف الذي وصف به
المسيح الآب ، فهو وصف مثلث : (١) « الاله » — فهو إله ذاتي — هذا اكبر
معول يهدم الاعتقاد بالوهمية الكون . (٢) « الحقيقي » — ضد الوهمي ، والخيالي ،
والنظري — هذا اقوى معول هادم لكل فاسفة طبيعية وهمية . (٣) « وحدك » —
أي المتفرد بالالوهية — هذا اعظم معول يهدم الاعتقاد بتعدد الآلهة . وجدير

ويسوع المسيح الذي ارسلته.

بالذكر، ان هذا هو الموضع الوحيد، في كل الكتاب المقدس، الذي فيه نطق المسيح بلقبه كاملاً مردفاً إياه برسالته، فقال عن نفسه: «يسوع المسيح الذي ارسلته». ولعلَّ السبب في ذلك، ان القادي كان الى الآن متجنباً استعمال كلمة «المسيح» عن نفسه امام الشعب — إلا في مرة واحدة امام السامريين (٢٦: ٤). يؤيد هذا وصيته لتلاميذه بعد اعتراف بطرس «ان لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح» (متى ١٦: ٢٠). أما الآن، وقد حان الوقت الذي فيه يُعدّ التلاميذ للكراسة بشخصه قادياً ومسيحاً، فلم يكن هنالك بُدّ من ان يُسمع تلاميذه هذا اللقب كاملاً ولو مرة واحدة، قبيل انقضاء حياته على الارض. فبقوله: «يسوع»، اراد اسمه الانساني — ومعناه مخلص، وهو من مصدر عبري، أصله «وسع» اي أفرج وخأص (متى ١: ٢١). وبقوله: «المسيح» اراد وظيفته الفدائية باعتبار كونه المسوح من الله بمسحة الروح القدس ليكون ملكاً روحياً على شعبه. وقوله: «الذي ارسلته»، يفيد سلطانه المطلق، الذي جاء ارضنا متقلداً إياه حاملاً اسم الآب وقوته. ومن الأهمية بمكان، ان نلاحظ انّ في وضع اسم «يسوع المسيح» جنباً الى جنب مع اسم «الاله الحقيقي وحده»، برهاناً ضمناً على لاهوت المسيح، لان هذا معناه ان معرفة المسيح موازية لمعرفة الاله الحقيقي وحده. وان هذه المعرفة. المزدوجة هي اساس الحياة الابدية، وقوامها، وتامها. اذ ليس المسيح مجرد أداة للمعرفة، بل هو موضوع هذه المعرفة بمقدار كون الآب نفسه موضوع هذه المعرفة عينها

٤ انا مجدتك على الارض . العمل الذي اعطيتني لأعمل قد اكملته .
٥ والآن مجدني انت أيها الآب

عدد ٤ . الأساس الثاني لهذا الطلب : انعام المسيح العمل الذي يسلمه من الآب : « انا مجدتك على الارض . العمل الذي اعطيتني لأعمل قد اكملته » . ان الأساس الاول الذي ذكره المسيح في عدد ٣ ، كائن في بطن المستقبل : « ليعطي حياة أبدية » . لكن الأساس الثاني المذكور في هذا العدد يرتكز الى حقيقة تمت فعلياً في الماضي : « انا قد مجدتك على الارض ، العمل الذي اعطيتني لأعمل قد اكملته »

يتألف هذا العدد من مقطعين ، اولهما ممدد للثاني ، وتأتيهما مفسر ومكمل لاول . وكلا المقطعين يكونان انشودة جميلة صادرة عن نفس مطمئنة ، وضمير مستريح ، وحياة ظافرة ، خالية من خطايا الفعل وخطايا الترك . لان المسيح كامل كلاً ايجابياً لا سلبياً . فهو لم يعمل شراً ولم يفعل خيراً

عدد ٥ . عود الى بدء — المسيح يسترد مجده الازلي للذي اهدى نفسه من عند التجسد : « والآن مجدني انت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم » . ان قول المسيح : « عند ذاتك » ، يقابله المكان الوضع الذي كان فيه المسيح « على الارض » وقت رفعه هذه الصلاة . وان قوله : « المجد الذي كان لي عندك » ، يقابله اتضاع المسيح وقتئذ . نعم كان المسيح حال وجوده على الارض ، متمتعاً بمجد « كما لو حيد من الآب » (١ : ١٤) . لكن مجده في حال اتضاعه ليس سوى شعاع من شمس مجده الذي كان له

عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك

عند الآب «قبل كون العالم». وان قوله: «عند ذاتك» يفسره قول البشير في مقدمة هذه البشارة: «والكلمة كان عند الله»، «الابن الوحيد... في حضن الآب» (١: ١ و ١٨). هذا برهان جلي، على ان المسيح ذاتي، أزلي، لان الكائن عند ذات الله، ذات مثله. ومتى كان المجد أزلياً، فالمجد، ازلي بالأولى

كان المسيح اثناء وجوده على الارض، متسر بلا ثوب بشريتنا، الذي حجب عن البشر لمان مجده الاسنى، لدرجة جهله فيها الا كثرون، حتى الأهل والاقرباء. ولو كان قد كشف القناع عن هذا المجد، لعرفه كل من نظر اليه وصاح قائلاً: «هذا هو». لكنه، بارادته «اخلى نفسه» من ذلك المجد «آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس» — بل في أوضع حال للناس — «فلا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشبهه، محتقر ومخذول من الناس.. وكسّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به». على ان المسيح لم يفقد ذلك المجد الازلي، بتجسده. وانما تخلى عنه باختياره — الى حين — وكان دواماً حاملاً اياه بصورة محجوبة عن العيون المادية، فكان كجندي حامل سيفه معه أنى سار، وهو يحجب حدّ ذلك السيف في الغمد ليجرده أنى شاء. فلما «اتت الساعة» استرد المسيح ذلك المجد. ومن الامور التي تستحق منا شكر الله، ان المسيح استردّ ذلك المجد وهو حامل معه بشريتنا في جسد مجده، ولسوف «يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فيلبي ٣: ٢١)

ثانياً — طلبه الخاص برسه: لا بل تكريسهم وتقديسهم: (١٧: ٦ — ١٩).

قبل كون العالم . ٦ انا اظهرت اسمك للناس الذين اعطيتني من العالم

يتركز هذا الطلب في طلبتين اولاهما « احفظهم » (عدد ١١) ،
وثانيتهما « قدسهم » (عدد ١٧) . وقد مهد المسيح للطلبة الاولى ، وأردفها بذكر
نسبة التلاميذ اليه ، ونسبتهم الى العالم على اعتبار ان هذه النسبة المزدوجة ،
أساس مزدوج لهذه الطلبة . فالاساس الاول — اعني به نسبة التلاميذ الى
المسيح ، مبين في الاعداد ٦ — ١٠ . والاساس الثاني — أي وحشة التلاميذ
في العالم ، واقع في الاعداد ١١ — ١٥

جميل ان نرى حسن ظن القادي بتلاميذه الضعفاء ، لدرجة تفاضلي فيها
عن جهالتهم (١٩ : ١٤) ، وجبنهم (٣٢ : ١٦) ، حاسباً لهم ايمانهم به ، وحفظهم
كلامه ، وعلمهم بمصدر رسالته . لان عينيه الطاهرتين ، لمحتا وراء نبتة ايمانهم الغضة
ثمراً ناضجة ، ورأتا من خلال تقصيراتهم وضعفاتهم ، قلوباً مخلصاً ، ونفوساً
واثقة . هذا أجمل تفسير لتلك النبوة القديمة التي قيلت عنه : « قصبة مرضوضة
لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفى » . فمن هذه القصبات المرضوضة ، أقام اعملة
راسخة في هيكل المسيحية ، ومن هذه الفتائل المدخنة ، أقام منائر مضيئة
عدد ٦ — ١٠ . (أ) الاساس الاول لهذه الطلبة : اتساب التلاميذ للمسيح
عدد ٦ : (١) وصف مثلث للتمهدة الحق في بزرها : « انا اظهرت اسمك
للناس الذين اعطيتني من العالم . كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك » .
في هذا العدد وضع المسيح تهمة جوانب للتمهدة الحق : — (١) التمهدة الحق
من جانب المسيح : « انا اظهرت اسمك للناس » . ان قوله : « انا اظهرت

كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك . ٧ والآن علموا ان

اسمك» ، يوازي قوله في عدد ٤ « انا مجدتك على الارض » ، وكلا القولين مفسر للآخر . اما « الناس » الذين قصدهم المسيح بقوله : « اظهرت اسمك للناس » ، فهم تلاميذه . (٢) التلمذة الحقّة من جانب الآب : «الذين اعطيتني من العالم كانوا لك واعطيتهم لي» ، فالتلاميذ هم عطية الآب (*) للمسيح (٦: ٦٥ و ٤٤) . (٣) التلمذة الحقّة من جانب التلاميذ : « وقد حفظوا كلامك » . فمن هذه الثموت الجوانب نرى ان المسيح عرف ، والآب أعطى . والتلاميذ حفظوا . وكل هذه الثموت الجوانب مرتبطة ببعضها تمام الارتباط ، ومكونة حجة قوية رفعها المسيح الى الآب بقوله : « احفظهم في اسمك » (عدد ١١) . هذا بمثابة القول : « لا تتخلّ عن عمل يديك » . ولا شك في ان هذه الطلبة تحمل معها إيجابتها ، لانه لا يُعقل ان الآب يجعل خدمة المسيح عبثاً ، ولا ان يجعل عطيته هو تذهب هباءً ، كما انه لن ينسى تعب محبة التلاميذ ، وعمل ايمانهم ، وصبر رجائهم ، في حفظهم كلام الله ، وقبولهم الفادي رباً ومسيحاً . عدد ٧ و ٨ . وصف مثلث للتلمذة الحقّة في نموها وكما لها : « علموا » « قبلوا » « آمنوا » . هذه ثموت كلمات ، بمثابة ثموت درجات في سلم الايمان الراقى . فالدرجة الاولى : « علموا » ، تعني التمييز . اي ان التلاميذ عند ما

(*) جاء في بعض المواضع في هذه البشارة : ان الآب يجتذب الناس الى المسيح ويعطيه ايام (١٧ : ٦٤ ، ٣٧ : ٤٤ و ١٠٦ : ٢٩ ، ١٨ : ٩) ، وورد في مواضع اخرى ، ان المسيح « يختار » الناس و « يجتنبهم » الى نفسه (٦ : ٧٠ و ١٥ : ١٦ و ١٢ : ٣٢) وفي كلا الحالتين أعطي للبشر ان يختاروا او يرفضوا (١ : ١١ و ١٢ : ٣ ، ١٨ : ١٩ و ١٢ : ٤٧ و ٤٨)

كل ما اعطيتني هو من عندك . ٨ لان الكلام الذي اعطيتني قد اعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً اني خرجت من عندك وآمنوا انك انت ارسلتني . ٩ من اجلهم انا اسأل . لست اسأل من اجل العالم

سمعوا رساله المسيح ، ميزوها وحكموا بأنها رسالة سماوية من عند الآب : «علموا ان كل ما اعطيتني هو من عندك» . هذا نصيب العقل في الايمان . والدرجة الثانية : «قبلوا» ، تفيد ترحيب التلاميذ بالمسيح ترحيباً قلبياً ، وادخالهم اياه الى اعماق نفوسهم ، نتيجة علمهم اليقيني الاختباري بمصدر رسالته وصدق مسيحيته . هذا نصيب القلب في الايمان . والدرجة الثالثة : «آمنوا» ، تشير الى العزيمة الثابتة الملهمه بنور العقل والمثبة بنار القلب . هذا نصيب الوراثة في الايمان . فالايمن ينشأ بالمعرفة ، ويستضي بالتمييز ، ويتغذى بالمحبة ، ويتشدد بالعزيمة ، ويتوج بالثقة

ان المسيح يتكلم عن نفسه في هذه الاعداد باعتبار كونه فارياً ورسطاً عدد ٩ . (١) مدى شفاعته المسيح : «من اجلهم انا اسأل . لست اسأل من اجل العالم بل من اجل الذين اعطيتني» . يحدثنا هذا العدد ، عن مدى تشفع المسيح ، في كلمتين — الاولى : ايجابية جامعة ، وبها يُستهل العدد ويُختتم «من اجلهم انا اسأل من اجل الذين اعطيتني لانهم لك» . والكلمة الثانية : سلبية ، مانعة ، وهي واقعة في قلب هذا العدد : «لست اسأل من اجل العالم» . على ان امتناع المسيح عن ان يتشفع في العالم ، ليس امتناعاً مطلقاً بل محدوداً بهذا الظرف الخاص ، لانه واضح من قول المسيح : «يا ابتاه اغفر لهم

بل من اجل الذين اعطيتني لانهم لك . ١٠ وكل ما هو لي فهو لك .

لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤) ، انه كان مصلياً من اجل العالم . ولكنه امتنع هنا عن ان يطلب للعالم حفظاً ، لان العالم لا يحتاج الى الحفظ ، ولا الى التقديس ، لكنه يحتاج اولاً الى التجديد ، والتغيير ، والايمان (١٧: ٢١) . ولان حفظ العالم في حاله ، ثمة لا نعمة . ولان اساس هذا التشفع لا ينطبق على العالم ، الذي لم يحفظ كلام الله (عدد ٦) ، ولان العالم ليس من خاصة الله ويعتقد رايل وبعض المفسرين ، ان المعنى في هذه العبارة ، منصرف الى شفاعته المسيح بوجه عام ، فهو لا يشفع في العالم المتمرد « الذي لا يقبل روح الحق » (٢٧: ١٤) . لان الصلاة من أجل عالم هذا وصفه ، تُحسب عبثاً . ونميل نحن الى الاخذ بالرأي الاول . ولعل كثيرين من الذين آمنوا بالمسيح يوم الحسين ، كانت لهم شركة فعلية في صلب المسيح يوم الجمعة الحزينة

(٢) الحجة الاولى لشفاعة المسيح في هذا الظرف: « لانهم لك » — فمع ان المؤمنين أعطوا للمسيح ، ليقينهم وبقيتهم ، الا انهم لا يزالون ملكاً للآب ، فالمسيح مكلف بحراستهم كراع مؤتمن ، وفادٍ أمين

عدد ١٠ — الملكية المتبادلة: « كل ما هو لي ، فهو لك . وما هو لك فهو لي » — هذا دليل على تكريس المسيح التام ، وعلى شعوره اليقيني بعظمة لاهوته ، واتحاده الكامل بالآب . فهل يقوى مجرد انسان ، على ان يخاطب الله بمثل هذه اللغة: « كل ما هو لك فهو لي » ؟ في امكان أي انسان مؤمن ، ان يشارك المسيح في العبارة الاولى: « كل ما هو لي فهو لك » ،

وما هو لك فهو لي وانا ممجّد فيهم ١١ ولست انا بعد في العالم واما هؤلاء فهم في العالم وانا آتي اليك . أيها الآب القدوس

ولكن لا يجسر احد غير المسيح ان يشاركه في العبارة الثانية: «وما هو لك فهو لي» . ان قوله: «كل ما هو لي»، ليس قاصراً على الاشخاص، بل يشمل ايضاً كل الحقوق والممتلكات

(٣) المحبة الثانية لشفاعته المسيح في هذا الطرف — الترميز المحفوظ، هم اداة لتمجيد المسيح: «وانا ممجّد فيهم» — أي تمجّدت في الماضي ولا زلت ممجّداً فيهم بايمانهم وطاعتهم ومحبتهم وولائهم، فكما ان الكرامة تتمجّد في أغصانها المثمرة كذلك تمجّد المسيح التلاميذ في . قابل افسس ٢: ٢٠

(ب) الاساس الثاني لطلبه المسيح: رحمة الترميز في العالم (١٧: ١١-١٥). في هذه الاعداد، بسط المسيح هذا الاساس بكل بساطة ووضوح ثم رده بين حين وآخر، نظراً لشعره بوحشتهم الاليمة التي سيتجرعون غصصها بعد ارتفاعه عنهم: «ولست انا بعد في العالم واما هؤلاء فهم في العالم وانا آتي اليك» . في هذه العبارة، رأى المسيح نفسه وقد فرغ من الصلب، وأتم عملية الفداء، ولفرط حبه لتلاميذه انشغل بهم عن ذاته، مع انه كان محاطاً بظل الصليب، فذكرهم في وحدتهم، وهو عالم انهم سيتركونه في وحدته (١) النداء الخاص الذي تسترل به هذه الطلبة: «أيها الآب القدوس»

— هذه هي المرة الثانية التي فيها يتوجه المسيح الى الآب بنداء خاص، أثناء هذه الصلاة الشفاعية — المرة الاولى في عدد ١ . على انه في هذه المرة الثانية

احفظهم في اسمك الذين اعطيتني ليكونوا واحداً

قد وجه الخطاب الى الآب، بكلمات لم ترد إلا في هذا المكان وحده، فقال: «أيها الآب القدوس». فما أكثر ملاءمة هذا النداء الى طبيعة هذه الطلة! إذ أن «الآب القدوس» وحده هو الكفيل بحفظ التلاميذ في اسمه، مقدسين من كل دنس في العالم. فقداسة الآب، هي الضمان الاوحد لقداسة المؤمنين

(٢) **جوهر هذه الطلبة:** «احفظهم في اسمك الذين أعطيتني» — يراد بـ«اسم الآب»، كل الحق الذي اظهره المسيح، وأعلنه للتلاميذ عن ذات الله وصفاته، بما فيها القدرة، والمحبة، والحكمة، والقداسة (عدد ٦). فحفظ التلاميذ في «اسم الآب»، يراد به حفظهم ثابتين في دائرة هذا الحق المعلن، ومتحصنين في ذات الله، وفي شخصه. لان «اسم الرب» برج حصين يركض اليه الصديق ويتمنع. وقد أراد المسيح ان يحفظ تلاميذه باستمرار داخل هذا «الحصن المنيع» فترد عنهم سهام الشرير. ان العالم بيئة خارجية محيطة بالتلاميذ، مليئة بالبغضاء والتجارب المصوبة اليهم، لكن اسم الله بيئة داخلية قدسية، تحيطهم بغلاف من المناعة الروحية التي تطفىء جميع سهام الشرير الملتهمبة

(٣) **الغاية الاولى من هذه الطلبة:** «ليكونوا واحداً كما نحن» — هذا هو المثل الاعلى للوحدانية التي يجب ان تتوفر في المؤمنين، بالنسبة لبعضهم البعض، فهي ليست وحدانية في العقيدة، ولا هي وحدانية في النظام، ولا هي وحدانية جغرافية، لكنها وحدانية روحية، باطنية، مؤسسة على شركة في الجوهر الواحد، والروح الواحد، والرأي الواحد، والارادة الواحدة. على ان

كما نحن . ١٢ حين كنت معهم في العالم كنتُ احفظهم في اسمك

الاتحاد الذي يمكن ان يوجد بين المؤمنين ، وان تعذر بلوغه الى الاتحاد الذي بين الآب والابن في نوعه وكميته ، فمن المستطاع ان يكون على مثاله

عدد ١٢ . (٤) . « أبناء العناية ، رابعه الرهوك » : « حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك » — اي كنت احرسهم ، واسهر عليهم — « الذين اعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب » . هذه حقيقة لها مآنيها . جانبها الاول مشرق بنور دونه نور النهار ، يبعث في نفس المؤمن عزاء : « الذين اعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم أحد » . وجانبها الثاني ، مغم ناراً لاذعة تصلي الاشرار عذاباً : « ... ابن الهلاك » . وقد نعجب اذ نسمع كلمة « ابن الهلاك » صادرة عن لسان المسيح ، الذي يفيض دوماً رقة وعذوبة ، لكن عجبنا يزول متى ذكرنا ان المسيح المحب هو المسيح « الحق » . فمع ان « الحق » مرّ ، إلا انه من الواجب ان يقال . كلمة « ابن الهلاك » وردت مرتين في العهد الجديد — هنا وفي ٢ تس ٣: ٣ ، وهي عبرية في تركيبها ومعناها — على مثال قوله « أولاد نور » (افسس ٥: ٨) و « أولاد المعصية » (اش ٥٧: ٤) و « أبناء الموت » (١ صم ٢٦: ١٦) . ويراد بها ان يهوذا مستحق الهلاك ، لانه حامل في طبيعته عوامل الهلاك وأسبابه

وهنا يعترضنا سؤال : هل كان يهوذا ضمن الذين أعطاهم المسيح من الآب ، فصار فيما بعد من أبناء الهلاك ؟ وجوابنا على ذلك : « كلا » . فان يهوذا كان منذ البداية « ابن الهلاك » ، ولم ينتفع شيئاً من وجوده مع المسيح .

الذين اعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب . ١٣ اما الآن فاني آتي اليك . واتكلم بهذا في العالم

وقد استعملت كلمة : «الا» في هذه القرينة بمعنى : «أما» او «إلا أن» كما في متى ١٢: ٤ . فالاستثناء الواقع بعدها في قوله : «لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك» ، هو استثناء منقطع ، لان يهوذا لم يكن من الذين أعطاهم الآب للمسيح . فكأنني بالمسيح يقول : « اما الواحد الذي هلك وهو يهوذا «ابن الهلاك» ، فلم يكن من الذين أعطيتني اياهم ، لذلك هلك ، وانا لم احفظه . إلا ان هلاكه لم يكن حادثاً غريباً . لان الكتاب سبق فأنبأ عنه»

«ليتم الكتاب» - الاشارة هنا الى ما جاء في مزمو ٤١: ٩ ، وليس المراد بها ان يهوذا هلك لكي يتم الكتاب - كأن اتمام الكتاب كان احد البواعث العاملة على هلاك يهوذا ، بل ان هلاك يهوذا جاء متفقاً مع ما سبق فأنبأ عنه الكتاب . وهذا لا يخلي يهوذا من المسؤولية ، لانه لم يكن عالماً بان ما في الكتاب ينطبق عليه . ولأنه لم يُقدِّم على فعلته الشنعاء ليتم ما في الكتاب ، بل ليتم شهواته الساقطة . وان أكبر حجة على ذلك ، هي شهادة ضميره الذي ثار عليه فتخلص من تأنيباته ، بأن مضى وشنق نفسه

عدد ١٣ . (٥) . الفاية الثانية من هذه الطلبة - ليكوه فرح المسيح لاسم في الترميز : «اما الآن فاني آتي اليك» . مع ان المسيح سبق فقاه بهذه الحقيقة في عدد ١١ ، الا انه وجد لذة خاصة في تكرارها في هذا العدد . فليس أحب الى النور من أن يلتقي بالنور . « واتكلم بهذا في العالم » - اي

ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم . ١٤ انا قد اعطيهم كلامك والعالم
ابغضهم لانهم ليسوا من العالم كما اني

وارفع هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ وانا معهم في العالم — «ليكون
لهم فرحي كاملاً فيهم». ان الفرح المبر عنه هنا، هو الفرح المالى قلب المسيح،
نتيجة علمه بسرعة انطلاقه الى الآب، ويقينه بأن تلاميذه الذين سيتركهم
من بعده، سيكونون في حراسة الآب وحفظه . وجدير بالملاحظة ، ان المسيح
أراد ان يكون فرحه : (١) ملأ للتلاميذ ، بدليل قوله : «ليكون لهم»
(ب) لأمور : «كاملاً» — غير مشوب بخوف او ضعف ثقة ، او شعور بوحشة
وانفراد . (ج) في اعماق نفوسهم : «فيهم». ان ممتلكاتنا التي حولنا ليست
لنا . لانها معرضة للزوال . فلا يبقى لنا إلا ما نملكه في اعماق نفوسنا

عدد ١٤ . (٦) التلاميذ بين المسيح وبين العالم : « وانا قد اعطيهم
كلامك ». يراد بـ «كلام الله» خلاصة ما اعلنه المسيح للتلاميذ عن ذاته وعن الآب .
فالمسيح اذ اعطاهم كلام الآب، وضع في قلوبهم طبيعة جديدة مستمدة من
طبيعته، ومن نوعها، لكنها متنافية لطبيعة العالم . فالنتيجة الطبيعية لذلك، ان العالم
ابغضهم لان طبيعتهم الجديدة رفعتهم فوق مستوى العالم فاصبحوا من طبيعة
مغايرة لطينة العالم، مع انهم كانوا في العالم : « لانهم ليسوا من العالم كما اني انا
لست من العالم ». فامامنا الآن عزاء التلمذة وعذابها . اما عزاؤها فهو ان تلميذ
المسيح موضوع حراسته (عدد ١٢) وممتلىء بفرحه (عدد ١٣) ومتشبع بكلامه .

انا لست من العالم . ١٥ لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان

(عدد ١٤). واما عذابها فهو ان التلميذ موضوع بغضة العالم. وهل يخشى عوي^٢ الذئاب من يشرق على وجهه رضى الله ؟

عدد ١٥ . (٧) ماهية هذه الطلبة : « لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير » . في ختام هذه الطلبة عبر المسيح عن ماهيتها بكلمات مائة جامعة . اما كلماته المانعة، فهي قوله: «لست اسأل ان تأخذهم من العالم» . لحكمة ممتازة ، لم يسأل المسيح من الآب ان يأخذ التلاميذ من العالم لان وجودهم في العالم نافع للعالم، فهم ملح الارض، وهم نور العالم. وما نفع الطعام بغير ملح ، وما قيمة المدينة بغير نور؟ فضلاً عن ذلك فان وجودهم في العالم نافع لهم . فالعالم مدرسة يتلقى فيها التلاميذ دروساً ثمينة في الصبر والاحتمال وطول الأناة ، وفوق ذلك فان عليهم رسالة لم يكملوها بعد . فمن يحمل رسالة المسيح بعد صعوده اذا رُفع تلاميذه معه من العالم ؟ واما كلماته الجامعة فهي قوله: « بل ان تحفظهم من الشرير » — كالزنبقة البيضاء تكون محافظة على جمالها وهي في وسط الاوحال، او كرأس الابرة المغنطيسية يكون على الدوام مثبتاً الى الشمال ، مهما هبت العواصف وتقلبت الاجواء، او كنبع مياه في قلب صحراء قاحلة . ان القداسة التي طلبها المسيح لتلاميذه ليست سلبية قائمة بالمنع والهرب وانما هي ايجابية تقوم بالمنح والحرب الطافرة المنتصرة . فمجرد الاتصال المادي عن العالم لا ينفع. وانما الذي ينفع هو الاتصال التام بالله. ان القداسة القائمة على ما حولنا لا تغني قليلاً . وانما القداسة الحقة هي القائمة على ما فينا

تحفظهم من الشرير . ١٦ ليسوا من العالم

ان النيران التي كانت محيطة بالثلاثة الفتية ، لم تقوَ على احراقهم ، لانهم كانوا محاطين بابن الله ، فالبيئة الداخلية الروحية تحطم سهام البيئة المادية الخارجية (١ يو ١٨: ٥ و ١٩ ، ٢ تس ٣: ٣ ، ١ يو ١٣: ٢ و ١٤ ، ١٢: ٣)

كلمة : « الشرير » ، قد تعني الشر مجسماً في شخص ابليس ، كما في الطلبة المتضمنة في الصلاة الربانية : « نجنا من الشرير » (متى ١٣: ٦) ، وقد تعني الشر كبداً عام ، أو « المحيط الشرير » - اي « العالم الذي وُضع كله في الشرير » (١ يو ١٩: ٥) . ان هذه الطلبة وسائر طلبات المسيح ، تحمل معها جوابها فهي وعد ، ونبوة بأن الله ، لن يحفظ الا الذين يريدون أن يحفظوا انفسهم

طلبة المسيح الثانية لاجل رسله - انه يتقدموا في الحق (١٧: ١٦ - ١٩)
مررنا في الاعداد السابقة ، بالطلبة الاولى التي رفعها المسيح لاجل رسله « ان يحفظوا من الشرير » ، وهانحن نواجه طلبته الثانية لاجلهم (عدد ١٧) .
استهل القادي هذه الطلبة الثانية بحجة ماهرة لها (عدد ١٦) ، وعقب عليها بحجة اخرى مؤيدة لها (عدد ١٨ و ١٩)

عدد ١٦ . (١) المحجة الماهرة لهذه الطلبة : انزال التلاميذ عن العالم :
« ليسوا من العالم كما اني انا لست من العالم » - سبق القادي فنطق بهذه الكلمات عند ختام الطلبة السابقة (عدد ١٤) ، وقد أوردنا هنا ايضاً مكرراً ومقرراً . فهي ، والحالة هذه ، حلقة اتصال بين الطلبتين ، بها تُختتم الطلبة الاولى ، وتُستهل الطلبة الثانية

« ليسوا من العالم » - في طبيعتهم ، وامياهم ، وآمالهم ، وآلامهم .

كما اني انا لست من العالم ١٧ قدسهم في حقك .

ليس هذا انفزالاً مادياً جغرافياً ، لكنه انفزال روحي على مثال انفزال المسيح عن العالم . فمع ان التلاميذ كانوا عاشرين في العالم ، الا انهم ليسوا من العالم . وان مغايرتهم للعالم ، نتيجة طبيعية لمشابتهم للمسيح . فالعبرة ليست بالطرفية الملائية ، بل بالخالص الروحية

عدد ١٧ . (ب) مبرهن الطلبة : « قدسهم في حقك . كلامك هو حق » .
كان من الطبيعي ، ان تأتي هذه الطلبة بعد الطلبة السابقة ، لانهما مرتبطتان معاً ارتباطاً منطقياً . فمن الطبيعي ان الحفظ يسبق التقديس ، لان الحفظ اعماري للتقديس ، والتقديس منم للحفظ . الحفظ ملهي : « مع الشرير » ، والتقديس ايماني : « في الحق » . فالتلاميذ « يُنقلون » من منطقة الشرير للو بوءة ، ليوجدوا في منطقة الحق النقية ، فيتشبعوا من جوها المقدس والمقدس . اساس الطلبة الاولى ، هو افراد التلاميذ في العالم . لكن اساس الطلبة الثانية هو عمل التلاميذ في العالم ، باعتبار كونهم رسل المسيح

اراد المسيح بـ : « تقديس » التلاميذ ، معنيين : المعنى الاول دافني ، وهو انزعاج كل ميل نفسي ، جسدي ، مادي ، من قلوبهم . او بعبارة اخرى تطهيرهم من كل ما هو مغاير لروح الله وارادته . فمع ان التلاميذ تبرروا دفعة واحدة ، الا انهم يحتاجون الى التقديس يوماً فيوماً . والمعنى الثاني طاربي ، وهو تكريسهم وتخصيصهم نهائياً وكالياً للخدمة الرسولية التي تسلموا مقاليدها من المسيح ، وسيحملون مسئولياتها بعد انطلاقه عنهم ، مثلاً كان يتخصص

كلامك هو حق . ١٨ كما أرسلتني الى العالم

الكاهن قديماً لخدمة الكهنوت . قابل هذا بما جاء في رومية ١٢: ١ — «قدموا اجسادكم» — على اعتبار ان الجسد يمثل للانسان كله — «ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله» . فالتقديس في معناه الاول، مركزه القلب، وفي معناه الثاني مركزه الوراثة والنية . اما «الحق» فهو أداة تقديسهم، وهو ايضاً الجو الذي فيه يتقدسون . فلا يكفي ان يكون «الحق» في التلاميذ ، بل يجب ان يكون التلاميذ ايضاً في الحق ، فيكون لهم الحق جواً روحياً يتشقق منه عبير القداسة والحرية . ويراد بـ «الحق» ، خلاصة المعلنات التي أتى بها المسيح عن الآب وعن نفسه (عب ١: ١) ، او قل : ان «الحق» هو المسيح نفسه . فاذا ما قلنا ان «الشرير» هو الشر مجسماً ، جاز لنا ان نقول ايضاً ان المسيح هو الحق مثانساً . اما الجزء الثاني من هذه الآية : «كلامك هو حق» — أو : «هو الحق» ، فهو مفسر، ومكمل لقوله : «حقك» . والترجمة الحرفية لقوله : «كلامك» ، هي : «الكلام الذي لك» ، على اعتبار ان المسيح لم يتكلم بشيء من عندياته ، اذ انه هو نفسه «كلمة الله المتجسد»

عدد ١٨ و ١٩ . (ج) الحجّة المؤيدة لهذه الطلبة . تتضمن هذه الحجّة باعثن — اولهما : عمل الرسل لاجل المسيح ، في العالم (عدد ١٨) . وثانيهما : عمل المسيح لاجل الرسل (عدد ١٩)

عدد ١٨ . الباعث الاول — عمل الرسل لاجل المسيح ، في العالم : «وكما أرسلتني الى العالم أرسلتهم انا الى العالم» . كان على التلاميذ ان يؤدوا الرسالة

ارسلتهم انا الى العالم . ١٩ ولاجلهم اقدس انا ذاتي

التي حملهم المسيح اعباءها ، فيقوموا بها نيابة عنه بعد انطلاقه الى السماء ، وهي الى حد ما، مشابهة للرسالة التي تسلمها المسيح من الآب ، وان كانت ليست من نوعها ولا في درجتها . فالمسيح أرسل من السماء الى العالم ، لكن التلاميذ أرسلوا من العالم الى العالم . رسالة المسيح فرائية ، لكن رسالة التلاميذ تبشيرية . غير ان رسالة التلاميذ تُحسب على نوع ما ، امتداداً لرسالة المسيح . فمع ان الرسل لا يتألمون مثلما تألم المسيح ، الا انهم « سيكملون نقائص شداثد المسيح في اجسامهم » (كو ١: ٢٤)

ان وجه الشبه الرئيسي — ان جاز ان يكون هنالك تشبيه — بين رسالة المسيح ورسالة التلاميذ ، هو تقديس الرسل . فكما ان الآب « قد قدّس المسيح » — اي كرّسه ، وخصّصه ، وهباً له جسداً مقدساً — « قبل ان يرسله الى العالم » (١٠: ٣٦) ، كذلك أراد المسيح ان « يقدّس » رسله ، بحقه ، وبشفاعته فيهم ، وبتقديسه ذاته لاجلهم — قبل ان يرسلهم الى العالم . غير ان تقديس المسيح ، يختلف عن تقديس الرسل ، كما يتبين مما يلي :

عدد ١٩ . (٥) الباعث الثاني — ما يعمل المسيح لاجل الرسل : « ولاجلهم اقدس انا ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق » . ان « تقديس » التلاميذ ، هو تطهيرهم داخلياً ، ثم تكريسهم خارجياً . لكن « تقديس » المسيح ، عمل خارجي ، يقوم بتكريسه ذاته ، وتقديمها لله ذبيحة حياة مقدسة . فضلاً عن ذلك ، فان التلاميذ عاجزون كل العجز ، عن ان يقدسوا ذواتهم . اذ لا يمكن

ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق . ٢٠ ولست

للفساد ان يقدس الفساد. لكن «تقدس» المسيح ، يقوم به هو ذاته : «اقدس انا ذاتي» — اي يقدم ذاته بمشيئته الحرة المختارة ، على مذبح الصليب ، إذ «روح ازلي قدم نفسه لله بلا عيب» (عب ٩: ١٤). فهذه المشيئة صار الرسل والمؤمنون «مقدسين بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠: ١٠)

ولا يغرب عن بالنا ، ان المسيح فاه بهذه الكلمات ، باعتبار كونه رئيس كهنتنا الاعظم ، وهو مهيب لتقديم ذاته على الصليب. ويقول جودي : ان المسيح بعمله هذا ، قد هيا طبيعة انسانية مقدسة ، حاملاً ايها الى المجد ، ليودعها في قلوب الرسل وسائر المؤمنين ، بروح قدسه . «لانه ان كنا قد صرنا متحدين مع المسيح بشبه موته ، نصير ايضاً بقيامته . عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية» (رو ٦: ٥ و ٦). «لان ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو ٨: ٢)

ان تقديس المسيح ذاته ، عمل تكريسي فرائي ، لم يكن هو في حاجة اليه ، بل قام به لأجل الرسل ولاجلنا . أما قوله في نهاية هذا العدد : «في الحق» ، فمعناه : «لكي يكونوا مقدسين فعلاً ، ومفعلاً» لا اسماً ، وطقساً ، وصورةً . ويجوز ان تترجم هذه العبارة الى : «مقدسين بالحق»

ثالثاً . طلب المسيح لاجل كنيسة (١٧: ٢٠ - ٢٦)

ان فوائد هذا الطلب الثالث تمتد الى جميع المؤمنين بالمسيح . وهو يتألف من طلبتين — كل منهما تحمل معها ثغيرها ، والباعث عليها . فالطلبة

اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي

الاولى هي : افصح المسيح للآب عن رغبته في اتحاد المؤمنين معاً : « ليكون الجميع واحداً » (٢٠-٢٣) . ويلوح لنا ، ان هذه هي الطلبة الرئيسية في هذا الطلب ، لان المسيح ردها اربع مرات في ثلاثة أعداد (عدد ٢١-٢٣) . والطلبة الثانية هي : افصح المسيح الى الآب عن ارادته ان يكون المؤمنون به موجودين معه حيث يكون هو (عدد ٢٤) . وقد مهد المسيح لهاتين الطلبتين بكلمة مجده في عدد ٢٠ ، ثم عقب عليهما بفحوصته ، تعتبر هاتمة لهذا الفصل

عدد ٢٠ . كلمة مجده عن الذي يصلي المسيح لاجلهم في هذا القسم الاخير من صلاته الشفاعية : « لست اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم » . يراد بـ « كلامهم » ، البشارة التي تكلم بها الرسل شفاهاً ، وكتبوها في الرسائل ، فصارت واسطة لايمان الناس بالمسيح (رو ١٠: ١٤) . وقد نسبت كلمة البشارة اليهم ، قليل فيها : « كلامهم » مع انها « كلمة المسيح » ، لان الرسل بعد ان علموها ، وعلموا بها ، وسجلوها ، امتزجت بحياتهم ، فصاروا هم لها ، وصارت هي لهم . كما قال بولس عن الانجيل الذي بشر به : « انجيلي » ، مع علمه بانه « انجيل المسيح » (رومية ١٦: ٢ و ١٦: ١)

في عدد ٩ ، عيّن المسيح الذين رفع من أجلهم طلبه الثاني ، فخصره في الرسل : « من أجلهم انا اسأل » . وفي عدد ٢٠ ، رفع هذا الحصار ، وجعل طلبه يشمل كنيسته التي لم تكن قد اتخذت بعد مظهراً حياً قوياً ، الا منذ يوم الحسين ، فراها في المستقبل ، كحكمة ممتدة الجوانب ، مترامية الاطراف ، لكنها

بكلهم ٢١. ليكون الجميع واحداً كما انك انت ايها الآب في

لزيد الأسف منقسمة الى شقق صغيرة ، كثيرة العدد . فرأى بعينه اللتين
تحترقان حُجُب المستقبل ، الخطر المحقق بكنيستيه ، قبل وقوعه

الطبة الاولى التي قدمها المسيح من أهل المؤمنين به - انه يكونه جميع
المؤمنين واحداً (١٧: ٢١-٢٣)

عدد ٢١. اتحاد المؤمنين: ماهيته، ومنه الاعلى، واساسه، وغايته الاولى:
« ليكون الجميع واحداً. كما انك أنت أيها الآب فيّ وانا فيك.
ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم انك أرسلتني». ذكر المسيح في هذا
العدد، ثلاث مراتب للاتحاد. (١) المرتبة الاولى في المقام - وهي الثانية
في ترتيب الكلام، هي الوحدانية الثلاثة بين الآب والابنه: « كما انك انت
ايها الآب فيّ وانا فيك». هذا هو المثل الأعلى للاتحاد، الذي يجب ان يكون
متوفراً بين المؤمنين وبين بعضهم البعض - فهو اتحاد في الفكر، والارادة،
والشعور، والمقصد، والتدبير، والعمل، والملكية. بل هذا مدى الاتحاد
المنشود بين المؤمنين وبين بعضهم البعض. (ب) المرتبة الثانية في المقام،
وهي الثالثة في ترتيب الكلام - هي الوحدانية التي يكونه فيها المؤمنون
واحداً مع الآب والابنه: «ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا» - هذا اساس اتحاد
المؤمنين مع بعضهم البعض. فلا رجاء في اتحادهم فيما بينهم، ما لم يكونوا متحدين
اولاً في الآب والابن. لا بل هذا منبع اتحادهم، وجذعه، وغذاؤه، وقوام
حياته، وقوته. (ج) المرتبة الثالثة في المقام - وهي الاولى في ترتيب

وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحداً فينا ليؤمن العالم

الكلهم — هي وهرانية المؤمنين بعضهم مع بعض — هذه ثمرة اتحادهم معاً في الآب والابن. فكأننا الآن امام نموت دوائر ذات مركز واحد، متداخلة في بعضها البعض. في الدائرة الداخلية نرى الآب والابن متحدين معاً اتحاداً حيويًا كاملاً. فالآب في الابن والابن في الآب. وفي الدائرة الوسطى نرى المؤمنين يُضمّون الى هذه الدائرة القدسية، ليصبحوا متحدين معاً في الآب والابن: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا». وفي الدائرة الخارجية نرى المؤمنين وقد صاروا واحداً فيما بينهم، نتيجة صيرورتهم واحداً في الآب والابن:



«ليكون الجميع واحداً». هذه ماهية اتحادهم. فهو ليس اتحاداً ميكانيكياً، ولا مكانياً، ولا نظامياً، ولا تعليمياً. بل هو اتحاد روحي، حيوي، إلهي. لا يدغم فيه احدهم في الآخر. ولا تتلاشى شخصيته، بل يحتفظ فيه كل منهم بشخصيته، كما تتحد

النبرات معاً لتكون صوتاً موسيقياً واحداً. وكما تألف كل «نقط» الموسيقى لتكون لحنًا واحدًا. (د) الغاية الاولى من اتحادهم: «ليؤمن العالم انك أرسلتني». ما أبهج منظر المؤمنين الذين يجمعهم الروح الواحد، والرب الواحد، والرجاء الواحد، من كل قبيلة وشعب ولسان وامة، فتختفي بينهم الفوارق الجنسية، والاجتماعية، والعلمية! ان روعة هذا المنظر المبهر، تبعث في العالم

انك ارسلتي . ٢٢ وانا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني

الخارجي ايماناً يقينياً بان يسوع هو المسيح المرسل من الآب : «ليؤمن العالم انك ارسلتي» . ولقد تمّ هذا القول فعلاً في القرن الاول للميلاد ، حين أخذ الوثنيون بروعة اتحاد المسيحيين معاً فكانوا يتهامون فيما بينهم قائلين : «انظروا . ما أعجب حبهم لبعضهم البعض» !ومن المؤسف ، انه بقدر ما يكون اتحاد المؤمنين معاً ، محرضاً العالم على الايمان بالمسيح ، يكون عدم اتحادهم حجة في فم العالم ضد المسيح !

عدد ٢٢ . (هـ) اداة هذا الاتحاد : «وانا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» . ذهب المفسرون في تأويل المراد بقوله : «أعطيتهم المجد» ، مذاهب شتى . فقال بعضهم : ان المسيح تكلم عن «مجده» العتيد كأنه حاضر ، وانه أعطى تلاميذه حق امتلاك هذا «المجد» مع انهم لم يكونوا قد تمتعوا به بعد ، كما يرى من عدد ٢٤ . فيكون اذاً قد أعطاهم هذا «المجد» في البزرة ، ولو أنهم سيتمتعون به كاملاً في عالم الخلود . ويقول البعض الآخر : ان «المجد» الذي أعطاه المسيح لتلاميذه ، هو «مجد» الحلول الالهي في الجسم البشري ، فكما ان «مجد» المسيح هو حلول الآب فيه ، كذلك «مجد» التلاميذ هو حلول المسيح فيهم — بدليل قول بولس الرسول : «المسيح فيكم رجاء المجد» (كولوسي ١: ٢٧) . ويقول آخرون : ان هذا «المجد» هو مجد البنوة لله ، وان المسيح أعطى تلاميذه «مجده» ، بمعنى انه جعلهم اخوة له ، وصار هو أخاهم البكر «ليكونوا واحداً» . ويعتقد آخرون : ان هذا «المجد» هو حلول الروح القدس في التلاميذ ، على اعتبار ان حلول

ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد . ٢٣ انا فيهم

الروح القدس فيهم ، هو العامل الفعال في صيرورتهم واحداً ، بدليل قوله : «أعطيتهم المجد... ليكونوا واحداً». ونعتقد نحن ان هذا «المجد» ليس قاصراً على أمر واحد ، لكنه يتناول كل ما أخذه المسيح من الآب ، باعتبار كونه الفادي المتجسد ورئيس العائلة المقدسة — ويدخل ضمن ذلك : مجد البنوة للآب ، وحق القبول لديه ، ومجد الامتلاء من روحه ، ومجد الانتصار على الخطية ، والمجد الاكمل الذي يناله المؤمنون في قيامة الابرار

«ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد» — هذه هي المرة الثالثة التي فيها كرر المسيح هذه العبارة في هذا الدور الاخير من صلاته الخالصة . وفي هذه المرة أظهر الفادي ان هذه هي الغاية التي لأجلها «أعطى مجده لتلاميذه»
ألا يليق بنا ان نستوقف انفسنا قليلاً لنفكر في توضيحات هذا الفادي الجليل الذي لم يرغب في ان يحتفظ بأي شيء لنفسه ، بل جعل كل ما عنده — حتى مجده — وفقاً على تلاميذه وعلينا ؟!

عدد ٢٣ . (و) — كمال هذا الانتماء — دائرته من اركانها : «انا فيهم وانت في» ليكونوا مكملين الى واحد». امامنا الآن دائرته من اركانها — الدائرة الاولى ، داخلية ، هي : مهول الآب في المسيح ، والدائرة الثانية خارجية وهي : مهول المسيح في التلاميذ — هذه أسرار عميقة ليس لنا ان ندخل الى بواطنها . ويكفي ان نفهم منها موقف الممتلكين إياها ، المتمتعين بها . فمع اننا لا نعلم دقائق الخواص التي تتألف منها ذرات الهواء المحيط بنا ، الا اننا

وانت في ليكونوا مكملين الى واحد وليعلم العالم انك ارسلتني

تشبع من هذا الهواء ، ونفتدي به . ومما تجب ملاحظته ، ان المسيح لم يقل « انت فيهم وانت في » ، لان حلول الآب في المسيح يختلف عن حلوله في المؤمنين — درجة ونوعاً . ولم يقل « هم فيك وانا فيك » ، لان ثبوت المسيح في الآب غير ثبوت المؤمنين فيه ، بل قال : « أنا فيهم وانت في » ، ولعل هذا ما أراده بقوله : « انا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني » (عدد ٢٢)

ان النتيجة المترتبة على هذا الحلول المجيد ، هي : تكميل المؤمنين في الاتحاد : « ليكونوا مكملين الى واحد » — هذه هي المرة الرابعة والاضحية التي كرر فيها المسيح كلامه عن اتحاد المؤمنين به ، وفيها ذكر وحدانيتهم في كمالها . هذه هي قمة الوحدانية ، وتامرها ، وكالها . ان خير تفسير لقوله : « مكملين » ، هو ما جاء في فيلي ١٢: ٣ وعب ١٠: ٢ و ٩: ٥ و ٢٨: ٧ و ٩: ٩ و ١: ١ و ١٤ و ١١: ٤ و ٢٣: ١٢ و ١ يوحنا ٥: ٢ و ١٢: ٤ و ١٧ و ١٨ . ولا شك في ان الله الذي يبدأ عمل الاتحاد في المؤمنين ، سيصل بهم الى كمال هذا الاتحاد

ان تكميل المؤمنين الى واحد ، هو تعبير آخر لقوله : « ليكونوا مكملين في الواحد » — أي في المسيح رأسهم ، ورئيسهم ، ومثلهم الاعلى (فيلي ١٠: ٢)

(ز) الغاية النهائية من هذا الاتحاد : « ليعلم العالم انك ارسلتني واحببتهم كما احببتني » . في عدد ٢١ ، ذكر المسيح الغاية الاولى من اتحاد المؤمنين : « ان يؤمن العالم انه مرسل من الآب » ، لكنه في هذا العدد ، ذكر الغاية النهائية من هذا الاتحاد : « ليعلم العالم انك ارسلتني واحببتهم كما احببتني » .

واحبيبتهم كما احببتني . ٢٤ ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني

ان ايمان العالم يختلف عن علمه . فإيمان العالم يراد به قبول المسيح مخلصاً، لكن علم العالم يفيد الفهم الذي قد يقود صاحبه الى الايمان أو الى تقسية القلب على رغم هذا الاقتناع . ويقول رينولدز: ان العلم درجة أرقى في الايمان ، أعني هو الايمان اليقيني المؤسس على الاختبار . وقد ذكر المسيح في هذا العدد امربه ، يقتنع بهما العالم نتيجة رؤيته التلاميذ متحدين : — اولهما : علم العالم بانه المسيح مرسل من الآب ، أو بعبارة أخرى — علمه بان يسوع هو المسيح منتهى رجاء اليهود، و«مشهى الامم». والامر الثاني هو اقتناع العالم بانه الآب احب المؤمنين مثلما احب المسيح ، لان وجود المسيح وسط عائلة واحدة ، مجتمع افرادها في كنف أخيهما الأكبر ، يجعل المحبة القدسية التي وجهها الآب الى المسيح ، تعم هؤلاء المؤمنين وتضمهم تحت جناحيها، وتُشعر العالم بحرارة المحبة الالهية . وجدير بالملاحظة ان المحبة التي يتحدث عنها المسيح هنا، ليست محبة الاقنوم الاول للاقنوم الثاني في اللاهوت، وانما هي محبة الله للمسيح باعتبار كونه القادي المتجسد ورأس العائلة المقدسة

عدد ٢٤ . الطلبة الثانية التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به — انه يكونوا معه لينظروا مجده الازلي : «ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني يكونون معي حيث اكون أنا لينظروا مجدي». مع ان التلاميذ كانوا قد رأوا مجد المسيح «مجداً كما لو حيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» ، إلا انهم رأوا مجده من خلال حجاب الجسد الذي حجب عنهم الشيء الكثير من هذا المجد

يكونون معي حيث اكون انا لينظروا مجدي الذي اعطيتني لانك
احببتني قبل انشاء العالم . ٢٥ ايها الآب البار

الاسنى، لذلك طلب المسيح ان تنهياً للتلاميذ فرصة، فيها يكونون معه بعد ان
يكون قد استرد مجده الازلي ، ليشاطروه ذلك المجد . في بدء هذه الصلاة
الشفاعية، طلب المسيح ان يعاد اليه مجده الازلي (عدد ٥)، والآن عند ختام هذه
الصلاة، وقد صار متيقناً من ان هذا المجد قد رُد اليه، لم يبقَ أمامه ، إلا ان
يطلب اشراك خاصته معه في مجده. هذا معنى قوله : «لينظروا مجدي» . لان
هذا النظر يشمل التمتع أيضاً

واذا كان المسيح قد قال في عدد ٢٢، انه «أعطى تلاميذه هذا المجد»،
فهو الآن يريد ان المؤمنين به ، يتمتعون فعلاً بهذا المجد، لا أن يكتبوا
بامتلاكهم اياه كمجرد وعد أو حق

ولا يفوتنا ان نلاحظ الكلمة الخاصة التي استعمل بها المسيح هذه الطلبة:
«اريد» ! فقد افتتح الطلبات الماضية بقوله: «أسأل» (عدد ٩ و ٢٠)، لكنه
استعمل هذه الطلبة بقوله: «اريد». والارادة أقوى من الرغبة، وأكثر اقتداراً
من السؤال. والظاهر ان المسيح قد بلغ الآن درجة اصبح فيها قريباً من
الموت، لذلك صار في موقف من يملي وصيته النهائية، فقال: «أريد». ولا
حاجة بنا الى القول: ان المجد الذي أراد المسيح ان تشاركه فيه خاصته، هو مجده
الوئلي الذي ناله من الآب، برهاناً على محبته الازلية له: «قبل انشاء العالم»
عدد ٢٥ و ٢٦. فهو صفة حميدة، وفائضة مبهية: «أيها الاب البار» — هذه

ان العالم لم يعرفك . اما انا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك

هي المرة الوحيدة التي وردت فيها هذه العبارة على لسان المسيح . بل هذا هو اللقب الثاني الذي نُسبه المسيح الى الآب في هذه الصلاة . فاللقب الاول مررنا به في عدد ١١ ، حين قال : « ايها الآب القدوس » — اذ كان المسيح طالباً وقتئذ تقديس تلاميذه . لكنه استعمل هنا كلمة : « البار » ، لانه كان متوجهاً بهذه الكلمات الاخيرة ، الى عدالة الآب ووبره

تحدثنا هذه الخاتمة الجليلة عن معرفة الآب . فقد وردت كلمة « معرفة » خمس مرات فيها . وهي تتألف من شطرين — في اولهما — مقابلة بين العالم من جهة ، وبين المسيح وتلاميذه من الجهة الاخرى ، بالنسبة لهذه المعرفة (عدد ٢٥) . والشرط الثاني يعرفنا عن غاية المسيح من تعريفة تلاميذه باسم الآب . ويُخيلُ اليُنا ان المسيح واقف كمن يلتقي نظرة الى الماضي ، وأخرى الى المستقبل :

فنظرته الى الماضي ، تتناول الشرط الاول من هذه الخاتمة — وفيها مقابلة بين العالم من جهة ، وبين المسيح وتلاميذه من الجهة الاخرى بالنسبة الى معرفة الآب : « ان العالم لم يعرفك اما انا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك أنت أرسلتني » . فالعالم لم يعرف الله . اما المسيح « فقد عرفه » . والتلاميذ « قد عرفوا ان يسوع هو المسيح المرسل من الله » . يراد بـ « معرفة » الآب ، قبول الحق المعلن عنه في المسيح ، واختبار قوة روحه في القلب . و« علم معرفة » الآب ، هي رفض هذه المعلنات . فالعالم الذي لم يعرف الله ، محروم بحق

انت ارسلتي . ٢٦ وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب

من مجد المسيح . والتلاميذ الذين عرفوا الله يتمتعون عن حق ، بتجدد المسيح ونظرة الفادي الى المستقبل ، ينم عنها الشطر الثاني من هذه الخاتمة (عدد ٢٦): «وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي احببتني به واكون انا فيهم». في هذه الكلمات تبدأ الفادي: (١) عما ينرى في قلبه من مبرراتهم: «وسأعرفهم» — وهو يريد «المعرفة» التي سيوحى بها اليهم ، بواسطة روحه الاقدس الذي سيملا قلوبهم يوم الخميس

ما اعظم شجاعة المسيح ، وما أقوى ثقته ! لانه وهو عالم انه صاعد الى الجلجثة ليُصلب ، تكلم عن المستقبل وقال : «وسأعرفهم» . هذا دليل على انه كان ممسكاً بناصية المجد، وهو منطلق الى الصليب. (ب) عما نمناه لهم « ليكون فيهم الحب الذي احببتني به واكون انا فيهم» . أو ليست قلوبنا نجسة؟ فكيف اذاً تليق بحلول هذين الضيفين ؟ على انهما ليسا ضيفين مقدسين وكفى ، لكنهما ضيفان مقدسان . فالحب الالهي نار تصهر كل شر فينا ، وتطهرنا — والمسيح هو الطهر مجسماً . فما ابهج هذين الضيفين الجليلين المقدسين اللذين يحلان في قلب كل مؤمن — «الحب الالهي والمسيح» ! على انهما ليسا ضيفين ، وانما هما ضيف واحد . لان المسيح هو الحب مجسماً ، والحب الالهي هو المسيح متأنساً . ومتى كان المسيح في المؤمن ، اضحى المؤمن محبوباً من الله ، لكون المسيح في قلبه

«ليكون فيهم الحب الذي احببتني به واكون انا فيهم» — قصد المسيح

الذي احببني به واكون انا فيهم

بقوله هذا ، ان المؤمنين به ، اذ يعرفون اسم الآب ، يفتحون قلوبهم ليدخل اليها الحب القدسي الجليل ، الذي في قلب الآب نحو شخص المسيح . وطبيعي ان المؤمن متى أدخل هذا الحب الى قلبه ، صيرَه مَلَكًا له ، وبذلك يصبح متمتعاً بنفس الحب الذي به أحب الآبُ المسيح . وبالتالي يصير المؤمن محباً للآب ، حباً من نوع حبه ، وان يكن من درجة محدودة نظير الانسان المحدود ، لان محبة الله ليست سوى ادخال اشعة محبة الله النورانية الى قلوبنا جميل ان المسيح الذي هو موضوع محبة الآب ، يجعل المؤمنين موضوع حبه هو . فهو موضوع الحب الالهي وهو العامل فيه

ما اعظم الفرق بين ختام صلاة المسيح الشفاعية ، وبين بدء خطابه الوداعي ! في بدء خطابه الوداعي ، حدث تلاميذه عن انطلاقه عندهم . وفي ختام صلاته الشفاعية ، عاهد الآب على ان يظل معرفاً اسمه للتلاميذ ، ليكون هو فيهم . بهذا وجد التلاميذ في هذا العهد ، اكثر مما تمنوا أو انتظروا . هذا هو النرياق الشافي لاضطراب القلوب

واذا كانت الاشياء تتبين باضدادها ، فان هذه الخاتمة النبوة تذكرنا بتلك الخاتمة القائمة ، التي مررنا بها في نهاية الاصحاح الثاني عشر من هذه البشارة . تلك اختتمت فصلاً عن نمو عدم الایمانه في قلوب اعداء المسيح ومضطهديه . وهذه تتوج فصلاً عن نمو الایمانه في قلوب اخصاء المسيح ومريديه !

الاصحاح الثامن عشر

وادي الآلام

يتقدم بنا هذا الاصحاح ، الى مرحلة جديدة في حياة سيدنا وفادينا ، فنجتاز معه وادي الآلام والتضحية ، ونرتقي معه الى عرش المجد والخلود. ولقد كتب البشير في هذا الفصل الختامي من حياة المسيح ، حوادث مررنا بها في كتابات سائر البشرين او بعضهم ، وأغفل عمداً اشياء ذكروها هم ، وحددنا عن تفصيلات لم يسجلها سواه . والله درّ هذا البشير ، فلا يوازي اجادته فيما كتب ، سوى اجادته فيما أغفل . وما من شك في انه كان عالماً بما كتب سائر البشرين من قبل . وفي الوقت نفسه احتفظ لنا بالتفصيلات الدقيقة التي تظهر جلال « الكلمة المتجسد » . على ان هذا لم ينس ان يصور لنا اتضاع المسيح ، المتغلغل في مجده ، واضعاً نصب عينيه هاتين الحقيقتين : تبيانه بفضوح عدم الالهية في قلوب اعداء المسيح ، واكتمال الالهية في قلوب أمهائه فمن الحوادث التي تفرّد يوحنا بذكرها : كلمات المسيح التي خاطب بها الذين ألقوا القبض عليه (١٨: ٤-٩) ، وفحصه امام حنّان (١٨: ١٣-٢٤) ، وخروج بيلاطس الى اليهود للتشاور معهم في بدء المحاكمة السياسية (١٨: ٣٢-١٨) ، وخلو بيلاطس الى المسيح ليفحصه على انفراد (١٨: ٣٣-٣٧ و ١٩: ٩-١١) ، واستهزاء الجند الرومان به كملك (١٩: ٢ و ٣) ، وخروجه حاملاً اكليل الشوك ولابساً ثوب الارجوان مما دعى بيلاطس الى ان يشير اليه قائلاً : « هوذا الانسان ! » (١٩: ٤ و ٥) ، وتمسك بيلاطس بما

كتب (١٩: ٢١ و ٢٢)، ووصية المسيح الاخيرة بشأن امه (١٩: ٢٥ - ٢٧)،
وافصاحه عن عطشه (١٩: ٢٨ - ٣٠)، والحربة التي طعن بها في جنبه
(١٩: ٣١ - ٣٧)، والخدمة الاخيرة التي قام بها نيقوديموس لسيدته (١٩: ٣٩)
ومن الحوادث التي اغفلها يوحنا عمداً، نظراً لسبق تدوينها في كتابات
سائر البشيرين او بعضهم: - مجاهدة المسيح في جثسياني (متى ومرقس ولوقا)،
القبلة الغادرة (متى ومرقس ولوقا)، فحص المسيح امام السنهدريم في جلسة
الظلام، والشهود الزور، والاقرار العظيم (متى ومرقس). الاستهزاء به كني،
جلسة السنهدريم الصباحية (متى ومرقس ولوقا). الاستهزاء به بعد المحاكمة
(متى ومرقس)، تسخير سمعان ليحمل الصليب، هزء الناظرين، تعبيرات
اللعين (متى ومرقس ولوقا)، صراخه قائلاً: « الهي الهي لماذا تركتني »،
انشقاق حجاب الهيكل (متى ومرقس)، اعتراف قائد المئة (متى ومرقس ولوقا)
وهناك تفاصيل اخرى، انقرض ذكرها واحد من البشيرين، فاغفلها
يوحنا قصداً. فمنها: رسالة زوجة بيلاطس، غسل بيلاطس يديه، قضاء اليهود
على انفسهم (متى). وهروب الشاب الذي تخلى عن إزاره، سؤال بيلاطس
الخاص بموت المسيح (مرقس). وفحص المسيح امام هيرودس، عويل بنات
اورشليم، ثلاث من كلمات الصليب، توبة احد اللعين (لوقا)
ومن الامور التي امتازت بها آلام المسيح في هذه البشارة: (١) انها آلام
اختيارية (١٨: ٤ و ٨ و ١١ و ٣٦ و ١٩: ٢٨ - ٣٠). (٢) انها جاءت متممة
لتدبير أزلي (١٨: ٤ و ٩ و ١١ و ٢٤ و ٢٨). (٣) انها آلام تشف عن المجد الذي
يشع منها (١٨: ٦ و ٢٠ و ٣٧ و ١٩: ١١ و ٢٦ و ٣٧)

- ومع اننا لا نعلم بالضبط ، الاوقات التي تمت فيها حوادث الآلام ، الا انه في امكاننا ان نعين لها وقتاً تقريبياً ، استناداً الى ما كتبه سائر البشيرين ، والى ما جاء في التلمود اليهودي ، وكتابات الثقات المسيحيين
- الساعة ١ صباحاً ... مجاهدة المسيح في جثسياني ، والقاء القبض عليه ، (بعد منتصف الليل) والذهاب به الى دار رئيس الكهنة
- الساعة ٢ صباحاً ... المحاكمة الابتدائية امام حنّان
- » ٣ ... فحص المسيح امام قيافا والسندريم في التثام فوق العادة
- » ٥ ... الحكم الرسمي الذي اصدره السندريم في مكان التثام الرسمي (لو ٢٢: ٢٦ ومتى ١: ٢٧)
- » ٥ ١/٢ ... فحص المسيح امام بيلاطس ، وجلده ، واستهزاء الجند به لأول مرة
- » ٦ ... فحص المسيح امام هيرودس
- » ٦ ١/٢ ... حكم بيلاطس عليه (يو ١٩: ١٤)
- » ٧ ... استهزاء الجند به للمرة الثانية
- » ٩ ... بدء الصلب ورفض المسيح ان يشرب من الخل المزوج بمرارة الذي قدم له كمخدّر (مر ١٥: ٢٥)
- » ١٢ ظهراً ... وصيته الاخيرة بشأن امه
- » ١٢ — ٣ مساء ... الظلام (مت ٢٧: ٤٥ ومر ١٥: ٣٣ ولو ٢٣: ٤٤)
- » ٣ ... نهاية الصلب

١ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون

ينقسم هذا الاصحاح والاصحاحات التي تليه الى ستة اقسام رئيسية :
 اولاً : الاسبير المنطوع (١:١٨ - ١١) . ثانياً : المحامكة الدينية (١٨ :
 ١٢ - ٢٧) . ثالثاً : المحامكة السياسية (١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦ (أ)) . رابعاً : الصلب
 (١٩ : ١٦ (ب) - ٤٢) . خامساً : القيامة (٢٠ : ١ - ٣١) . سادساً : تمة البشارة
 (٢١ : ١ - ٢٥)

اولاً : الاسبير المنطوع (١:١٨ - ١١)

عدد ١ - ٣ . فرقناه متناقضاته ، تنقيحاه في البستانه : من المكان
 الذي التى فيه المسيح الجزء الثاني من خطابه الوداعي ، وشفعه بصلاته الشفاعية
 خرج ومعه تلاميذه الى عبر وادي قدرون (*) ، الواقع عند منحدر وادي
 يهوشافاط - بين جبل الهيكل وجبل الزيتون

يمتد وادي قدرون مبتدئاً من نقطة تبعد نحو ميلين شمالي اورشليم ،
 ويسير الى الجنوب عشرين ميلاً ، ثم ينتهي بالبحر الميت . وهو على
 الغالب جاف مدة تسعة شهور في السنة ، وفي الثلاثة الأشهر الباقية ، يكون
 منهلاً صغيراً عليه جسر صغير يؤدي الى بستان على الضفة اليمنى ، حافل
 بأشجار زيتون عتيقة . هذا هو بستان جثسياني الذي تعود المسيح ان « يجتمع
 فيه مع تلاميذه » بما فيهم يهوذا . قديماً قصد هذه البقعة عينها ، أب هارب من

(*) كلمة قدرون ارامية ، معناها الأسود . وربما سمي كذلك نسبة الى ظلال الاشجار
 الكثيفة التي تكتنفه

حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه . ٢ وكان يهوذا مسلّمه يعرف
الموضع . لان يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه . ٣ فأخذ يهوذا

وجه ابنه المتمرد ، وصديقه الخائن (٢ صم ١٥: ٢٣) . والآن قصدها «الأبن
الوحيد» الذي سرّ به الآب ، وخانه أحد أصدقائه

ان يوحنا هو البشير الوحيد، الذي اعلنا ان في هذا المكان «بستاناً» .
قديمًا، خذل آدم الاول في بستان، فصار خذلانه وبالاً وعاراً عليه وعلّى ابنائه .
وفي بستان ايضاً ، انتصر آدم الثاني ، فاضحت نصرته مجداً وفخاراً له ولأتباعه
فمحت حسنات جثسماني سيئات عدن !

يُستفاد من قول البشير : «وكان يهوذا مسلّمه يعرف الموضع» ، ان علم
يهوذا بهذا المكان ، كان من الاسباب التي حدثت بالمسيح ان يختار هذا
المكان في هذا الظرف الخاص . لانه بعد ان اكل الفصح المشهى مع
تلاميذه ، وشجعهم بكلماته المعزية ، وسندهم بشفاعته المقتدرة ، لم يجد بُدّاً من
ان يمهّد الطريق امام مسلّميه . لان «الساعة» دقت ليرتفع على الصليب

في تلك الليلة الموعودة ، وقر الفصح يسطع بجماله وكماه ، صار هذا البستان
التاريخي ، ملتحق فرقتين على طرفي تقيض — امر اللهما : جماعة خرجت من
نور الى نور، وعلى رأسها الفادي الامين . والثانية : عصابة خرجت من ظلام الى
ظلام بزعمامة يهوذا الفادر الخوون . كانت عصابة الظلام حاملة «مشاعل ومصابيح
وسلاحاً» — كما في حرب رسمية ، حامية الوطيس . ولعلمهم حملوا المشاعل
والمصابيح مخافة ان يكون المسيح مختبئاً تحت ظلال احدى اشجار الزيتون

الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. ٤ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي

الكثيفة. وتسليحوا بالسلاح مخافة ان تبدو من الفادي، او من احد تلاميذه، أية مقاومة. اما فرقة النور، فلم تحمل معها مشاعل أو مصابيح، لان «نور العالم» كان يتقدمها. ولم تتسلح الا «بالحق» الذي معها. كانت عصاة الظلام مؤلفة من جند الحامية الرومانية التي كانت محتلة قلعة انطونيا، في زاوية الهيكل الشمالية الغربية، وعلى رأسها قائدها (عدد ١٢)، ومن «خدام» السنهدريم الذين أخذهم يهوذا «من عند رؤساء الكهنة والفريسيين». ومن فرط عداوة رؤساء الكهنة والفريسيين ليسوع، نسوا احقادهم القديمة امام هذا «الخصم» المشترك، وتبرع رؤساء الكهنة بخدامهم الخصوصيين (عدد ١٠ و ١٢)، لتنفيذ فكرتهم الاثيمة. أما فرقة النور، فلم يكن فيها سوى الصيادين المساكين، وعلى رأسهم «حمل الله الوديع». ففي هذا البستان التاريخي، التقت المحبة المتجسدة، بالعداوة مجسمة. وتقابل «الحق» مجرداً، بالباطل مساحاً. فانكسرت العداوة امام المحبة، وصُرع الباطل امام «الحق»

عدد ٤ - ٩ (٢). الجنود السافطوره عند قدمي الاسير المنطوع -

عدد ٤. (١). السؤال الهادي: «فخرج يسوع وهو عالم... وقال لهم من تطلبون؟» يذكرنا هذا القول بفتحة الاصحاح الثالث عشر: «وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب... قام عن العشاء». انا مدينون ليوحنا البشير، بوصف المهابة السماوية التي كانت تحف بالمسيح، في

عليه وقال لهم من تطلبون . ه أجابوه يسوع الناصري .

موقعه هذا . ولا شك في ان المسيح الذي جاهد في جثسياني وغلب ، قد حمل معه نتائج هذه الغلبة ، فخرج من صفوف التلاميذ ، وانبرى لعصاة الظلام بثقة الظافر المنتصر « وقال لهم من تطلبون » ؟ الآن جاء وقت « قبلة » يهوذا التي حدثنا عنها سائر البشرين . والظاهر ان يهوذا قبل سيده حالما التقى به — ولكن في انزعاج وارتباك ، وفي ضوء أنوار المشاعل الخادعة ، فلم يلحظه فيها أغلب الذين كانوا معه ، ثم تراجع مندجماً في العصاة التي كانت معه . عندئذ ، سألهم المسيح قائلاً : « من تطلبون » ؟

ان فادينا الشجاع ، لم يرغب في ان يبقى منتظراً حتى يمسك من اعدائه وربما سأل هذا السؤال ، لينع اي اعتداء كان يمكن ان يوجه من الجنود الى تلاميذه . ولعله قصد ان يجعل من سؤاله هذا ، آخر سهم يصوبه نحو قلب يهوذا وعصابته : « من تطلبون » ؟ — هذا عين السؤال الذي وجهه المسيح الى تلميذه الاولين — وكان يوحنا البشير احدهما (١: ٣٨) ، فكان سؤاله لهما ، سبباً في اتباعهما اياه ، وكان نفس هذا السؤال مهدداً لاعدائه سبيل القبض عليه . وكذلك النار ، تذيب الشمع ، وتقسي الطين !

عدد ٥ . (ب) . الجواب الجريء : « أجابوه يسوع الناصري » . لو كان في قلوب أولئك الناس أثر من الانسانية التي تعرف الحياء ، أو بقية من النور الالهي الذي يرجع الانسان عن غوايته ، لتراجعوا عن قصدهم . لكنهم قوم عميان — يفكرون بعقول غيرهم ، ويعيشون بقلوب رؤسائهم ، لا بقلوبهم هم .

قال لهم يسوع انا هو. وكان يهوذا مسلمه ايضا واقفا معهم
٦ فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا

فأجابوه: «يسوع الناصري»! هذا جواب ينم عن شيء من التقهير
والازدراء. وقد غاب عنهم ان الذي يكلمهم، هو الذي كانوا يطلبون.
وباليتهم طلبوه ليتعلموا منه فكانوا إذا به يخلصون!

(ج) الرد القاطع: «قال لهم يسوع أنا هو». هذا جواب مرهف
كالسيف، شديد كالصاعقة، خاطف كالبرق. مرهب بجدته، مفعم بصراحته.
ولكم من المرات نطق المسيح بهذه العبارة مشجعاً تلاميذه - ويهوذا بينهم -
في اوقات عصيبة (٢٠: ٦ و ٢٤: ٨ و ٢٨ و ٥٨ و ١٣: ١٩). ولكنه في هذه
المرّة قال نفس هذه العبارة، لرجال الظلام - ويهوذا بينهم: «وكان يهوذا
مسلمه ايضا واقفا معهم» - مذهولاً من هول هذا الجواب، الذي وقع عليه
وقع الصاعقة. قال المسيح «انا هو»، لكي يميزوه من تلاميذه. فكان في قوله
هذا مقداماً، سخياً بحياته، ضئيلاً بحياته تلاميذه من ان تذهب ضياعاً

عدد ٦ (د) تأثير هذا الرد القاطع: «فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى
الوراء وسقطوا على الارض». ان المجد الالهي الممتاز الذي احاط بالمسيح،
وشعت انواره منه على جبل التجلي، كان يحفّ به في هذا الظرف أيضاً،
فملاً قلوب هذه العصاة فزعاً ورعباً. ومن تأثير هذا المجد عينه، سقط على
الارض شاول الطرسوسي، وكل من كانوا معه (اعمال ٢٦: ١٤)

يقول اغسطينوس: «إذا كان هذا مقدار تأثير الاشرار من رؤيتهم وجهه

على الارض . ٧ فسألهم ايضاً من تطلبون . فقالوا يسوع الناصري .
٨ أجاب يسوع قد قلت لكم اني انا هو . فان كنتم تطلبونني فدعوا

المسيح ، وسمعون صوته ، وهو يقدم نفسه بين ايديهم أسيراً ، فكم يكون مبلغ
تأثرهم من رؤيتهم وجهه الواضح ، وسمعون صوته الرهيب ، حين يجلس على
عرش الدينونة والقضاء ! ؟ »

عدد ٧ . (هـ) السؤال المكرر : « فسألهم ايضاً من تطلبون » ؟ لو لم يكن
المسيح متقدماً الى الصليب طائعاً مختاراً ، لكانت هذه أنسب فرصة يهرب فيها .
وهل مثله يهرب ، وهو الذي قال : « لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن
أخذها ايضاً » (١٨: ١٠) ؟ يُستنتج من سياق الكلام هنا كما ورد في
الاصل — انه بعد ان سقط طالبو المسيح على وجوههم الى الارض ، تقدم
المسيح ، واقامهم ، وأعاد عليهم نفس السؤال ، ولكن بنغمة اقوى . فكان
كلامه لهم على مثال قوله ليهوذا : « يا صاحب لماذا جئت » (متى ٢٦: ٥٠) ؟

(و) الجواب المكرر : « أجابوه يسوع الناصري » ! مع ان المجد الذي كان
يحفّ بالمسيح ، اقنعهم بانه هو مسيح الله ، إلا انهم لم يتزحزحوا عن اللقب
الوضيع الذي تلقنوه من رؤسائهم ، ولم يتحولوا عن قصدهم ، فقالوا : « يسوع
الناصرى » . ولعلمهم أجابوا هذا الجواب ، تهيئاً ، بعد أن أخذوا بجلاله

عدد ٨ و ٩ . (ز) المخلص المفترى : « أجاب يسوع ، قد قلت لكم اني انا
هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون » . الى الآن لم يكن التلاميذ
مستعدين للموت — لامع فاديهم ولا من أجله ، ولكن بعضاً منهم صاروا

هو لاء يذهبون . ٩ ليتم القول الذي قاله ان الذين اعطيتني لم اهلك
منهم احداً . ١٠ ثم ان سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب
عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى

اهلاً لهذا الشرف فيما بعد . ولو قدّر لهم ان يموتوا في هذا الوقت ، لذهبت
دمائهم هباء . لان لا قيمة لذيبتهم ، إلا بعد ذبيحتنا الأعظم . وما دام دم
المسيح وحده كافياً للتكفير عن خطايا البشر ، فلم يكن ما يدعو الى اضافة دماء
التلاميذ عليه، ليكون مجد القداء له هو وحده. ألا ان كفارته عنا ، كافية شافية
رأى يوحنا ان هذه الكلمات ، التي نطق بها المسيح ، متممة لقوله في
صلاته الشفاعية: «ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد» (١٧: ١٢) . ويمكننا
ان نرى فيها ايضاً مثلاً لما عمله المسيح في كفارته العظمى . حين ذاق كأس
الموت ليرويننا نحن بكأس الحياة . وقدم ذاته للأسر ، ليحررنا نحن

عدد ١٠ . (ح) المرافع المتصامم : « ثم ان سمعان بطرس كان معه
سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى . وكان اسم العبد
ملكحس . علمنا من لوقا ٢٢: ٣٨ ، ان الرسل حملوا معهم سيفين قبل ذهابهم
مع سيدهم الى جبل الزيتون ، وهنا يقول يوحنا : « ان سمعان بطرس كان
معه سيف فاستله » . هذا دليل غير مقصود على صدق رواية البشيرين .
وعلى ان رواية احدهم مكملّة لرواية الآخر ، ومفسرة لها ومؤيدة . فقد اتفقت
كلمة يوحنا ولوقا على ان سيف بطرس اصاب العبد في « اذنه اليمنى » (لوقا ٢٢:
٥٠ و يو ١٨: ١٠) ، غير ان يوحنا ، لكونه معروفاً عند رئيس الكهنة اكثر من

وكان اسم العبد ملخس . ١١ فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك

رفاقه، قد أعلمنا باسم عبد رئيس الكهنة : «ملخس»^(*). كما ان لوقا، لكونه طبيباً، اهتم بذكر معجزة الشفاء التي اجراها المسيح في أذن هذا العبد

كان بطرس في عمله هذا، مدافعاً عن سيده دفاعاً يمتنع عن حبه الخالص له . ولعله قصد بدفاعه هذا، ان يؤيد وعده بان يموت من أجل سيده (١٣):

(٣٧) . فكان بطرس في كلا دفاعه ووعدته مقتحماً جباناً . وربما لاجل هذا

السبب، ذكره يوحنا هنا باسمه القديم: «سمعان»، لا باسمه الجديد: «بطرس»

لماذا يا بطرس أشهرت سيفك على عبد رئيس الكهنة، ولم تبقه لرئيس

الكهنة نفسه؟ أليس هذا جبناً منك؟ ولما أشهرت سيفك على عبد رئيس

الكهنة، لماذا نبا بك فأصاب الأذن اليمنى، بدلاً من أن يصيب الرأس؟

أليست هذه ضربة طائشة؟ أوليس هذا كله نتيجة نومك العميق أثناء جهاد

سيدك في جثسياني، فصلدت عنك ضربتك وانت بين نائم ومستيقظ؟

عدد ١١. (ط) الصبور المسلم: «فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في

الغمد، الكأس التي اعطاني الآب ألا أشربها؟ يتألف هذا العدد من

مطريه: الشطر الاول، أظهر فيه المسيح عدم رضاه عن دفاع بطرس: «اجعل

سيفك في الغمد» . لان بطرس بدفاعه عن سيده على هذه الصورة، كاد

ينتزع من فم المسيح حجته التي فاه بها امام بيلاطس: «مملكتي ليست من

هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون» (١٨: ٣٦)

(*) ربما كان هذا الرجل المسمى «ملخس»، ناقل الثلاثين من الفضة — أجرة الاسخريوطي، وانه قد ناوله هذه الاجرة على حدة لما تم التسليم، وان بطرس لاحظ ذلك

في الغمد. الكأس التي اعطاني الآب ألا اشربها

ان عدم رضى المسيح عن دفاع بطرس الغشوم ، يماثله عدم رضاه عن وعده المقام (٣٨:١٣) . فكلاهما صدر عن بطرس في وقت كانت فيه العوامل الجسدانية متسلطة عليه . والشرط الثاني ، عبّر به المسيح عن رضاه التام بإرادة الآب : «الكأس التي أعطاني الآب ألا اشربها» . ترمز «الكأس» الى النصيب الذي عينه الله لكل واحد . وهي في هذه القرينة ترمز الى ارادة الآب من جهة المسيح . وقد يعبر : «الكأس» عن السرور (مز ٢٣: ٥) ، او عن الألم (متى ٢٦: ٣٨) . ان قول المسيح هذا يذكرنا بصلاته في جثسياني (متى ٢٦: ٣٩ و ٤٢) . فيوحنا ذكر جثسياني تلميحا ، ولولم يذكرها تصرّحا (انظر ايضا يو ١٢: ٢٧ و ٢٨)

جميل ان المسيح قال انه أُعطي هذا الكأس «من الآب» لا من يهوذا ، ولا من رؤساء الكهنة ، ولا من الرومان . فلا شيء يحزّ في قلوبنا حزّ السكين ، نظير الاعتقاد بان الناس يستطيعون ان يؤذونا . ولا شيء يملأ القلب عزاء ونميا ، مثل الاعتقاد بان يد الله وراء كل يد ، وفوق كل يد . هذا هو الحق الاعلى ، الذي ضربه المسيح للكنيسة في وقت الألم والاضطهاد ، بل هذا ما يصفه يوحنا في رؤياه بـ «صبر القديسين» . فالحبة المجاهدة عظيمة حقاً . لكن المحبة المحترمة أقوى وأعظم . كان الصليبيون القدماء شجعاناً . ولكن صليبي القرن العشرين ، الذين ينكرون ذواتهم ويضحون بالمال والولد والنفس لأجل المسيح ، هم أرفع شأنًا ، وأوفر شجاعة ، وأحق منهم بتاج الخلود

١٢ ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود

ثانياً : المحاكمة الدينية : (١٨:١٢ - ٢٧)

قال المسيح ليهوذا : «ما أنت تعمله فاعمله باكثر سرعة» - وفعلًا تم يهوذا عمله بسرعة وافرة. وبسرعة اوفر منها ، أُجريت محاكمة المسيح الدينية، ومحاكمته السياسية. فحكم المسيح دينياً بموت مرات . المرة الاولى : امام حنان وفي بيته - وغالباً هو نفس البيت الذي أقام فيه قيافا . والمرة الثانية : حوكم فيها امام مجمع السنهدريم برئاسة قيافا ، في جلسة غير اعتيادية انعقدت تحت جنح الظلام . والمرة الثالثة : امام السنهدريم نفسه في جلسة انعقدت نحو الساعة السادسة صباحاً ، في البهو الواقع جنوبي الهيكل ، أو في «بيت المدراش» . وقد أُوقف المسيح امام السلطات السياسية ، بموت مرات أيضاً . المرة الاولى : امام بيلاطس ، والثانية : امام هيرودس ، والثالثة : امام بيلاطس ايضاً . ومن الغريب ان هذه المراحل الست ، تمت بغاية السرعة ، قبل ان تخرج الشمس من حجلتها ، لتتلاّ ارجاء هذا الكون بأشعة أنوارها الذهبية . ما أشبه رؤساء اليهود ، بمحشرات الظلام ، التي تجدد وتسعى طوال الليل . ثم تختفي عند طلوع الشمس ، لأنها لا تقوى على مواجهة النور ! ولقد كان اليهود في سرعتهم هذه ، مدفوعين بعاملين : اهما داخلي : وهو ان قلوبهم الوحشية التي كانت متعطشة الى دماء القادي ، رغبت في أن ترتوي بدماء بغاية السرعة . والعامل الثاني خارجي : وهو انهم خافوا من أن يتأخروا الى الصباح ، فيستيقظ الشعب اليهودي ، ويشور في وجههم ، فيضيع عليهم قصدهم

قبضوا على يسوع واوثقوه . ١٣ ومضوا به الى حنان اولاً

١٢: ١٨ - ١٤ . المسيح امام حنانه - المحاكمة الدينية الاولى

عدد ١٢ . (١) لقاء القبض على يسوع : بعد ان افهم المسيح اعداءه ، ان لا سلطان لهم عليه ، تقدم متطوعاً مختاراً ، مسلماً نفسه الى أيديهم ، ليلقوا القبض عليه . فجاء عمله هذا متمماً لنبوة قديمة : « ظلم أما هو فتذل ولم يفتح فاه . كناية تساق الى الذبح » (اش ٥٣: ٧) . وكما كانت تُوثق الذبيحة قبل للتقدم بها الى الذبح ، كذلك رضى المسيح لأعدائه بان يوثقوه ، متقدمين به الى الصليب . وقد شاءت الاقدار ، ان يشترك الومم واليهود في التقدم بالمسيح الى الصليب . فالومم كانوا ممثلين في « الجند والقائد » . وكان اليهود ممثلين في « خدام اليهود » . على ان هؤلاء لم يزيدوا عن كونهم مسخرين من رؤسائهم . فنصيبهم في صلب المسيح ، كنصيب السكين التي يسفك بها الانسان دم أخيه الانسان . تقدم هؤلاء يسوع قاصدين بيت حنان ، فارتقوا المنحدر الذي يوصل بين وادي قدرون والمدينة اورشليم ، فدخلوا أبوابها ، واجتازوا شوارعها الضيقة المظلمة ، وأضواء قمر العيد تسطع فوق سقوفها . ما اشبهها بقلوب الفريسيين التي كانت مرتعاً للظلام ، ونور « شمس البر » يشرق حولها !

عدد ١٣ . (٢) المسيح امام حنانه . كان حنان هذا صديقاً ، وقد أتى به هيرودس الكبير الشرير ، من الاسكندرية ليقلده وظيفة رئاسة الكهنوت ، وها قد بلغ الآن السبعين من عمره . وهو أيضاً صاحب الحق في رئاسة الكهنوت ، مع انه كان متقاعداً عن عمله ، لان الوالي الروماني عزله منذ عشرين سنة ، بعد

لانه كان حيا قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة . ١٤ وكان
قيافا هو الذي اشار على اليهود

ان قلده هذا المنصب مدة سبع سنين . وكان اعتباره وتقوذه بين قومه اكثر
كثيراً من صهره قيافا الذي « كان رئيساً للكهنة في تلك السنة » ، اذ قلده
الوالي هذا المنصب ، بعد ان عزل على التوالي أربعة من أبناء حنان حميه .
ولقد كان كل هذا داعياً الى تعزيز نفوذ حنان الذي كان يمدّ هؤلاء الرؤساء
الصغار بمشورته . ما اشبهه بحجة قديمة تنفث سمومها في أفراخها . فيه يقول
التلمود : « ويل لبيت حنان ، ويل لأصواتهم التي هي كفحيح الحيات ، هم
رؤساء الكهنة ، ابناؤهم حفظة الخزانة ، وأصهارهم ولاية الهيكل وخدامهم
يضربون الشعب بالعصي »

قد اهتمَّ يوحنا البشير بأن يخبرنا « ان الجند والقائد وخدام اليهود مضوا
بالمسيح الى حنان اولاً » ، قبل ان يذهبوا به الى قيافا الذي كان رئيساً للكهنة
في تلك السنة ، لان حنان كان لا يزال رئيس الكهنة الحقيقي ، على رغم كون
صهره قيافا رئيس كهنة بحكم القوة السياسية ، فكان ثانيهما يتقلد هذه الوظيفة
اسمياً وصورياً . لذلك كان من الضروري ان يفوز اليهود برأي حنان ، في
قضية المسيح ، قبل ان يعرضوها على قيافا رئيس الكهنة الاسمى ، لان كل
عمل يحكم فيه قيافا ، من غير ان يأخذ فيه رأي حنان ، كان مصيره عدم التنفيذ
عدد ١٤ . (٣) عدم صلاحية قيافا للمحكم في قضية المسيح : « وكان قيافا
هو .. » . من المسلم به شرعاً ، في كل القوانين الوضعية ، ان القاضي لا يصلح

انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب. ١٥ وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع. وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة. ١٦ واما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً. فخرج التلميذ الآخر

للحكم في قضية ما، متى كان قد سبق فأبدى رأياً فيها: «وقيافا هذا هو الذي أشار على اليهود انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب» (١١: ٤٩ و ٥٠) ١٨: ١٥ - ١٨. (١) بطرس ينكر سيده للمرة الاولى - حالاً تقلم الجند، والقائد، وخدام اليهود، وقبضوا على يسوع وأوثقوه، «تركه تلاميذه وهربوا» (مر ١٤: ٥٠). على رغم ما شاهدوه من جلال مجده في البستان، وما قطعوه على انفسهم من عهود ومواثيق بان يظلوا أمناء له حتى الموت (مرقس ١٤: ٢١). والظاهر انهم لاحظوا، بعد ان دافع عنهم سيدهم (١٨: ٨)، أن بقاءهم معه لا ينفعه، وقد يضرهم. ولكنه جبنٌ منهم على كل حال! أما يوحنا الحبيب، فقد رجع وانضم الى الجمهور الماشي من البستان الى دار رئيس الكهنة. ولانه كان معروفاً عند رئيس الكهنة، ومقبولاً في داره - ربما لمعاملات مادية بين رئيس الكهنة وبينه بحكم صناعته كصياد - دخل مع الداخلين الى دار رئيس الكهنة

«اما بطرس» الذي كان تابعاً موكب سيده «من بعيد» (متى ٢٦: ٥٨)، فقد وصل الى الدار، بعد ان كانت الجارية قد أغلقت الباب، فبقي «واقفاً عند الباب خارجاً»، «فخرج التلميذ الآخر» - الذي هو يوحنا غالباً،

الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس .
 ١٧ فقالت الجارية البوابة لبطرس ألسـت أنت أيضاً من تلاميـذ هذا
 الانسان . قال ذاك لسـت انا . ١٨ وكان العبيد والخدام واقفين وهم

و يعتقد جودي ان هذا هو يعقوب اخو يوحنا — «الذي كان معروفاً عند
 رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس» . ان وقوف بطرس عند الباب
 خارجاً ، برهةً من الزمن ، أعطى الجارية البوابة فرصة لتثبت نظرها فيه
 «فـقالت هذه الجارية لبطرس : ألسـت انت ايضاً» — أي مع يوحنا التلميـذ
 المعروف لديها — «من تلاميـذ هذا الانسان» ؟ مسـكينة تلك الجارية المستعبدة!
 فلعلها ظنت ان اسم يسوع أحقر من ان تـلفظ به ، فقالت عنه : « هذا
 الانسان » ! وربما كانت سليمة النية في سؤالها هذا ، ولم تقصد من وراءه ،
 سوى مجرد الاستقصاء ، الذي هو غريزة طبيعية في كل إنسان . ولو كان
 بطرس قد اجابها بالايجاب ، لما أصابه حيف أو ضرر ، فقد كان معروفاً عن
 يوحنا زميله ، انه تلميـذ المسيح ، ولم يوقع به احد أي أذى . لكن ما الحيلة
 وقد استرسل بطرس في تخيلاته ، فرأى نفسه واقعاً في الخطر ، من غير ان يكون
 هنالك خطر ، أو ليس من طبيعة الجبان ، انه متى رأى خيالاً ظنه رجلاً ؟
 امام هذه المخاوف ، تحطمت شجاعة بطرس ، فقال للجارية «لست انا» !

عدد ١٨ . مهـمة الاتصال بين المرة الاولى التي فيها نكر بطرس سيده ،
 وبين المرتين التاليتين : «وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد اضرموا جمرًا ،
 لانه كان برد ، وكانوا يصطلون ، وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي» . حدث

قد أضرموا جراً. لأنه كان برد. وكانوا يصطلون وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي. ١٩ فسأل رئيس الكهنة يسوع

هذا، في منتصف شهر نيسان (مارس - أبريل)، والبرد يكون وقتئذٍ شديداً في اورشليم، لأن هواءها جبلي، فهي مبنية على لسانٍ من الأرض، تفصلها عن بقية البلاد أودية عميقة، تحيط بها من جميع الجهات - إلا جهة واحدة. وهي على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم تقريباً، فوق سطح البحر

ذكر البشرون الاولون، المرات الثموت، التي فيها أنكر بطرس سيده تباعاً - المرة تلو الأخرى، بصرف النظر عن الوضع التاريخي لكل منها، ليظل الكلام في المحاكمة متصلاً. لكن يوحنا رتب كلاً من هذه المرات الثموت، في وضعها التاريخي، مع ذكر الملابس الخاصة التي احاطت بكلٍ. وهذا مما زاد بشارته جمالاً وجلالاً، سيما في عيني رينان، أحد الناقدين الملحدتين عدد ١٩. (٤) رئيس الكهنة يستجوب المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه:

« فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ». في هذا العدد، واصل البشير كلامه الذي قطعه في عدد ١٥، بمناسبة ما كتبه عن انكار بطرس لسيده. فالكلام فيه، متصل بالكلام الذي مررنا به في عدد ١٤

يظن بعض المفسرين، أن «رئيس الكهنة» المقصود هنا، هو قيافا - اعتقاداً منهم أنه لا يجوز اطلاق لقب «رئيس الكهنة»، إلا على من يتقلد هذه الوظيفة بالفعل، مستنديين في ذلك الى ما جاء في عدد ٢٤. ونميل نحن الى الاعتقاد بأن «رئيس الكهنة» المقصود هنا، هو حنّان، لأنه كان لا يزال

عن تلاميذه وعن تعليمه . ٢٠ اجابه يسوع انا كلمت العالم علانية.

حاملاً هذا اللقب على رغم كونه متقاعداً وقتئذ ، بدليل ما جاء عنه في اعمال ٦: ٤ ، حيث ذُكر اسم حنّان مشفوعاً بلقب «رئيس كهنة» ، بينما ذُكر اسم قيافا مجرداً عن هذا اللقب . وكذلك يقول يوسفوس في تاريخه ، عن يوناثان ابن حنّان: «رئيس الكهنة» . (انظر ايضاً لو ٢: ٣) . ومهما يكن من امر شخصية «رئيس الكهنة» هذا ، فهو على كل حال «رئيس كهنة» زائف ، شاءت الاقدار ان يقف امامه «رئيس كهنتنا الاعظم» — وهو موثق
أليس من نكد الدنيا ان نجد العبد حراً ، والحر مقيداً ؟ !

كان قصد حنّان باستجوابه المسيح ، ان يوقعه في ورطة كلامية ، تكون اساساً لاتهامه رسمياً امام السنهدريم ، وبذا يكون هذا «الحية القديمة» قد كافأ انتظارات اليهود فيه . لذلك ألقى سؤالاً ينمُّ عن اتهام ديني ليسوع المسيح بان له تلاميذ معروفين في ضوء النهار ، واتباعاً مستورين في الخفاء ، ومشاركين معه في الذنب . وان له تعاليم صالحة ينادي بها في وضوح النهار ، وتعاليم اخرى غير قوية يوسوس بها تحت جناح الظلام

عدد ٢٠ و ٢١ . (٥) جواب المسيح على سؤال رئيس الكهنة : « أجاب يسوع انا كلمت العالم علانية » . أنكر المسيح بشم و اباء ، ما عزاه اليه «رئيس الكهنة» الزائف ، وأعلن بكلمات واضحة كالنهار ، مرهفة كالسيف ، قوية كالنور : ان تعاليمه نور ، ولا يتسع لها المجال إلا في النور . واما الظلام ، فليُسأل عنه أهل الظلام ، وعلى رأسهم حنّان وصهره قيافا وأعضاء السنهدريم ،

انا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً.
وفي الخفاء لم أتكلّم بشيء. ٢١ لماذا تسألني انا. اسأل الذين قد سمعوا
ماذا كلمتهم. هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا. ٢٢ ولما قال هذا لطم
يسوعَ واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً اهكذا تجاوب رئيس الكهنة

الذين عقدوا مجلسهم تحت جنح الظلام ، غير مكترئين لقانون ولا نظام : « انا
علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً . وفي الخفاء
لم أتكلّم بشيء » . - الآن أصبح المستجوب مستجوباً ، وأضحى القاضي متهماً
بعدم التبصر والروية ، إذ سأله المسيح قائلاً : « لماذا تسألني انا . إسأل الذين
قد سمعوا ماذا كلمتهم ، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا » . ولعلّ المسيح أراد
بقوله هذا ، ان يبيّن لرئيس الكهنة ، ان القوانين تقضي بان لا يقدم احد
للمحاكمة ، إلا من قدّم في حقه اتهام . أما ان يتبرع هو لنفسه بالاتهام ، فهذا
أمر لا يعرفه سوى قضاة الظلم والظلام !

عدد ٢٢ . (٦) اعتداء احد الحرم على يسوع : « ولما قال هذا لطم
يسوعَ واحد من الخدام كان واقفاً » . كان وقع جواب المسيح أليماً على رئيس
الكهنة ، فظهرت عليه سيئات الخجل والامتعاض . فقصده خادمه الذليل ، ان
يترضى وجه سيده . وفي ساحة القضاء داس العدالة بقدميه القدرتين ، وطم
بيده الدنسه وجه المسيح الوضيء . يا ليت هذه اليد قد شُلت ، قبل ان تمتد
الى وجه المسيح الذي هو ابرع جمالاً من بني البشر ! ولكن ذلك البأس
التعيس ، قد اراد ان يشتري رضى سيده بهذا الثمن . وما أغلاه من ثمن !

٢٣ اجابه يسوع ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وان
حسناً فلماذا تضربني . ٢٤ وكان حنان قد ارسله موثقاً الى قيافا

عدد ٢٣ . (٧) جواب المسيح على هذا الاعتداء : يذكرنا تصرف هذا
الخادم ، بتصرف خادم آخر ، اثناء محاكمة بولس الرسول (اعمال ٢٣: ٣). أما
هذا الخادم، فقد تطوع بهذه اللطمة . وأما ذاك ، فضرب بولس بأمر رئيس
الكهنة . ولكن بولس لم يستطع ان يكبح جماح نفسه ، وفي ثورة غضبه، تقوّه
بكلمات اضطر ان يقدم عنها اعتذاراً (اعمال ٢٣: ٥) . أما المسيح ، رب بولس
فلم يقل كلمة في غير محلها ، واذا وجد نفسه في ساحة العدالة ، ورأى العدل
مذبوحاً امام عينيه ، والحق مدوساً تحت أقدام البشر ، فاه بكلمة حق ،
مدافعاً بها عن «الحق» . ولا عجب . فهو «الحق» مجسماً : «أجاب يسوع ان
كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وان حسناً فلماذا تضربني» !
وجدير بالذكر ، ان تصرف المسيح في هذا الظرف ، لا ينافي قوله في متى
٣٩: ٥ ، فلم يكن عمله هذا سوى تفسير معنوي لما قال هنالك

عدد ٢٤ . من مناه الى قيافا — المحاكمة الربنية الثانية : «وكان حنان
قد ارسله موثقاً الى قيافا» . ذكر يوحنا هذه العبارة، دفعاً لتصور القارىء، ان
يسوع لم يحاكم دينياً إلا امام حنّان . فأشار الى المحاكمة الثانية التي سبق فكتب
عنها متى ومرقس بافاضة (متى ٢٦: ٥٩-٦٦ ومرقس ١٤: ٥٥-٦٤) . ان
الترجمة الصحيحة للعبارة الاولى من هذا العدد، هي : «وأرسله حنان موثقاً
الى قيافا» . (انظر هامش الترجمة العربية المعروفة بترجمة بيروت). والظاهر ان

رئيس الكهنة ٢٥ وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي . فقالوا له

المسيح ، اذ أوقف امام حنّان ، حلّوه من وثقه ، وبعد استجوابه ، أمر حنّان بأن يوثقوه ايضاً ، على اعتبار انه أصبح متهماً شرعاً ، وان يرسلوه الى قيافا عدد ٢٥ . (ب) بطرس ينكر سيده للمرة الثانية . من الكلام عن موقف المسيح امام « رئيس الكهنة » ، عاد يوحنا البشير فحدثنا عن سمعان بطرس . وكان البشير أراد ان يحدثنا في الفصول التي يتألف منها الاصحاح الثامن عشر ، عن يسوع وعن سمعان ، بالتبادل : في الفصل الاول المبتدئ بالعدد الاول ، أخبرنا عن يسوع . وفي الفصل الثاني المبتدئ بعدد ١٠ ، كتبنا عن سمعان بطرس . في الفصل الثالث المبتدئ بعدد ١٢ ، عاد فحدثنا عن يسوع . وفي الفصل الرابع المبتدئ بعدد ١٥ ، عاد الى سمعان . في الفصل الخامس المبتدئ بعدد ١٩ ، استأنف الكلام عن يسوع . وفي الفصل السادس الذي نحن بصدده الآن ، عاد ايضاً الى الكلام عن سمعان بطرس

ان المرة الاولى التي فيها أنكر بطرس سيده ، وقعت في بيت حنّان ، وكذلك المرة الثانية والمرة الثالثة ، لأن عدد ٢٥ يرجع بنا الى ذات الموقف الذي تركناه في عدد ١٨ : « وكان بطرس واقفاً يصطلي » . والظاهر ان حنّان وقيافا كانا يسكنان داراً واحدة ، في محلين تفصل بينهما باحة فسيحة ، وان بطرس انكر سيده في هذه الثموت المرات ، امام ذات الاشخاص ، وتقريباً في نفس المكان الواحد . ولكن في اوقات مختلفة ، ومناسبات متباينة

في المرة الاولى ، انكر بطرس سيده ، نتيجة سؤال الجارية ايّاه : « ألسنت

ألست أنت أيضاً من تلاميذه . فانكر ذلك وقال لست انا . ٢٦ قال

أنت أيضاً من تلاميذ هذا الانسان ؟ (عدد ١٧) . ثم خرج خارجاً الى الدهليز ليتحاشى الاستجواب مرة أخرى . لكنه في هذه المرة الثانية ، أنكر سيده نتيجة سؤال وجه اليه من الخدم . وفي الغالب علم هؤلاء الخدم بصلاة بطرس يسوع ، من جارية أخرى كانت واقفة على الباب الخارجي المؤدي الى الدهليز (متى) . ولعلها تلك التي قامت بدورها في حراسة الباب بدلاً من الجارية الأولى . على انه لم يكن هنالك ما يدعو إلى وقوع بطرس مرة ثانية في خطيئته الأولى ، لأن الذين سألوه هذا السؤال ، لم يقصدوا من ورائه ايقاع الأذى به ، ولكن بطرس كان مدفوعاً الى تكرار خطيئته الاولى بعاملين : اولهما — ان الوقوع في خطية لأول مرة ، يهد السبيل للوقوع فيها مرة ثانية ، فكأنما كل خطية يرتكبها الانسان ، تنحىء في قلبها مغناطيسية كبرى ، تجتذب بها الانسان اليها . والعامل الثاني : ان بطرس ورط نفسه بوجوده في زمرة الخدم ، الذين كانوا جاعلين المسيح البريء موضوع تسليةهم ومزاحهم ، وهم حول النار يستدفئون . وفي الغالب جداً ، جازاهم بطرس في محادثاتهم هذه ، ولم يبدِ استنكاراً ولا احتجاجاً . من أجل ذلك كان من الصعب عليه ، ان يعلن فيما بعد ، انه من تلاميذ «ذاك» الذي جعله الخدم موضوع مزاحهم

عدد ٢٦ و ٢٧ . (ج) بطرس ينكر سيده للمرة الثالثة : انكر بطرس

سيده في المرتين السابقتين ، من غير ان يكون مهدداً بشيء ما . ولكن موقفه في هذه المرة الثالثة كان حرجاً جداً ، لان لغته التي بها انكر سيده في المرة الثانية ،

واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس
أذنه اما رأيتك انا معه في البستان . ٢٧ فانكر بطرس ايضاً .

أظهرته انه جليلي — فالجليلي يتميز عن سواه من سكان فلسطين ، بلفظه
حرف «الشين» كأنه «ثاء» او «سين» وهذا دفع «واحداً من عبيد رئيس
الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه» الى ان يواجه بطرس بهذا السؤال:
«اما رأيتك انا معه في البستان»؟ الآن رأى بطرس نفسه محاطاً بمخاطر عدة،
وأدرك انه لا محالة واقع تحت المحاكمة نتيجة تعديه على العبد ، فاستسلم لقياد
المجرب العظيم . ولكي يقدم برهاناً عملياً ، على ان مشربه لا يتفق ومشرب
ذلك المعلم الجليلي ، اندفع — وعادته دائماً الاندفاع — وتمادى في الحلف
واللعن ، مؤكداً انه «لا يعرف ذاك» . «والوقت صاح الديك» !

ان انكار بطرس لسيده في المرتين الثانية والثالثة ، حدث أثناء محاكمة
المسيح أمام حنان . ومن الغريب انه حالما انتهت هذه المحاكمة ، كان بطرس
قد انتهى ايضاً من انكار سيده مثنى ومثوث . وفي خروج المسيح من مسكن
حنان الى مسكن قيافا، كان الديك قد صاح . فخانث من المسيح التفاته^(١) الى

(١) الارجح ان بيت رئيس الكهنة كان مبنياً ، كأكثر البيوت في الشرق ، حول
دار مربعة الشكل ، غير مسقوفة ، متصلة بدهليز يدخلون اليه من بوابة كبرى على الشارع .
وفي هذه الدار اضرم العيد والخدام النار . وفي الغالب وقف يسوع امام «عظيم الكهنة»
في حجرة بجانبها ، فكان يسمع كل ما قيل حول النار ، وكان بطرس في الدار يشاهد كل
ما جرى للمسيح . وفي خروج المسيح من حجرة حنان الى حجرة قيافا ، اجتاز الدار التي
كان بطرس فيها ، فالتفت اليه . فخرج بطرس الى خارج وبكى بكاء مرأ

ولوقت صاح الديك . ٢٨ ثم

بطرس «فتذكر كلام الرب يسوع كيف قال له انتك قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات . فلما تفكر به خرج الى خارج وبكى بكاء مرأ»

ثالثاً : المحاكمات السياسية : (٢٨: ١٨ — ١٦: ١٩) (١)

انتهت الادوار الثموية، التي تألفت منها محاكمة يسوع الدينية. ففي الدور الاول، حوكم أمام حنان «رئيس الكهنة» الحقيقي المحترم من الشعب . وفي الدور الثاني حوكم امام مجلس السنهدريم — مجلس السبعين — برئاسة قيافا «رئيس الكهنة» الرسمي في تلك السنة، في جلسة انعقدت خصيصاً تحت جناح الظلام . وفي هذا الالتئام، حكم على المسيح بالاعدام . وفي الدور الثالث حوكم امام مجلس السنهدريم برئاسة قيافا ايضاً، في جلسة انعقدت عند الساعة السادسة صباحاً، وفيها ايدوا ما قرروه في الجلسة السابقة. على ان اليهود لم يستطيعوا ان ينفذوا في المسيح حكم الاعدام، لانهم كانوا وقتئذٍ مستعبدين للدولة الرومانية، التي سلبت منهم هذا الحق (عدد ٣٨)، مع انها اوهمتهم انهم مستقلون استقلالاً ذاتياً. اذ صرحت لهم بان يحاكموا مذنبهم الدينيين، وان ينفذوا فيهم ما يصدر عن عليهم من احكام — الا حكم الموت، فكان عليهم ان يرجعوا في تنفيذ هذا الحكم الاخير الى رأي الدولة الرومانية. ويقول التلمود: «قبل خراب الهيكل باربعين عاماً، انتزع من اسرائيل حق الحكم بالاعدام»

ولئن أُتيح لليهود مرة، ان يحكموا على استفانوس بالاعدام، وأن ينفذوا فيه هذا الحكم رجماً بالاحجار، اثناء غياب الحاكم الروماني عن اورشليم

جاءوا يسوع

وقتئذ ، الا اهتم لم يستطيعوا ان يوقعوا هذه العقوبة على المسيح — لسببين :
أولهما — سبب ارضي ، ثانوى . وهو : ان الحاكم الروماني — « بيلاطس » ،
كان موجوداً في اورشليم آنئذ ، لمراقبة اليهود اثناء عيد الفصح . والسبب
الثانى — سماوى رئيسى ، وهو : ان الله كان قد قضى منذ القديم ، بان يموت
المسيح مصلوباً ، لتحقيق عليه اللعنة التي بها يرفع عن العالم لعنة الخطية . فكان
من الضروري اذاً ، ان يتدخل الرومان في الأمر ، ليموت المسيح مصلوباً —
حسب احكام الرومان ، لا رجماً بالاحجار — حسب عوائد اليهود (عدد ٣٢)

وكان بيلاطس ممثل الدولة الرومانية في اورشليم وقتئذ . وهو للأسف
مجموعة من الاخلاق المتناقضة . فيه اجتمع الجبن بالعنفوان ، والغباء بالحكمة ،
والعدل بالظلم والعدوان ، فكان حاكماً محكوماً ، بريئاً مذنباً . ولقد أفاض يوحنا
البشير في وصف محاكمة المسيح امام بيلاطس ، اكرم من سائر البشيرين . ومن
المحقق انه كان شاهد عيان . لان الذي دخل دار رئيس الكهنة مخاطرأ بحياته ،
لم يتردد عن ان يرافق المسيح الى دار الولاية ، والى الجلجثة (١٩ : ٢٦)

تقع هذه المحاكمة ، كما وصفها البشير ، في سبع مراحل :

المرحلة الاولى — خارج دار الولاية (١٨ : ٢٨ — ٣٢) . المرحلة الثانية —

داخل دار الولاية (١٨ : ٣٣ — ٣٨ (ا)) . المرحلة الثالثة — خارج دار

الولاية (١٨ : ٣٨ (ب) — ٤٠) . المرحلة الرابعة — داخل دار الولاية (١٩ :

١ — ٣) . المرحلة الخامسة — خارج دار الولاية (١٩ : ٤ — ٨) . المرحلة

من عند قيافا الى دار الولاية .

السادس - داخل دار الولاية (١٩: ٩-١١) . المرحلة السابعة - خارج دار الولاية (١٩: ١٢-١٦)

فما أمر ذلك السبيل، الذي سلكه المسيح القادي - من خارج دار الولاية - الى داخلها، ومن داخلها الى خارجها. فكأنَّ خالق هذه الكرة الأرضية، صار كالكرة بين أيدي البشر، يتقاذفونها هنا وهناك ! كل هذا لأجلنا، وحباً بنا . هذه خطوات ممرمة للصليب، بل هي عسيرة الصليب

المرحلة الاولى في المحاكمة السياسية - خارج دار الولاية - اليهود يطلبون تنفيذ حكمهم على المسيح من غير ان يوجهوا اليه تهمة معينة

عدد ٢٨ . (١) . زمانه ومكانه المحاكمة - انتهى اليهود من محاكمة المسيح . عند الساعة السادسة صباحاً، « ققام كل جمهورهم » - مبكرين - « وجاءوا يسوع من عند قيافا الى دار الولاية » ، التي كان يقيم فيها بيلاطس ، ليتفرغوا فيما بعد لأكل الفصح ، الذي صار مواعده على الابواب . وكانهم وطنوا نفوسهم ، على ان يترنحوا أولاً بكأس دم حمل الله الوديع ، قبل ان يشربوا كأس الفصح ! أمّا الدار التي أقام فيها بيلاطس ، فقد كانت قصرًا ملكيًا بناه هيرودس الأكبر - الذي كان له ولع خاص بالبناء - على تل واقع جنوبي غربي جبل المريا الذي أقيم عليه الهيكل ، ليضارعه في فخامة البناء وجلال للنظر

(٢) الترميم الزائف : كانت هذه الدار مؤلفة من بناء فخم ، يتصل به جناحان عظيمان . وامام هذا البناء المتوسط ، يمتد بهوٌ غير مستقوف ، أُقيمت

وكان صبح ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فياً كلون
الفصح . ٢٩ نخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا
الانسان . ٣٠ اجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا

فيه منصة للقضاء ، فصعد عليها بيلاطس ، واعوانه ، ويسوع . وحضر ايضاً
المشتكون عليه بزعامة قيافا . ولقد تمّ هذا الدور الاول من المحاكمة في هذا
القضاء ، لأن اليهود امتنعوا عن ان «يدخلوا الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا
فياً كلون الفصح» . يا لشقاوة هؤلاء القوم ! فقد قبلوا عن طيب خاطر ،
ان يلطخوا ايديهم بدم المسيح البار ، لكنهم امتنعوا عن ان يدخلوا تحت
سقف بيت روماني ، مخافة ان يكون فيه شيء من الخير ، فيتنجسوا ، ويحرّم
عليهم أكل الفصح . هذا كل ما وصل اليه تديّثهم : «قبور مبيضة من
الخارج ، وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة»

عدد ٢٩ . (٣) المتهم الجبان : اما بيلاطس الجبان ، فقد انصاع لارادتهم ،
وخرج اليهم ، وقال «أية شكاية تقدمون على هذا الانسان» . لم يرغب
بيلاطس في ان يسلم لهم بالموقف المزري الذي ارادوه له ، يجعلهم اياه مجرد قوة
منفذة لأحكامهم فأفهمهم ، انه هو صاحب الحق ، في التحقيق والقضاء

عدد ٣٠ . (٤) كبرياء ممنهجة برهاء : «أجابوا وقالوا له : لو لم يكن
فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك» . هذا جواب صادر عن قلوب مشحونة
ظلماً ورياء ، ودهاء وكبرياء . كأنهم ارادوا ان يحملوا بيلاطس على ان يضع
«بصمته» على حكمهم . ولعلمهم عزموا على ان لا يتكلموا امام بيلاطس الحاكم

قد سلمناه اليك . ٣١ فقال لهم ييلاطس خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم . فقال له اليهود لا يجوز لنا ان نقتل احداً . ٣٢ ليم قول يسوع الذي قاله مشيراً الى اية ميتة كان مزماً ان يموت

السياسي ، بامور دينية خاصة بهم . وقد فاتهم ان الحكم الروماني كان مطبوعاً بطابع خاص — العداوة فروع كل شيء .

عدد ٣١ . (٥) دهاء يفره دهاء . ان ييلاطس العنيد ، المتكبر ، الخبيث ، لم تفته حياة اليهود ، فأجابهم على حيلتهم . بحيلة أدهى منها ، ولطم كبرياءهم بلطمة أشد منها واقوى ، فأصابتهم هذه اللطمة الشديدة في صميم عزتهم القومية ، حين قال لهم : « خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم » . ولعل ييلاطس قصد في الوقت نفسه ان يوجد لنفسه منفذاً ، يساعده على الخروج من هذا المأزق الذي اوجدوه فيه ، فأحالهم الى « ناموسهم »

(٣) الحقيقة المرة — خراً اليهود امام لطمة ييلاطس صاغرين ، لانها ذكرتهم بوقوعهم في مخالب النسر الروماني . فاعترفوا له بعجزهم وعجز ناموسهم معهم ، عن « ان يقتلوا احداً » ، وقالوا بنغمة يمازجها التحسر والحجل : « لا يجوز لنا ان نقتل احداً »

عدد ٣٢ . (٧) نبوة قديمة نمت : « ليم قول يسوع الذي قاله مشيراً الى اية ميتة كان مزماً ان يموت » (٣: ١٤ ، ٨: ٢٨ ، ١٢: ٣٢) . ولولا هذا العجز ، الذي اوقعهم فيه الحكم الروماني ، لأماتوا المسيح رجماً بالاحجار — لا مصلوباً . راجع تفسير عدد ٢٨

٣٣ ثم دخل ييلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع

المرحلة الثانية في المحاكمة السياسية - داخل دار الولاية « الاعتراف
الحسن » - المسيح ملك (١٨: ٣٣ - ٣٨ (أ))

ينبثنا لوقا البشير، بان اعداء المسيح، ابتدأوا حينئذ يشكون عليه
قائلين: «إننا وجدنا هذا» - ما أمر التحقير الذي لفظوا به كلمة « هذا » !
« يفسد الأمة ويمنع ان تُعطى جزية لقيصر قائلاً انه هو مسيح ملك ». هذه
هي التهمة الثموت، التي قدموا بها المسيح الى ييلاطس. فالتهمة الاولى جوفاء:
« هذا يفسد الأمة »، لانها قد تطلق على اي انسان - ومن باب أولى عليهم
هم. أليسوا هم الذين افسدوا ضمير هذا الشعب الساذج؟ والتهمة الثانية: « ويمنع
ان تعطى جزية لقيصر » - هذه تهمة باطلة بطلاناً اصلياً. ألا يذكرون قوله في
مناسبة سابقة: « اعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر؟ » (لو ٢٠: ٢٥) أما التهمة
الثالثة: « انه مسيح ملك »، فقد اجادوا تلفيقها وجبكها، واحكموا صوغها في
قالب يسترعي التفات ييلاطس الروماني

عدد ٣٣. (١) ييلاطس يستجوب المسيح على انفراد. من أجل ذلك
أراد ييلاطس، ان يحقق هذه التهمة الواضحة، لانها تهمة سياسية، تتعلق
بوظيفته كمندوب قيصر امام اليهود. فأى تهاون يبدو منه في تحقيق هذه التهمة،
كان كافياً لأن يجعله مضغة في افواه اليهود الذين لا يترددون عن ان يشوا
به الى قيصر، لذلك « دخل ييلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع »
وحده اليه. الآن قد تحول وجه المسيح عن اليهود، واتجه الى ييلاطس

وقال له انت ملك اليهود . ٣٤ اجابه يسوع اُمن ذاتك تقول هذا
ام آخرون قالوا لك عني . ٣٥ اجابه ييلاطس أَلِيّ انا يهودي .

الامي ! ألا يُعتبر عمله هذا ، رمزاً الى تحوّل انجيله في المستقبل ، عن
اليهود ، واتجاهه الى الأمم ؟ أو ليس هذا عقاباً عادلاً لليهود ، الذين أسلموا
ملكهم ، باختيارهم ، الى القوة الرومانية ، التي داست رقابهم بقدميها ! ؟
هناك في تلك القاعة الرومانية الجميلة ، جلس ييلاطس الوالي الزائف ،
واوقف امامه «والي الولاية» . فالتقى في تلك الغرفة ، قلب الليل بصدر النهار
وتقرس الحق مجسماً في وجه الظلم متأنساً . ومن الغريب ان يقف «الحق» في
هذه الدنيا ليحاكم امام الظلم . لكنّ دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة
سأل ييلاطسُ يسوعَ قائلاً : «أأنت ملك اليهود» ؟ وكأني بذلك
القم الروماني الأجوف ، يلفظ كلمة «انت» بأنفاس التحقير والازدراء !

عدد ٣٤ . (٢) المسيح يجاب ييلاطس : «أجابه يسوع اُمن ذاتك تقول
هذا أم آخرون قالوا لك عني» ؟ اي — أتقصد بكلمة : «ملك» ، ما تفهمه انت
منها ، او ما يفهمه اليهود منها ؟ نعم ان المسيح « ملك » ، ولكن ليس بالمعنى
السياسي الذي يفهمه ييلاطس . ولقد اصاب المسيح كبدا ييلاطس بهذا السؤال
الذي بدأ فيه المتهم يقف موقف المستجوب ، والوالي موقف المستجوب

عدد ٣٥ . (٣) ييلاطس يتبرم ، ويعبر استجواب المسيح : « أجابه
ييلاطس أَلِيّ انا يهودي ؟ أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك اليّ » . تبرّم
ييلاطس من السؤال الذي وجهه اليه المسيح ، وقال غاضباً : « أَلِيّ انا

أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك الي . ماذا فعلت . ٣٦ اجاب يسوع
مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان
خدائي يجاهدون لكي لا اسلم الى اليهود . ولكن الآن

يهودي ؟ ! قصد بيلاطس ان يعثر بهذا الجواب ، عن ترفعه وعدم مبالاته ،
وان يجعل منه طعنة نجلاء يوجهها الى المسيح والى اليهود في وقت واحد ،
فقال : «أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك اليّ» . وكأني به يقول للمسيح : «ان
بليتك جاءتك من أمتك» . هذا مصداق لقول الكتاب : «الى خاصته جاء
وخاصته لم تقبله» . وفي الوقت نفسه قال بيلاطس لليهود ضمناً : «انكم قد غدرتم
بملككم» ! ثم شرع يسترد مركزه كوال محقق ، فقال للمسيح : «ماذا فعلت» ؟

عدد ٣٦ . (٤) الجانب السلبي ، من اعتراف المسيح الحسن . ان لاعتراف
المسيح الحسن جانبين : اولهما سلبي ، وثانيهما ايجابي . في الجانب السلبي ،
«اجابه المسيح» انه ليس ملكاً بالمعنى السياسي الذي يفهمه بيلاطس ، ثم أقام
الحجة على هذه الحقيقة : «مملكتي ليست من هذا العالم» . أي انها لا تستمد
أساسها ، ولا شرائعها ، ولا اسلحتها ، ولا سلطانها ، ولا طبيعتها من هذا العالم .
فطبيعتها منافية لطبيعة العالم ، لانها هي من فوق والعالم من اسفل (٢٣: ٨) . أما
الحجة التي ذكرها تأييداً لهذه الحقيقة فهي : «لو كانت مملكتي من هذا العالم
لكان خدائي يجاهدون لكي لا أسلم الى اليهود» . والدليل على ذلك ، انه
واقف امام بيلاطس موثقاً ، وانه عندما تطوع احد جنوده للدفاع عنه ،
زجره قائلاً : «اجعل سيفك في الغمد» (١١: ١٨) . «ولكن الآن» — أي

ليست مملكتي من هنا . ٣٧ فقال له ييلاطس أفأنت إذاً ملك .
اجاب يسوع انت تقول اني ملك . لهذا قد ولدت ولدت انا ولهذا قد
اتيت الى العالم لاشهد للحق

ها قد وضع امامك جلياً ، ان « مملكتي ليست من هنا » . ومن المحقق ان
بيلاطس كان قد أبلغ هذا الخبر من الجنود الذين ألقوا القبض على يسوع
عدد ٣٧ . (٥) بيلاطس يستجوب المسيح للمرة الثالثة عما اذا كان ملكاً :
سمع بيلاطس كلمة : « مملكتي » من المسيح ، ثموت مرات ، في جوابه . فقال
فرعاً : « أفأنت إذاً ملك ؟ » ولعله قصد في الوقت نفسه ، ان يحبك من خيوط
سؤاله هذا ، شبكة يمسك بها المسيح متلبساً بالجريمة التي اشتكى بها عليه اليهود
(٦) الجانب الإيجابي من اعتراف المسيح الحق . ان رب المجد ، قطع
بسياف « الحق » ، هذه الخيوط الواهية الوهمية التي حبكها بيلاطس ، فقال :
« أنت تقول اني ملك » . فنسب هذا القول الى بيلاطس لا الى شخصه ، وفي
الوقت نفسه اقر به ولم ينكره . ثم أبان لبيلاطس ، نوع السلاح الذي به
يؤيد المسيح ملكه ، فقال : « لهذا قد ولدت أنا . ولهذا قد أتيت الى العالم .
لأشهد للحق » . فالحق يسوع هذا الملك ، وهو اماس ملكوته وعماده . فهو
اذناً ملك ، وهو أيضاً نبي حامل رسالة « الحق » . وبهذا الحق ، يؤسس ملكه ،
ويرفع لواءه ، ويرغم . في هذا تختلف مملكة المسيح عن مملكة قيصر .
فالاولى تجمع قلوب البشر ، والثانية تسحق امساكرهم . قوة الاولى في الحق
وقوة الثانية في الحديد والنار . الاولى دافعية ، دائمة . والثانية هارسية ، زاهية

كل من هو من الحق يسمع صوتي . ٣٨ قال له ييلاطس ما هو الحق
ولما قال هذا خرج ايضاً الى اليهود وقال لهم

الآن، رأى المسيح ان الوقت قد حان ليصيب كبد ييلاطس مرة أخرى،
فسلط عليه نور «الحق» ، قائلاً : «كل من هو من الحق يسمع صوتي»
كأنه قال ضمناً لييلاطس: «أأنت من الحق؟ ان كنت تسمع صوتي فأنت
من الحق ، لان الحق يتبرر دائماً من بنيه . والا. فلا»

عدد ٣٨ . (٧) ييلاطس يسأل عن الحق من غير انه ينتظر جواباً —
سمع ييلاطس من المسيح قوله : «كل من هو من الحق يسمع صوتي» ،
فأحس مرة أخرى بأن كرسيه يرتج من تحته ، وان المحاكمة عادت قاتلقت
عليه ، وان ذلك «المتهم» العجيب — المسيح — قد وقف منه موقف القاضي،
وأوقفه هو موقف المتهم . واذا أدرك ان اطالة مدة الانفراد بهذا «المتهم»
العجيب ، لا تزيده الا تورطاً ، قصد ان يصرف الموضوع ، بسؤال ألقاه على
المسيح ، بين هازل وعابث، وهو لا ينتظر عنه جواباً : «ما هو الحق»؟^(١)

المرحلة الثالثة في المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — ييلاطس يقر
ببراءة المسيح لأول مرة — باراباس أم المسيح؟ (٣٨ ب) — (٤٠) . لم يكن
ييلاطس في سؤاله عن «الحق» جاداً ، بل كان عابثاً هازلاً . فسؤاله عن
«الحق» ، كسؤال الظالم عن العدالة ، والمستبد عن الرحمة . لان الذي يعرف
شخصية ييلاطس ، يؤكد ان بينه وبين الحق مراحل . لذلك لم يستطع ان

(١) لو كان ييلاطس جاداً في سؤاله، وغير كلمة «ما» بكلمة «من» ، لوجد خير جواب
على سؤاله ، في المسيح الواقف امامه (٦: ١٤)

انا لست اجد فيه علة واحدة. ٣٩ ولكم عادة ان اطلق لكم واحداً في الفصح. اقتريدون ان اطلق لكم ملك اليهود.

ينتظر جواباً عن سؤاله . وهل تقوى حشرات الظلام على انتظار بزوغ نور الشمس ؟ من أجل ذلك فر ييلاطس هارباً ، وخرج الى اليهود مرة أخرى وقال لهم : « انا لست أجد فيه علة واحدة »

عرفنا البشرون الاولون ، ان رؤساء الكهنة والشيخوخ ، حالما سمعوا تصريح ييلاطس ، لأول مرة ، ببراءة المسيح ، « كانوا يشددون قائلين انه يهيج الشعب . وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل الى هنا » . أما ييلاطس ، فقد كان يحاول ان يجد وسيلة يتذرّع بها للخروج من هذا المأزق الحرج ، الذي أوجده فيه وقوف المسيح امامه ، أو بالحري وقوفه هو امام المسيح . فلما سمع عَرْضاً ، ذكر « الجليل » ، وجد ان اول وسيلة يمكن ان يتذرّع بها للهرب من المسئولية ، هي ان يرسل المسيح الى هيرودس والي الجليل ، الذي كان حينئذ في اورشليم — على اعتبار ان يسوع جليلي تابع لسلطنة هيرودس . أما هيرودس ، قبيل المخلص بكل فرح ، لانه كان مشتاقاً من زمان طويل ان يراه ، وترجى ان يصنع الآن آية امامه . غير ان المسيح لم يجبه بشيء عن جميع سؤالاته ، ولا أجاب عن شكاوي الكهنة والرؤساء الذين صحبوه الى ذلك الوالي . فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزأ به ، وألبسه لباساً لامعاً ، وردّه الى ييلاطس . وفي الوقت نفسه اعتبر ارسال ييلاطس ليسوع اليه ، علامة محبة ووداد من جانب ييلاطس ، فكان هذا

٤٠. فصرخوا ايضاً جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصاً

باعثاً على ارجاع الصداقة التي كانت قد تقطعت اوصالها بينهما. فما اعجب فادينا ! فهو صانع سلام حتى في محاكمته الاخيرة ! حقاً هذا هو ابن الله ! اما بيلاطس ، فكان لم يزل مُصرّاً على اطلاق يسوع ، فجلس في هذه المرة رسمياً على كرسي الولاية كقاضٍ (متى ٢٧: ١٩) ، واعلن انه هو و هيروودس قد فحصا يسوع ، ولم يجد فيه علة . فكان الواجب حينئذ على بيلاطس القاضي الروماني — والقضاء الروماني متصف عادةً بالعدالة — ان يطلق المسيح ، بعد ان ثبتت له براءته . ولكن هذا الرجل الضعيف ، قد لانت قناته امام تشدد اليهود ، فتذرع بوسيلة ثانية للخروج من هذا المأزق ، محاولاً ان يستفيد من عادة قديمة ، كان قد عود اليهود عليها — وهي ان يُطلق لهم كل عيد فصيح مجرمًا — كأنه قد ثبت لديه ان المسيح مجرم . فالتجأ الى عواطف الشعب اليهودي ، علّه يفوز منهم بكلمة عن اطلاق المسيح . وعرض عليهم ان يختاروا: بين ان يطلق لهم المسيح ملكهم او باراباس القاتل المجرم . وفيما كان بيلاطس منتظراً الشعب ، ليختاروا من يُطلق لهم ، ووصلته رسالة من امرأته التي يُظن ان اسمها «كلا فدييه بريكيولا» . عجيب ان الشخص الوحيد الذي تطوع للدفاع عن مخلصنا في هذه الساعة الدقيقة ، ليس رجلاً من اتباعه . بل امرأة وثنية ! وفي هذه الاثناء كان رؤساء الكهنة يحرضون الشعب على ان يختاروا « باراباس » — ومعناه : «ابن ابيه ، او ابن العباس ، او ابن المعلم» . فصرخ الشعب اليهودي بجملة قائلًا : «ليس هذا بل باراباس» . هذه لطخة سوداء على جبين الشعب اليهودي ، الذي فضل اللص القاتل على المسيح الملك

الاصحاح التاسع عشر

تنمة المحاكمة، والصلب

جئنا الآن، الى هذا الفصل التاريخي، الذي يتقدم بنا الى قدمي الصليب وان فصلاً كهذا، ينبغي ان ندرسه ونحن على ركبنا جاثين خاشعين «هو أعلى من السموات فماذا عساك ان تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدري. اطول من الارض طوله، وأعرض من البحر. — هذا هو الصليب بل هذا هو المسيح المرفوع على الصليب

إننا واقفون الآن على ارض مقدسة، فيها انوار، وفيها ظلال. وعلى قدر ما يكون النور ساطعاً، يكون ظلال الاشباح الساقط عليها هذا النور قائماً

اعتاد المصورون قديماً، ان يرسموا وجه المسيح الظهور، وحوله هالة من النور. وسواء أكان هذا النور منظوراً للعيان أم غير منظور، فهو نور فاحص انعكس على قلوب كثيرة فكشف خباياها وخفاياها. فكل شخص اشترك في الحكم على المسيح وصلبه، قد حكم على نفسه، وصلب نفسه، وهو لا يدري. وفي مقدمة هؤلاء: بيلاطس الذي سمح بصلب المسيح، حرصاً منه على مركزه السياسي. ولفرط خيبتة، خسر هذا المركز الذي قدّم المسيح ثمناً للحرص عليه. وما أغلى هذا الثمن! فقد حكم عليه الامبراطور الروماني بالطرده من كرسي الولاية. ولشدة يأسه مضى وانتحر

لنعد الآن الى درس تنمة محاكمة المسيح السياسية:

١ فحينئذ اخذ بيلاطس يسوعَ وجلده . ٢ وضمفر العسكر
اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب ارجوان .

المرحلة الرابعة في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية — الجلدُ
والسخرية (١٩: ١-٣) . لما فشلت الوسيلة الثانية ، التي تذرع بها بيلاطس
للخروج من المأزق الحرج الذي اوجده فيه وقوف المسيح امامه ، التجأ الى
وسيلة ثالثة . فاقترح على اليهود ، ان يجلد المسيح ويطلقه : «ها لا شيء
يستحق الموت صنع منه . فانا أؤدبه واطلقه» (لو ٢٣: ١٦) . ان قول بيلاطس
هذا ، هو بمثابة القول عن الشيء الواحد : انه ايضاً وامر في آن واحد .
لان الجلد يفترض ثبوت الجريمة . وهو اول جرعة في كأس الصليب . ولكن
قولاً كهذا خليقٌ بأمثال بيلاطس الجبان والمتغطرس في آن واحد . وفعلاً
نقد قوله هذا . «فاخذ يسوع وجلده» — على الطريقة الرومانية التي هي اقصى
بكثير من الطريقة اليهودية (يو ١٩: ١) . لان عدد الجلدات عند اليهود كان
محدوداً — فلا يزيد عن الاربعين . واما الرومان ، فكانوا يجلدون مجرميهم
جلدات بلا عدد ، وبكل عنف ، حتى ان كثيرين كانوا يموتون تحت الجلد .
ثم أسلم بيلاطس يسوعَ الى العسكر « فضمفر هؤلاء إكليلاً من شوك
ووضعوه على رأسه . وألبسوه ثوب ارجوان » — على مثال الثوب الذي كان
يلبسه رؤساء الجيش . وقد البسوا يسوع اياه ، تحقيراً منهم له ، لانه قال عن
نفسه : «انه ملك» . وهكذا تضحك الاقدار من الناس ، فان هؤلاء الجنود
العميان ، كانوا أحكم من انفسهم . فما صنعوه بالمسيح تحقيراً وازدراءً ، أمرت به

٣ وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه . ٤ فخرج
بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم

العناية تعظيماً واكباراً . فقد ألبس الثوب الأرجواني — باعتبار كونه غالباً .
وكُلِّل بالشوك — على اعتبار انه ملك العالم . بل ملك آلام العالم وآماله . ويقول
متى البشير « انهم وضعوا قصبة في يمينه » (متى ٢٧: ٢٩) — لانه في الواقع قابض
على صولجان الملك ، فهو « ملك الملوك ورب الارباب » . ولكي يكملوا معيار
آثامهم ، كانوا يقولون « السلام يا ملك اليهود . وكانوا يلطمونه » . هل كان
الجنود الرومان ، بقولهم هذا ، يسخرون من الشعب اليهودي ، أم كانوا
يسخرون من انفسهم ، أم كانت العناية هازئة باليهود والرومان معاً ؟

المرحلة الخامسة في المحاكمة السياسية: خارج دار الولاية: بيلاطس يعترف
ببراءة المسيح ، للمرتين الثانية والثالثة : « هوذا الانسان » (١٩: ٤ — ٧) .
تمنى بيلاطس ان يتأثر اليهود من رؤيتهم المسيح المتألم ، فيظهروا
عطفهم عليه ، ويسمحوا باطلاقه . لكن تمنيه قد خاب . ويظهر ان الشعب
اليهودي ، كان يرى في كل اقتراح جديد يقدمه بيلاطس ، انهزاماً جديداً منه
امامهم ، فاستسلموا للعناد ، كحيوان جموح استهوته الريح . لكن بيلاطس لم
يئأس من التوصل اليهم — كدت اقول التسول منهم — ان يسمحوا باطلاق
سراح المسيح . لذلك شرع يناشدهم ببراءة المسيح ، وبرارته ، وضعفه الانساني
عنه يحول حقدهم عليه الى حنو ، وقسوتهم الى عطف
عدد ٤ . (٤) . بيلاطس . بجاهر براءة المسيح للمرة الثانية : « فخرج

ها انا اخرجهم اليكم لتعلموا اني لست اجد فيه علة واحدة . ه فخرج يسوع خارجاً وهو حامل اكليل الشوك وثوب الارجوان . فقال لهم بيلاطس هوذا الانسان . ٦ فلما رآه

بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم ها انا اخرجهم اليكم لتعلموا اني لست اجد فيه علة واحدة . بهذه الكلمات الاخيرة ، ناشد بيلاطس الانسانية والعدالة . ولكن لا حياة لمن تنادي

عدد ٥ . (٢) . المسيح خارج حاملاً اكليل الشوك : « فخرج يسوع خارجاً » — وراء بيلاطس — « وهو حامل اكليل الشوك » — ولابس — « ثوب الارجوان » . ارجع في تفسير هذا العدد الى ما اسلفنا في عدد ٢

(٣) بيلاطس يستدر عطف اليهود : « هوذا الانسان » ! فاه بيلاطس بهاتين الكلمتين الأخيرتين ، بنعمة استعطاف واسترحام . وكأني به يقول لهم : « أظن هذا الانسان البائس المتألم تحقدون يا أيها اليهود ؟ ومثله تحسدون ؟ » هذه نعمة بيلاطس . أمّا العناية الالهية ، فقد سترت تحت نعمة بيلاطس ، نعمة أخرى أثبت منها على ممر الايام — هي نعمة الاعجاب بهذا الذي اجتمعت فيه كل كالات البشرية ، والتقت فيه كل آمال الناس في كل ادوار التاريخ ، فهو منتهى آمال اليهود وهو « مشتهى الامم » . ولقد فات بيلاطس ان يعرف انه بنطقه بهاتين الكلمتين ، كان مقدماً أبلغ جواب على سؤاله الذي لفظه منذ مدة وجيزة : « ما هو الحق » (١٨: ٣٨) ؟

عدد ٦ . (٤) رؤساء الكهنة والخدام يطهرون صلب المسيح . حالما

رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه. قال لهم بيلاطس
خذوه انتم واصلبوه

رأى رؤساء الكهنة والخدام ، دماء المسيح التي اسالتها الجلدات من جسمه الطهور ، وأراقها اكليل الشوك على جبينه الوضاء ، استساغوها واستعذبوا طعمها ، فطلبوا منها المزيد . وصمموا على ان يُرووا غلّهم منها حتى آخر قطرة ، فصرخوا قائلين : « اصلبه اصلبه » — وفي الاصل « اصلب اصلب » ! هذه اول مرة عيّنوا فيها نوع الموت الذي سيدوقه المسيح — الصلب . هل كان بين هذا الشعب ، بعضٌ من اولئك الذين هتفوا للمسيح يوم دخوله اورشليم : « اوصنا . اوصنا » ؟ ام كان ذاك شعب الجليل ، وهذا شعب اورشليم ؟ أوليست كل الشعوب من طينة واحدة ؟ غير ان اليوم في هذا ، لا يقع عليهم وخدمهم ، بل على بيلاطس ايضاً . لانه هو الذي اقترح عليهم « الجلد » الذي هو مقدمة للصلب عادة . فهل يُعابون هم ، اذا اختاروا الخاتمة الملائمة لتلك المقدمة ؟ هذه هاوية سحيقة هوى اليها بيلاطس امام الشعب اليهودي . بل هذا احط درك هبط اليه اليهود ، اذ طلبوا الى الحاكم الروماني ان يصلب « ملكهم » . لان الرومان لم يصدرُوا مثل هذا الحكم الاّ على عبيدهم وإمائهم .

(٥) . بيلاطس بجاهر ببراءة المسيح للمرة الثالثة . الآن أخذ الضجر من بيلاطس كل مأخذ ، وكأنه عوّّل على ان لا يكون فيما بعد لعبة في ايدي اليهود ، لذلك اراد ان يلقي عليهم وخدمهم كل التبعة في صلب المسيح : فقال لهم « خذوه انتم واصلبوه لاني لست أجدر فيه علة » . هذه هي المرة الثالثة التي

لاني لست اجد فيه علة. ٧ اجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله. ٨ فلما سمع بيلاطس هذا

أقرّ فيها بيلاطس ببراءة المسيح، بل هذه هي اللطمة الثالثة التي لطمهم بها ان هذه الكلمات مفرغة في قالب تهكمي لاذع، لان بيلاطس كان يعلم انهم لا يستطيعون ان يصلبوا المسيح، بعد ان سلبت منهم القوة الرومانية هذا الحق. فكأنه في هذه الكلمة قد ذكرهم: بظلمهم — لانهم طلبوا ان يصلبوا شخصاً بريئاً، وبعمزهم — لان القوة السياسية شلت ايديهم

عدد ٧. (٦) اليهود يصارحونه بيلاطس بنهم المسيح المنبوذة في قلوبهم. امام هذه اللطمة القوية، اهتزت قلوب اليهود وارتجفت، وأسقط في ايديهم، ولم يتمالكوا انفسهم من ان يبوحوا لبيلاطس بالعلة الاساسية التي كانوا الى الآن يضمرونها في احشائهم، مخافة ان يسخر منهم بيلاطس. فاجابوه: «لنا ناموس. وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله»

عدد ٨. (٧) التأثير الذي تركه تصريحهم هذا في نفس بيلاطس. عجيب ان اليهود يحتكمون في مسائلهم اللاهوتية الى والٍ وثني. وكأنهم ظنوا ان إفضاءهم اليه بهذه العلة الدفينة، يحمله على صلب المسيح. ولكن خاب قائلهم، وفشل انتظارهم، فان هذا التصريح الاخير الذي افضوا به الى بيلاطس، قد أثر فيه تأثيراً على عكس ما كانوا ينتظرون. لانه بعد ان سمع هذا القول «ازداد خوفاً». والسبب في ذلك، ان افكاراً وخواطر كانت تجيش وقتئذ في نفس بيلاطس من جهة هذا الشخص «العجيب»، وأثر الرسالة التي بعثت

القول ازداد خوفاً . ٩ فدخل ايضاً الى دار الولاية وقال ليسوع
من اين أنت

بها زوجته اليه لم يبرح من باله بعد . فكان يقول في نفسه : « يا ترى من هو
هذا الشخص العجيب الممتاز ، الذي صمدت براءة امام كل هجمات اليهود ؟
فلما سمع منهم ان المسيح « جعل نفسه ابن الله » استرجع الى ذاكرته بعض ما
كان يطلعه من اساطير اليونان عن ظهور الآلهة في شكل بشر ، فثارت في
نفسه غريزة الاستقصاء والبحث ، يحدوها شيء غير قليل من الوجع والتهيّب
والقزع من صوت الضمير اللبكت

المرحلة السادسة في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية — المسيح
الصامت — للمسئولية العظمى (١٩: ٩-١١)

عدد ٩ . (١) . بيوطس يخلو الى المسيح ويستجوبه عن مصدره . تأثر
بيلاطس تأثراً عميقاً من علمه بان المسيح يقول عن نفسه انه ابن الله . فادخل
يسوع معه الى دار الولاية ، واستجوبه عن مصدره ، بنقمةٍ يمتزج فيها التهيّب
بحب الاستطلاع : « من اين انت ؟ ولعله قصد ، ان يفوز من المسيح بجواب
يروّح به عن نفسه ، في وسط هذه المسالك الخشنة ، التي ادخل نفسه فيها
بامتضاعه امام اليهود ، وان يتحرر من الارتباك ، الذي اوقعته فيه رسالة زوجته
(٢) الفاردي الصامت : « اما يسوع فلم يعطه جواباً » . اننا نلمح في سكوت
مخلصنا ، ذات الحكمة التي نراها في كلامه ، فهو عظيم في صمته ، عظيم ايضاً
في كلامه . فلقد كان في صمته هذا ، مقدراً ما ابلغ جواب على سؤال بيلاطس

واما يسوع فلم يعطه جواباً . ١٠ فقال له بيلاطس اما تكلمني .

ومعترفاً بالتهمة التي الصقها به اليهود، بل مرحباً بها، فهو ابن الله بالحقيقة . ولكن أليس بغريب ان يصمت المسيح امام بيلاطس ، وهو عالم ان في امكانه ان يطلقه ؟ كلا . كنا نحسب صمته عجيبياً ، لو كنا نعلم انه يريد ان يُطلق سراحه لينجو من موت الصليب ، اما وقد جاء ليُصلب ، فلا مفرّ من صمته حتى يتمّ القضاء المبرم . وهل كان بيلاطس في حاجة الى مزيد من الـ «ور» ، ليتساعد به على اطلاق سراح المسيح ؟ كلا . لانه لم يعمل بالنور الذي عنده ، بعد ان أقرّ بموت مرات ، ان المسيح بارّ . فزيادة النور في هذه الحال ، تكون بمثابة وضع جمر نار على رأسه . ويقول بعض المفسرين : ان المسيح صمت امام بيلاطس ، لانه لم يرد ان يفهمه أنه ابن الله بالمعنى الخرافيّ الناقص الذي كان يفهمه بيلاطس من اساطير اليونان . او لم يصمت المسيح فداءً عنا ، نحن المقضيّ علينا بان تُستدّ افواهنا امام دينونة الله العادلة ؟ (رو ٣: ١٩) . اذاً لقد صمت «الكلمة» المتجسد ، لكي نتكلم نحن الخطاة . فجاء صمته هذا ، متمماً لنبوة قديمة : «فلم يفتح فاه» (اش ٥٣: ١١)

ورد ذكر سكوت المسيح اربع مرات في قصة الآلام — مرة امام قيافا (مت ٢٦: ٢٣) ، ومرتين امام بيلاطس (مت ٢٧: ١٢ و يو ١٩: ٩) ، ومرة امام هيرودس (لو ٢٣: ٩)

عدد ١٠ . (٣) . بيلاطس يدعى لنفسه سلطاناً لا بمملكته : «فقال له بيلاطس أما تكلمني ؟ ألسنت تعلم ان لي سلطاناً ان أصلي بك وسلطاناً ان أطلقك ؟

ألسبت تعلم ان لي سلطاناً ان اصليبك وساطاناً ان اطلقك ١١ اجاب يسوع لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق.

مسكين بيلاطس ! لأنه بمحاولته ان يدّعي لنفسه سلطاناً مطلقاً ، اوقع نفسه في مسئولية عظيمة وهو لا يدري ! فاذا كان يملك حقاً سلطان اطلاق المسيح فماذا منعه من اطلاقه ، بعد ان اعترف مبرئاً بانه بريء ؟ ولماذا اذاً غسل يديه علي تلك الصورة التمثيلية الجوفاء ايهاً للناس بأن لا يد له في صلبه ؟ وهكذا يحاول المرء ان يدّعي لنفسه حقاً لا يملكه ، فيخسر حقاً يملكه

عدد ١١ . (٤) . السلطان والمسئولية : « أجاب يسوع » . في هذه المرة ، تكلم يسوع بعد ان صمت في المرة الاولى (عدد ٩) . وفي كلامه استرد سلطانه الذاتي ، واتخذ موقف قاضي القضاة ، فحكم علي بيلاطس وعلى السنهدريم ، مقدماً في حكمه اربع حقائق رئيسية : كل حقيقة منها اساس لما قبلها ، ونتيجة لما بعدها . الحقيقة الاولى : ان السلطان الذي يدّعيه بيلاطس لنفسه علي المسيح ، ليس له ، ولا هو منه ، ولكنه مُعطى اياه من الله « لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق » . الحقيقة الثانية : ان بيلاطس القاضي الزمني ، ليس سوى اداة في يد القضاء الأزلي . الحقيقة الثالثة : ان مسئولية بيلاطس محدودة في هذا الباب ، باعتبار كونه وثنيّاً جاهلاً المقاصد الالهية ، وغافلاً عن حقيقة المسيح ومصدره (عدد ٩) . الحقيقة الرابعة : ان قيافا « رئيس الكهنة » ، ورئيس السنهدريم ، وممثل السلطة اليهودية ، الذي أسلم المسيح الي بيلاطس ، عليه مسئولية اعظم — باعتبار كونه

لذلك الذي أسلمني اليك له خطية اعظم . ١٢ من هذا الوقت كان
يلاطس يطلب ان يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين ان

«رئيس الكهنة في تلك السنة ، الذي سبق فتنبأ» بالمقاصد الإلهية (يو ١١ :
٥٠ و ٥١) ، فكان متقلداً بنفسه سلطاناً خاصاً ، و به أسلم المسيح الى يلاطس .
ان نصيب يلاطس في صلب المسيح هو نصيب المستضعف . لكن نصيب
قيافا «رئيس الكهنة» ، هو نصيب المدبر المستبد . فاذا كنا نرى للمسيح في
كلامه هذا ، ملتمساً بعض العذر ليلاطس في جريمته ، فما ذلك الا من قبيل
طلبه المغفرة لقاتليه : «يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٣٤)

المرحلة السابعة والاضحية في المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — في
«البلاط» — رؤساء اليهود يتنازلون عن حقهم في الملك — الوالي المستضعف
يستسلم لعنادهم (١٢ : ١٢ - ١٦)

عدد ١٢ . (١) آخر سهم في كنانة اليهود : «من هذا الوقت كان
يلاطس يطلب» — بكل وسيلة ممكنة — «ان يطلقه» — بعد ان سمع من
فم المسيح تلك الكلمات الهادئة (عدد ١١) ، التي زادت مخاوفه واضطرابه
(عدد ٨) . ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : «ان أطلقت هذا فلست
محباً لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» . هذا هو السهم الاخير
الذي احتفظ به اليهود في كناناتهم ، فلم يصوبوه الى صدر يلاطس ، إلا بعد
ان أعيتهم كل الحيل . وهنا في هذه المرة فقط صدق ظنهم في يلاطس . لان
هذا السهم الأخير اصاب من يلاطس مقتلًا . وهذا ما كان ينشاه على

اطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر . ١٣ فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على

الدوام — ان يدسَّ له اليهود عند رئيسه الامبراطور طيباريوس قيصر، الذي كان بلاطه مرتعاً للدسائس ، وكان هو لمزيد الأسف كثير الوسوس ، يرحب بكل وشاية تصله عن أي واحد من رؤوسيه. ولقد كان شغوفاً بمركزه ، شديد الحرص عليه ، لدرجة ان اقلَّ وشاية تتصل به عن تهاون احد رؤوسيه في المحافظة على عرشه ، كانت تكفي لأن تطوّح بهذا الرأس ، الى مهاوي التهلكة ، من غير تحقيق ، وتقذف به الى طبقة «المنبوذين». كما ان اقل إشارة كانت تتصل به عن حرص احد رؤوسيه على تثبيت عرشه ، كانت تكفي لرفع ذلك الرأس الى أعلى مستوى ، وتقذف له لقب : «محب قيصر»

ويحدثنا فيلومورخ : ان تهديداً من هذا النوع ، كان قد وُجّه الى بيلاطس في مناسبة سابقة . يضاف الى هذا ، ان حياة بيلاطس الشخصية كانت ملوثة . فهذا الوالي الذي سكن بيتاً من زجاج ، كان يخشى رجم اليهود اياه بالاحجار . وهكذا يصيرنا الضمير جبناء . فلاشيء يشل يد الجبان عن عمل ما يراه خيراً ، نظير فزعه من خطايا السالفة

عدد ١٣ . (٢) بيلاطس يصر بطعنهم فخرج ويجلس على كرسي الولاية : « فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط ، وبالعبرانية : جبّانة » . كانت طعنة نجلاء ، تلك التي صوبها اليهود أخيراً الى قلب بيلاطس . لانه كان مستعداً ان

كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا . ١٤ وكان

يضحي بكل شيء ، و بكل شخص ، استرضاء لرئيسه طيباريوس . وهانحن نرى من هذا الوالي المبتئس ، الذي حاول منذ البداية ان يترضى الشعب اليهودي باطلاقه المسيح ، والكهنة والشيوخ بتأديب القادي ، ونفسه بانقاذه اياه من الموت ، قد أدرك في النهاية ، انه لم يرض احداً . لانه جعل نصب عييه ارضاء الناس لا ارضاء الله . فقد وقع لبلاطس عند نهاية حياته ما كان يخشاه الآن . ويقول يوسفوس المؤرخ اليهودي : ان وشاية قوية بلغت طيباريوس عنه ، فعزله من الولاية في ذات السنة التي عزل فيها قيافا من الكهنوت ، بعد موت مخلصنا بثلاث سنين . ومن فرطأسه مضى وانتحر

لما سمع ببلاطس قول اليهود الاخير ، بلغ الخوف منه أشدّه ، « فأخرج يسوع » اذ كان وقتئذ داخل دار الولاية . وكانت الشريعة الرومانية تقضي على الحاكم بان لا يحكم على المتهم ، الا وهو ماثل امامه ، لذلك « جلس ببلاطس على كرسي الولاية » — والظاهر ان هذا الكرسي كان كمنبر قليل الارتفاع . ومن المرجح انه كان مصنوعاً من المرمر ، ليكون لا ثقاً لجلوس الحاكم عليه اثناء المحاكمة . وكان موضعه في الباحة الفسيحة الواقعة قدام دار الولاية « في موضع يقال له البلاط » — ولعله سمي كذلك ، لان ارضه كانت مرصوفة بالبلاط المرمر المعروف « بالموزايكو » — وبالعبرانية « جباثا » اي أكمة مرتفعة

عدد ١٤ . (٣) آخر سهم في كناية بيوطس — ببلاطس يحاربهم بسلاح التهم : « وكان استعداد الفصح » — اي اليوم الذي يهيء فيه اليهود ما

استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة .

يلزمهم للفصح ، وعند غروب شمسه يأكلون الفصح . هذا يؤيد النظرية القائلة بأن المسيح فصحننا الجديد قد رُفِعَ على الصليب في الوقت الذي قُدِّم فيه حمل الفصح على مذبح الهيكل (انظر ١ كو ٥: ٧) . «نحو الساعة السادسة» — اي في الصباح ، لان يوحنا جرى غالباً على التوقيت الروماني — الغربي (*) الذي كان سارياً في آسيا الصغرى ، لدى اواخر القرن الاول للميلاد . وبه يُحسب اليوم من نصف الليل الى نصف الليل ، بخلاف البشيرين الاولين ، الذين حسبوا الساعات طبق التوقيت اليهودي الشرقي ، الذي به يُبدأ اليوم من الصباح الى الصباح . وفي هذا تتفق رواية يوحنا ورواية مرقس ، فان مرقس يقول : ان الصلب «بُدىء به في الساعة الثالثة» (مر ١٥ : ٢٥) — اي نحو الساعة التاسعة صباحاً — ويقول يوحنا ان ييلاطس «أسلم المسيح نحو الساعة السادسة صباحاً» — وهذا تم قبل الصلب بوقت ما . فقول يوحنا : «نحو الساعة السادسة» ، يفسح المجال للاعتقاد بان هذه الخطوة الممهدة للصلب ، حدثت بعد الساعة السادسة وقبل التاسعة ، وربما حوالي ٨ صباحاً . ويظن بعض المفسرين ان يوحنا استعمل التوقيت اليهودي الشرقي ، كسائر البشيرين . وعلى هذا الاعتبار ، يوفق هؤلاء المفسرون بين رواية يوحنا ورواية

(*) وما يدل على ان جهات آسيا الصغرى ، كانت تسير على التوقيت الروماني الغربي وقتئذ ، ما يقوله المؤرخ فيلو : ان بوليكاربوس أُعدم في الساعة الثامنة ، وبايونوس ، في الساعة العاشرة . وكلاهما أُعدم في ازمير . ولا مشاحة في ان المقصود بهاتين الساعتين هو : الساعة الثامنة ، والساعة العاشرة صباحاً — على الترتيب

فقال لليهود هوذا ملككم . ١٥ فصرخوا خذ خذ اصليه . قال لهم

البشيرين الاولين ، بقولهم : اولاً — ان يوحنا ميز بين وقت جلد بيلاطس ليسوع ، ووقت صلبه ، بان ذكر كل حادث منهما كأنه مستقل عن الآخر اما متى ومقرس ، فذكرا الحادثين كأنهما واحد . ولذلك حسبنا وقت الجلد مع وقت الصلب . فاذا كان الجلد في الساعة الثالثة ، كما قال مقرس ، فمن المحتمل ، ان يكون الصلب قد بقي الى نحو الساعة التاسعة . ثانياً — ان يوحنا لم يعبّر وقت الصلب انه كان الساعة السادسة ، بل قال انه « نحوها » . ثالثاً — ان اليهود قسموا الوقت الى هزُع — كل هزيع ثلاث ساعات — ولم يذكروا سوى الساعة الثالثة ، والسادسة ، والتاسعة (متى ٢٠: ٣ و ٥) ، وضموا ما بين كل من تلك الساعات — إما الى ما قبلها ، وإما الى ما بعدها . وان الصلب حدث ما بين الساعة السادسة والتاسعة ، فنسبه متى ومقرس الى الوقت الاول منهما ، ونسبه يوحنا الى الوقت الثاني

عدد ١٥ . (٤) اليهود يحكمونه على انفسهم بالاعدام كأمة : « فصرخوا خذ خذ ، اصليه » . ان اليهود بتسليمهم ملكهم الشرعي ، « ومسيحهم المنتظر » ، الى يد الحاكم الوثني ، بهذه النعمة الجافة المزرية ، يُعتبر بمثابة كتابتهم بأصابعهم ، صكّ إعدامهم كأمة . انهم بعملهم هذا ، قد تركوا لأنفسهم ، ولأولادهم ، تركة مخضبة بدماء هذا البار — تركة ما أثقلها ! ان حمل الجبال اخف منها واسهل

(٥) بيروطس يعبر الكرة ويناسرهم الوطنية: « قال لهم بيلاطس أأصلب

بيلاطس أصلب ملككم . اجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا
قيصر . ١٦ فحينئذ اسلمه

ملككم؟» . قال بيلاطس هذه الكلمات ، بنعمة تهكمية ، تمازجها مرارة لاذعة
بما يدلنا على ان العقيدة التي سادت عليه ، منذ بدء هذه المحاكمة (٣٣:٨) ،
حتى ختامها (١٥:١٩) ، هي : ملك المسيح

(٦) رؤساء الكهنة يتطوعون لعناقرهم ، واعناق امشهم ، بالنير الروماني
« اجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر » . يا للعار ! أهكذا تفعل
الضعيفة في القلوب ، فتعطي بصائر هؤلاء القادة عن عهودهم ، ومواعيدهم
القديمة ، حتى يحولوا وجوههم عن الرجاء المبارك ، الذي كانوا ينتظرون به مسيحاً
ملكاً يكسر نير الرومان ؟ ! هذا هو الانتحار الادبي ، والديني ، والسياسي
والابدي . ومن دواعي نكد تلك الأمة اليهودية ، ان رؤساء كهنتها الذين
كان عليهم ان يقدموا الذبائح الدينية ، فدية عن خطايا امتهم ، قدّموا امتهم
ذبيحة على مذبح مآربهم الذاتية

عدد ١٦ (أ) - (٧) انهمزام بيلاطس امامهم على طول الخط : « فحينئذ
اسلمه اليهم ليُصَلَّب » . هذه هي النقطة الفاصلة في تاريخ الأمة اليهودية ، وفي
تاريخ العالم اجمع . بل هذه جرة نار محرقة ، وقعت على بيلاطس وعلى رؤساء
اليهود ، وعلى رأس الأمة اليهودية . لكنها في الوقت نفسه ، أضحت للمؤمنين
من اليهود والأمم ، منبت انوار ساطعة ومطلع حكمة . ومن الملاحظ ان
بيلاطس كان عادلاً لدرجة انه لم يصدر على المسيح حكماً ايجابياً . وفي

اليهم ليصليب

الوقت نفسه كان جباناً لدرجة انه لم يستطع ان يطلق سراحه . فما اضعفه وما أقدره . ما أعذله وما أكفره . ولعله قصد ان يريح ضميره امام جمهورهم ، وامام نفسه ، حين غسل يديه — وهيهات ان تبيض يده . انه لم يكن في عمله هذا الا مثلاً فصلاً هزلياً ومبكياً في آن واحد — وشرّ البلية ما يضحك

رابعاً: الصليب (١٩:١٦ (ب) — ٤٢)

لقد ارغمنا بيلاطس على ان نطيل الوقوف بالمراحل السبع التي قطعها محاكمة المسيح السياسية. وها نحن اولاء، نتقدم سائرين وراء المسيح، في طريق الآلام ، مخنقين الوطء ، لان الطريق وعراً ، وحمل الصليب ثقل. ولكن لنا العزاء، في ان المسيح يحمل الجانب الاثقل من هذا الصليب، بل يحمل الصليب كله ، لا بل حمل الصليب وائاناً

بكلمات قليلة ، سجل يوحنا البشير حادثة الصليب ، لان البشيرين الاولين سبقوه الى الكتابة بافاضة في هذا الموضوع . وربما لم يرغب يوحنا الحبيب في اطالة الكلام عن وصف آلام المسيح الجسدية ، لان هذه مهمة شاقة على قلب الحبيب . مثله في هذا ، مثل مصوّر مبدع ، اراد ان يرسم صورة عزيز له وهو في غمرة الالم، فما كان منه الا ان رسم وجه ذلك الحبيب، وغطاه بحجاب كثيف ، تعبيراً عن «الآلام الغير المدركة» التي عجزت ريشته المبدعة عن تصويرها

ينقسم هذا الفصل الى سبعة أقسام رئيسية: (١) الصليب (١٩:١٦ ب-١٨)

فأخذوا يسوع

(٢) عنواهُ الصليب (١٩:١٩-٢٢). (٣) أربعة رجال من صفوف الحاربه للمسيح (١٩:٢٣ و ٢٤). (٤) أربع نساء من صفوف الموالين للمسيح، ووصيته بأُم (١٩:٢٥-٢٧). (٥) اقتضاه من الكلمات التي فاه بها المسيح، وبعد لها أسلم الروح (١٩:٢٨-٣٠). (٦) المسيح فصمنا الاكل (١٩:٣١-٣٧). (٧) الدفن (١٩:٣٨-٤٢)

(١) الصليب (١٩:١٦ ب-١٨): «فأخذوا يسوع ومضوا به!» - بهذه الكلمات، استهل يوحنا حادث الصليب الرهيب. فما كان اجزل سرورهم، حين ظفروا من بيلاطس بهذه «الهبة» المجانية، وما كان اكثر جهلهم اذ غفلوا عن قيمة هذه «العطية العظمى»، التي لا يعبر عنها» (٢ كو ٩:١٥)

«فأخذوا يسوع» - وردت كلمة «أخذ» - في الاصل - بموت مرات في هذه البشارة. في المرة الاولى (١:١١)، نرى الابن الازلي، مقدماً من الآب الى خاصته، واما خاصته فلم تعبه. وفي المرة الثانية (٣:١٤)، نعاين الابن المجد، آتياً ثانية الى شعبه ليأخذهم الى نفسه. وفي المرة الثالثة (١٩:١٦ ب) نشاهد الابن المتجسد، وقد اسلمه بيلاطس الى خاصته فأخذته خاصته وقبلته - ولكن لتصلبه. «ومضوا به» - جاء في كتاب «المشنا» اليهودي - تليقاً على ما ورد في اللاويين ٢٤:١٤، وعدد ٣٥:١٥ «ان الصليب ينبغي ان يتم خارج المدينة»، لذلك عمل اليهود باحكام شريعته (١ مل ٢١:١٣ واع ٥٨:٧) «فمضوا بالمسيح» من اورشليم الى مكان خارج عنها - وفي هذا

ومضوا به . ١٧ فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة ١٨ حيث صلبوه

يقول كاتب الرسالة الى العبرانيين : « فان الذبائح التي يُدخل بدمها عن الخطية ، الى الاقداس ، بيد رئيس الكهنة ، تُحرق اجسامها خارج المحلة ، لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه ، تألم خارج الباب . فلنخرج اذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣: ١٣ و ١٤).

يقول بلوطارخوس — حجة التاريخ الروماني القديم: « كانت قوانين الرومان تفرض على المحكوم عليه بالصلب ، ان يحمل صليبه بنفسه ، مسوقاً باربعة حراس » . وكذلك « خرج المسيح وهو حامل صليبه » بنفسه . غير ان الآلام النفسية والجسدية التي تكبدها منذ القبض عليه ، حتى ادوار المحاكمة الدينية ، ومراحل المحاكمة السياسية ، قد انهكت جسمه الرقيق ، واطففت حتى رزح تحت الصليب . وكان من الضروري ان لا يسند لاهوته ناسوته في الآلام ، لكي يتجرّع غصص الصليب بكامل مرارتها ، من غير تلطيف ولا تخفيف . ويقول لوقا البشير ، انهم « أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ، فوضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » (لو ٢٣: ٢٦ و ٢٧) . « ولما مضوا به الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة » — وهو تل مرتفع ، مستدير الرأس ، يُرى من بعيد ، كأنه جمجمة بشرية — « ويقال له بالعبرانية : جلجثة » — وهي من اصل آرامي « جُلجُلْتة » ، ومعناها : « رأس » . ويعتقد بعض المحققين ، ان هذا المكان هو الالكمة الصخرية الواقعة عند « باب دمشق » ، على بعد نحو

وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هناك ويسوع في الوسط .
١٩ وكتب يلاطس عنواناً

مثنى ياردة عن السور القديم المعروف : «سور اغريباس» . هناك «صلبوا للمسيح ، وصلبوا اثنين آخرين معه ، من هنا ومن هناك ، ويسوع في الوسط» «ويسوع في الوسط» -- حتى في الآلام يسوع في الوسط ! فهل أعطى الرومان هذا المكان ليسوع ، على سبيل الاكرام التهكمي -- باعتبار كونه ملكاً -- كما قضت العوائد القديمة بأن يكون الملك محاطاً دائماً بواحد عن يمينه ، وآخر عن يساره ، وهو في الوسط ؟ ام هذا مكان وضعت فيه العناية ، تماماً لنبوة قديمة: «وأحصي مع أثمة؟» (اش ٥٣: ١٣) -- هذا هو الرأي الأصح

(٢) عنوانه الصليب (١٩: ١٩ - ٢٢)

عدد ١٩ . أ -- كلمات العنوانه -- قضت عادات الرومان ، بأن يكتبوا عنواناً على الصليب الذي يحمله المحكوم عليه ، اشهاراً للذنب الذي سيُصلب من أجله ، ثم يرفعون الصليب ، ويحملون المجرم ويسمرونه عليه -- وكانوا أحياناً يسمرون المحكوم عليه ، والصليب ملقى على الأرض. غير ان الطريقة الاولى كانت أكثر شيوعاً . فكانوا أولاً يمدّون يدي المذنب ، ويسمرونهما على الخشبة الاقية . واما الجسم فيرتكز على خشبة ناتئة لثلاث تمزق الكفان من ثقل الجسم ، فيقع المصلوب على الأرض. وكانوا يسمرون القدمين أيضاً كاليدين ، كما فعلوا بمخلصنا (لو ٢٤: ٣٩). وكان المصلوب يوضع على كيفية ، بحيث ان ادنى حركة تسبب له آلاماً مبرحة. لان المسامير كانت

ووضعه على الصليب . وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود .
٢٠ فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لان المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة . وكان مكتوباً بالعبرانية

تسبب الماء متزايداً في كل الجسم ، وكذلك الدم الذي يتجمع في الرئتين ويضغط على القلب ، كان يضيف عطشاً الى تلك الآلام المبرحة . على ان جميع آلام الصليب الجسدية ، لا تقاس بالنسبة الى آلام المسيح النفسية ، التي عاناها وهو معلق على الخشبة الملعونة — هذه هي الآلام الغير المعروفة

يقول يوحنا : ان «بيلاطس كتب عنواناً» — سواء بخط يده أو بأمر منه — «ووضعه على الصليب» . فكانت هذه آخر طعنه منه في صميم الامة اليهودية . وكان مكتوباً على ذلك العنوان : «يسوع الناصري ملك اليهود» . وبما ان هذا العنوان قد كتب بثلاث لغات — «العبرانية ، واليونانية ، واللاتينية» ، فمن المحتمل جداً ، ان متى اورد العنوان كما هو باللغة العبرانية . ويوحنا ، باليونانية . ومرقس ، باللاتينية . والى هذا يُعزى ما يُرى من فرق طفيف عدد ٢٠ — ب — شهادة لغات الارض للصليب : « فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود ، لان المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة» . الى يوحنا وحده يُعزى هذا التعيين الجغرافي لمكان الصليب ، بالنسبة الى اورشليم . «وكان مكتوباً بالعبرانية ، واليونانية ، واللاتينية» — هذه هي اللغات الثموت الرئيسية في ذلك العصر . فالعبرانية لغة الميمه ، واللاتينية لغة السياسة ، واليونانية لغة العلوم والآداب والفلسفة . فلغة الدين شهدت ، من غير

واليونانية واللاتينية. ٢١ فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس لا تكتب ملك اليهود بل ان ذاك قال انا ملك اليهود. ٢٢ اجاب بيلاطس ما كتبتُ قد كتبتُ.

قصد منها ، بان يسوع المصلوب هو المسيح الموعود، ابن داود، وابن الله . ولغة السياسة شهدت بان يسوع المصلوب ، هو المسيح ملك اسرائيل ، وملك المؤمنين ، بل ملك الملوك (رؤ ١٩: ١٢) . ولغة العلوم والفلسفة والاداب ، شهدت بان يسوع المصلوب هو المسيح كنز الحكمة، ورب الحق (كو ٢: ٣) . هذه نبوءة غير مقصودة من هذه اللغات ، بأن الممالك الممثلة فيها ، ستخرب ساجدة عند قدمي المسيح على ممر الاجيال

عدد ٢١. (ج) اعترضه اليهود على كلمات العنوانه رؤساء كهنة اليهود» — هذه هي المرة الوحيدة ، التي وردت فيها هذه الثمرات الكلمات مرتبطة معاً في العهد الجديد . ولعلها ذكرت هنا مقابل العبارة: «يسوع الناصري ملك اليهود» . ان بيلاطس ، اذ كتب كلمة : «ملك اليهود» على الصليب ، قصد ان يعرض باليهود ويسخر منهم كأمة ، لذلك احتجوا لديه قائلين: «لا تكتب ملك اليهود. بل ان ذاك قال انه ملك اليهود» عدد ٢٢. (د) عناد بيلاطس : «أجاب بيلاطس. ما كتبتُ قد كتبتُ» هنا ظهرت شخصية بيلاطس ، كما وصفها المؤرخ فيلو: «ان بيلاطس ، رجل صلب، لاتلين قناته». لكن عيبه انه لان حين وجبت الشدة (١٩: ١٦) وتشدد حين كان يغني اللين

٢٣ ثم ان العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع اخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل عسكري قسماً . واخذوا القميص ايضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . ٢٤ فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل

(٣) اربعة رجال من صفوف المعابد للمسيح (٢٣: ١٩ و ٢٤) — بعد ان اتم الجنود الرومان عملهم الوحشي ، انصرفوا الى تقسيم «الغنيمة» التي ظفروا بها من هذا المصلوب : «فأخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل عسكري قسماً ، وأخذوا القميص ايضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . فقال بعضهم لبعض : لا نشقه ، بل نقترع عليه لمن يكون» — وهكذا عميت بصائر أولئك الجنود المساكين عن كنز الخلاص الثمين ، المذخر في المسيح المصلوب ، لانهم لم ينظروا الى المسيح ببصائرهم بل ببصارهم ، فغاب عنهم صوابهم ، وقنعوا بثوب الزائل عن ثواب الازلي ، ورضوا بقميصه المادي عن رداء برّه . انهم عينه لكثيرين من المسيحيين بالاسم ، الذين لا يصيبهم من المسيح وكنيسته إلا المظاهر الخارجية والانصبه الزاهية . أما قميص للمسيح الذي «كان منسوجاً كله بغير خياطة» ، فقد قرّر قرار الجنود على ان «يقترعوا عليه لمن يكون» — حسماً للنزاع ، وهكذا بلغت بهم قسوة القلب ، الى هذا الحد الذي صارت تحملهم فيه المقامرة في ظل الصليب . هذا سهم آخر من الآلام النفسية ، كان يخرق قلب المسيح على الصليب ، وهو يعامل هذه المعاملة الدنيا من . سريّة التي لاجلها وبسببها يتألم

اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة . هذا فعله المسكر
٢٥ وكانت واقفات عند صليب يسوع امه واخت امه

يقول يوسفوس حجة التاريخ اليهودي : « ان القميص المنسوج كله
بغير خياطة » لم يحلّ لبسه الا لرؤساء الكهنة فقط ، وبذا شهد هذا المؤرخ
اليهودي ، على غير قصد منه ، لكرسوت المسيح المصلوب ، مثلما شهد قبله
ميلاتس الوثني ، ملك المسيح (عدد ١٩) — والفضل ما شهدت به الأعداء .
وكذلك شهد الجنود الرومان لصدق الكتاب ، باقتراعهم على ثوب المسيح .
لانهم جعلهم هذا ، تمموا تلك النبوة القديمة القائلة : « اقتسموا ثيابي بينهم .
وعلى لباسي ألقوا قرعة » (مز ٢٢: ١٩)

(٤) اربع نساء مواليات للمسيح . ووصية بأمر (١٩: ٢٥ - ٢٧)

عدد ٢٥ . (١) اربع نساء مواليات للمسيح . عودنا يوحنا فيما سلف من
بشارته ، أن يرسم صورتين متقابلتين — امرأتهما : لأعداء المسيح ، والثانية :
للموالين له . ولقد مررنا بالصورة الاولى في العدين السابقين (عدد ٢٣ و ٢٤)
وها نحن الآن امام الصورة الثانية ، وفيها نرى اربع نساء من صفوف الموالين
اين أنت يا بطرس ؟ بل أين عهدك الجبارة ، حتى تترك مكانك ،
عند صليب سيدك ، لاربع نساء ضعيفات ؟ هذا دليل على أمانة المرأة ، التي
كانت آخر من ودّع المسيح عند صليبه ، وأول من رحّب به بعد قيامته
(١: ٢٠) . فليس في الدنيا ما يوازي شجاعة المرأة ، متى امتلأ قلبها الضعيف
من العزيمة . اما النساء اللواتي وقفن عند صليب المسيح ، فهن : (١) مريم ام

مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية . ٢٦ فلما رأى يسوع امه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لامه

المسيح . (٢) اخت امه التي هي في الغالب سالومة — أم يعقوب ويوحنا ابني زبدي (متى ٢٧: ٥٦) ، وقد تحاشى يوحنا ابنها ، ذكر اسمها ، تواضعاً منه ، مثلما تحاشى ذكر اسمه هو . (٣) ^(١) مريم زوجة كلوبا — ويسمى أيضاً زوجها : «حلفا» (مت ١٠: ٣) . (٤) مريم المجدلية — هذه أول من رحّب بالمسيح المقام

عدد ٢٦ . (ب) كلمة المسيح لأمه . فهمنا من العدد السابق ، ان أم يعقوب ويوحنا ، هي أخت أم المسيح . فمن هذا يتبين لنا ، ان يوحنا كان مرتبطاً بيسوع بصلة قرابة جسدية ، فهو ابن خالته حسب الجسد . وبما ان المسيح ، قد جُرد من كل شيء حتى ثيابه ، ولم يبق له شيء مادي يتركه لأمه ، كان من الطبيعي ان يستودع أمه ليوحنا ابن أختها . هذا هو «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (انظر المقدمة العامة في صدر هذا الكتاب)

كان فادينا وقتئذٍ مغموراً بلبجة من الآم ، لكنه نسي نفسه ليفكر في غيره ، فأوصى لمعدّيه بالغفران ، (لوقا ٢٣: ٣٤) وللص التائب بالفردوس (لو ٢٣: ٤٢) ،

(١) في النسخة السريانية المعروفة بـ «البشتو» والفارسية والحبشية ورد حرف «الواو» قبل قوله : «مريم زوجة كلوبا» . ومن هذا يتبين ان مريم زوجة كلوبا ليست هي أخت المسيح . لانه من الصعب ان نعتقد ان أختين سميتا باسم واحدة : «مريم» . وينجلي لنا نفس هذا المعنى متى فرضنا ان البشير ذكر اسماء النساء — اسمين اسمين مع وقف في الوسط : «امه واخت امه . مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية» . كقول لوقا في ذكر اسماء المسيح : «بطرس واندراوس اخاه . يعقوب ويوحنا . فيلبس وبرثولماوس» (لو ٦: ١٤) .

يا امرأة هوذا ابنك . ٢٧ ثم قال للتلميذ هوذا امك . ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته

ولأمه برعاية يوحنا ، فألقى عليها من عرش صليبه نظرة كلها حنو ، وقال لها ،
موجهاً نظرها الى يوحنا : «يا امرأة هوذا ابنك» . ليس في كلمة «يا امرأة» —
كما وردت في الأصل — ما يفيد عدم الاحترام ، لان معناها الحرفي : «يا سيدة» .
(راجع تفسير ٤: ٢) . والظاهر ان المسيح لم يخاطبها بقوله : «يا أمي» ، لانه أراد
أن يوجه نظرها ، الى ان صلتها بها كمخلص ، ارفع من صلتها به كأم . وهي
بسبب هاتين الصلتين ، كانت تختبر قوة تلك الكلمات التي سبق فأنبأها
عنها سمعان الشيخ : «وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف» (لو ٢: ٤٥)

عدد ٢٧ . (ج) كلمة المسح ليوحنا : «ثم قال للتلميذ» — الذي هو
يوحنا الحبيب — كاتب هذه البشارة — «هوذا امك» . أكان المسيح بهذه
الكلمة ، موصياً أمه بيوحنا ، أم كان موصياً يوحنا بأمه ؟ لانه اذا كان يوحنا
قد قدم فيما بعد ، خدمة مادية لأم المسيح ، فان الخدمات الروحية التي قدمتها ام
المسيح ليوحنا ، اثنى وأوفر . لأن يوحنا مدين لها بشيء غير قليل من المعلومات
التي أفضت بها اليه عن ابنها العجيب

«من تلك الساعة» — أي من ذلك الوقت الى يوم وفاتها — «أخذها
التلميذ الى خاصته» — أي الى بيته . ويظهر مما جاء في عدد ١٥ ، ومن مرقس
٢٠: ١ ، ان أسباب المعيشة كانت متوفرة لدى يوحنا

٢٨ بعد هذا رأى يسوع ان كل شيء قد كمل فلكى يتم الكتاب

(٥) اثنتاه من كلمات المسيح على الصليب، وتسليم الروح (١٩: ٢٨ - ٣٠)
عدد ٢٨. (١) آلام الصليب الجسدية: «انا عطشان»^(١)

«بعد هذا» - اي بعد ثلاث ساعات الظلمة، وقد فرغ المسيح من اتمام وصيته بشأن امه، رأى انه اكمل كل ما كان عليه ان يعمل، فلم يبق امامه إلا ان يتجرع كأس الموت. وهنا تنسم نسيم الرضا نتيجة شعوره باتمام كل ما كان عليه ان يعمل. وفي هذه الاثناء، سمح لنفسه بان ينتبه لحظة الى آلامه الجسدية، التي كان قد أنساه اياها اهتمامه بغيره، فقال: «انا عطشان»! فجاء قوله هذا، موافقاً لما ورد عنه في الكتاب (مز ٦٩: ٢١). فهو لم يقل «انا عطشان» بقصد ان يتم الكتاب، بل لانه كان عطشان فعلاً. لان آلام

(١) هذه هي الكلمة الختامية في ترتيب الكلمات التي فاه بها المسيح على الصليب. وفي الغالب جداً قلت هذه الكلمات على النسق الآتي:

(١) طلبه المسيح لاجل أعدائه: «يا أبنا غفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤) — هذا هو غفران المصلوب
(٢) قول المسيح للص: «الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣) — هذا هو وعد المصلوب
(٣) قول المسيح لأمه: «يا امرأة هوذا ابنك» — ثم ليوحنا: «هوذا امك» (يو ١٩: ٢٦) — هذه هي وصية المصلوب

(٤) صرخة المسيح الى الآب: «الهي الهي لماذا تركتني» (متى ٢٧: ٤٦ ومر ١٥: ٣٤) — هذه هي وحنة المصلوب

(٥) قوله: «انا عطشان» (يو ١٩: ٢٨) — هذا هو شوق المصلوب
(٦) قوله: «قد اكمل» (يو ١٩: ٣٠) — هذا هو اطمئنان المصلوب
(٧) قوله: «في يديك استودع روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦) — هذا هو الموت الاختياري الذي ذاقه المصلوب

قال انا عطشان . ٢٩ وكان اناء موضوعاً مملوؤاً خلاً . فلاؤوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمه

الصليب المحرقة، كانت على جسمه الرقيق احراً من الحجر، فيبست لسانه من فرط العطش، لان اربع ساعات مضت منذ أن علقوه على الصليب. ويهمنا ان نذكر انه بين السبع الكلمات، التي نطق بها المسيح على الصليب، لم يفه إلا بهذه الكلمة الواحدة عن آلامه الجسدية. هذا عطش فدائي اختبره المسيح، ليرفع به عن المؤمنين، ذلك العطش المحرق، الذي كان عليهم ان يختبروه في لهيب الجحيم الابدي (لو ١٦: ٢٤)

قال المسيح المصلوب : « انا عطشان » ليستطيع المسيح الحي ان يقول بحق : « ان عطش أحد فليقبل اليّ ويشرب » (يو ٧: ٣٧)

عدد ٢٩ — ب — الخل المقدم له على زوفا : « وكان اناء موضوعاً مملوؤاً خلاً . فلاؤوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا » — اي على ساق نبات من الزوفا، في شكل قصبة . من اجل ذلك سماها كل من متى ومرقس « قصبة » — « وقدموها الى فمه ». والارجح ان ذلك الاءاء، كان ملكاً للعسكر

في هذه المرة، لم يرفض المسيح ان يشرب من هذا الخل، مع انه في آونة سابقة، رفض ذلك الخل الذي قدم اليه في بدء الصلب (متى ٢٧: ٣٤) لان ذاك كان ممزوجاً بمرارة وكان يُستعمل عادة كمخدر لتسكين الالم، لذلك رفض المسيح ان يشرب منه، لكي يكون على أشد ما يمكن من التنبيه، فيتجرع كأس الالم حتى آخر قطرة . فهو عدو المنهزات حتى المات

٣٠ فلما اخذ يسوع الخل قال قد اكمل . ونكس رأسه

عدد ٣٠ — ج — الكلمة السادسة التي فاه بها المسيح على الصليب —
« فلما أخذ يسوع الخل قال قد أُكمل ». كما ان عطش المسيح كان موجوداً
قبل ان يعبر عنه ، كذلك كان عمله قد أُكمل (عدد ٢٨) ، قبل ان يعبر
عن اكتماله بهذا الكلام . فكل النبوات القديمة ، الخاصة بمسيا المنتظر ، قد
أُكملت (اع ١٣: ٢٩) . وكل الآلام التي كان على المسيح ان يتحملها نتيجة
خطايا البشر ، قد اكملت . وكل حرف في وصية الآب للمسيح ، قد أُكمل .
وكل رمز في العهد القديم قد أُكمل . وكل ما كلفته به محبته للبشر ، قد
أُكمل . وكل انتظارات البشر فيه ، قد أُكملت . وكل البرنامج الذي وُضع
امامه قد اكمل . ان قول الفادي ، بعد اتمام الفداء : « قد اكمل » ، يذكرنا
بما رآه الخالق ، بعد اتمام الخلق : « ان كل ما عمله حسن جداً » (تك ١: ٣١)
بين قول المسيح هنا « قد اكمل » وبين قول ملاك الرؤيا « قد تم »
(رؤ ٢١: ٦) ، تمتدُّ اجيال طويلة . فعلى المؤمنين ان يملأوها بخدمات
التضحية ، وتضحيات الخدمة ، « لئتم » اختبارياً ، هذا البرنامج الذي « أكمله »
المسيح على الصليب شرعاً وحقاً

د — المسيح يسلم الروح : « ونكس رأسه واسلم الروح » — هذه هي
المرّة الوحيدة التي تقرأ فيها ان المسيح نكس رأسه — ولكن امام ارادته هو لا
امام الموت . فلم يكن في موته مجبراً ، بل طائعاً مختاراً ، لذلك « اسلم » روحه
الى الآب ، كمن يسلم وديعة وعلى فمه ابتسامة الرضى . كان المسيح قبل ان

واسلم الروح . ٣١ ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود

ينكس رأسه ، وسط لج الموت واقفاً بثبات عجيب ، فلما رأى ان كل شيء قد كل ، احنى رأسه باختياره : وسمح لامواج الموت ان تعج فوق رأسه — ولكن الى حين . فقد مات البار وفي قلب موته وعد بقيامته ، اذ ليس للموت سلطان عليه . هنا تمت كلمته الخالدة ، التي فاه بها في مناسبة سابقة : « لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي لآخذها أيضاً . ليس احد يأخذها مني ، بل اضعها أنا من ذاتي » (١٧: ١٠ و ١٨) .

(٦) المسيح فصمنا ابرك كل (١٩: ٣١ — ٣٧) . نحن مدينون ليوحنا البشير بملاحظاته الدقيقة ، التي اراق بها نوراً ساطعاً على حوادث الصلب ، التي مرّ بها البشرون الأولون مرّ الكرام ، فأقام منها هو حجباً دامغاً ، على ان يسوع المتألم هو المسيح الذي تمت فيه نبوات العهد القديم

عدد ٣١ . (١) . طلب حافظي شريعة الطقوس ، وطارى شريعة الحق والرحمة : « ثم اذ كان استعداد ، فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت ، لان يوم ذلك السبت كان عظيماً ، سأل اليهود بيلاطس ان تكسر سيقانهم ويرفعوا » . قضت عادة الرومان قديماً ، بأن يتركوا المصاوبين معلقين على الصليب ، ليموتوا على مهل ، فتنن جشهم ، وتصير مطعماً لطيور السماء ، ووحوش البر . لكن الشريعة اليهودية ، قضت من جانبها ، بأن تُرفع اجساد المصاوبين عن الصليب ، قبل حلول السبت « المقدس » ، لكي لا تحمل بارضهم

يلاطس ان تُكسر سيقانهم ويُرفعوا. ٣٢ فأتى العسكر وكسروا

«المقدسة» لعنة الجثث المصلوبة، متى بقيت على الصليب الى السبت (تث ٢١: ٣ ويشوع ٨: ٢٩ و ١٠: ٢٦). كذلك ايضاً، يقول يوسفوس المؤرخ اليهودي وما كان للرومان ان يبالوا كثيراً أو قليلاً بتنفيذ أحكام الشريعة اليهودية، لولا ان اليهود ألحوا على يلاطس في الطلب، بأن تُكسر سيقان المصلوبين، لكي يعجلوا بماتهم، ويجعلوا موتهم محقق الوقوع، فترفع أجسادهم عن الصليب حالاً، لان شمس يوم الجمعة قد آذنت بالغروب، فصاروا على أبواب السبت: «وكان يوم ذلك السبت عظيماً» — اي انه كان سبتاً مضاعفاً. لانه فضلاً عن كونه سبتاً اسبوعياً، فقد كان ايضاً اول يوم في الفصح الواقع في ١٥ نيسان. فهو بذلك يوم سبت، اي يوم «راحة» مقدسة وبما ان حمل الفصح، كان يُقدم على مذبح الهيكل عند غروب شمس الجمعة، ليؤكل بين العشاءين، ومن حيث ان المسيح مات على الصليب عند هذا الوقت عينه^(*)، فان في هذا حجة وثيقة على أن المسيح هو «فصحنا الجديد الذي قد ذُبح لأجلنا» (١ كو ٥: ٧)

عدد ٣٢. (ب). ييوطس يجبرهم الى طلبهم، فيأمر العسكر يكسر ساقى الاول والاخر: «فأتى العسكر وكسروا ساقى الاول والاخر المصلوب معه».

(*) اطلب شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٥٥٣، يتضح لك ان رواية يوحنا تتفق ورواية البشيرين الاولين في ان المسيح مُصلب يوم الجمعة في الوقت الذي كان فيه حمل الفصح مقدماً على المذبح في الهيكل

ساقِي الاول والآخر المصلوب معه . ٣٣ واما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات . ٣٤ لكن واحداً من

ان ييلاطس الذي سبق فأجاب اليهود الى طلبتهم العظمى ، وأسلم المسيح اليهم (عدد ١٦) ، لم يجدُ بدأ من اجابتهم الى ملتصقهم الهين في نظره

وهكذا كان اليهود يلبسون ناموس الرحمة، ويقدمون ناموس الطقوس عدد ٣٣ و ٣٤ . (ج) انطفئة النجوم : « واما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه . لانهم رأوه قد مات . لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء . ان خروج الدم والماء ، من جنب المسيح بعد موته، يُحسب ظاهرة غريبة. لكنها حقيقة واقعة على الرغم من ذلك. لان المسيح «عجيب». فلا عجيب اذا كان موته كذلك عجيباً . وها نحن اولاء نورد تعليلاً طبيياً، ديجته يراعة الدكتور درموند روبنسون^(*)، أحدا الأطباء الذين يشار اليهم بالبنان في عالم الطب في وقتنا الحاضر : « يموت المصلوب عادة في مدة تتراوح بين ٢٤ - ٢٨ ساعة. لكن موت المسيح كان غير اعتيادي، لانه أسلم الروح بعد ان قضى ست ساعات على الصليب - من الساعة ٩ صباحاً الى ٣ بعد الظهر . ومن المعلوم . ان المصلوبين يموتون عادة نتيجة هبوط تدريجي في الجسم ، لكن موت المسيح لم يكن كذلك . لان فادينا «نادى بصوت عظيم» قبيل تسليمه الروح (لو ٢٣: ٤٦) . فمن المحقق اذاً ، انه مات متأثراً بانفجار فجائي في جدران القلب، نتيجة ضغط الآلام النفسية عليه. هذا

* G.H. Drummond Robinson M.D. F.R.C.P.—See the "DAWN"—May 16, 1927,

العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء . ٣٥ والذي عاين
شهد وشهادته حق

مصدق لما جاء عنه في النبوة: «العار كسر قلبي» (مزمو ٦٩: ٢٠). ومن المسلم به طبيياً، انه عند ما تنفجر جدران القلب، ينساب الدم من تجويف القلب الى غاشيته المحيطة به ، المعروفة في عالم التشريح بـ « التامور » ، فينتج عن هذا عادة، سكتة قلبية، تنتهي بالموت العاجل . من ثمَّ ينفصل هذا الدم المنساب، الى قسمين : اولهما — مكوّن من خثارة حمراء وموية . والثاني : عبارة عن مصل مائي . هذان هما « الدم والماء » (*) اللذان خرجا من جنب المسيح ، حالما طعنه الجندي ، تلك الطعنة القاسية ، التي فتحت في جنبه ثغرة واسعة تكفي لوضع الكف البشرية فيها (٢٠: ٢٧)»

يقول الكتاب: « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . ولا مشاحة في ان الدم الذي يسفك من يدي المصلوب ورجليه ، لا يقاس بالنسبة الى الدم الذي يسفك نتيجة حدوث انفجار في جدران القلب . لذلك، قال يوحنا : « هذا هو الذي أتى بماء ودم . يسوع المسيح . لا بالماء فقط بل بالماء والدم » (١ يو ٥: ٦) يعتقد بلومر — من غير ان يذكر اساساً قوياً لاعتقاده — ان الدم والماء ، يرمزان الى فريضتي العشاء الرباني ، والمعمودية !

عدد ٣٥ . (د) يوحنا البشير . نتم رواية العباية . نتم شهادته : « والذي عاين » — اي يوحنا نفسه كاتب هذه البشارة — « شهد وشهادته حق » .

(*) جاء في التلمود لليهودي « فصل شيموت » تعليقاً على ما جاء في مز ٧٨: ٢٠ انه عندما ضرب الصخر مرتين بعصا موسى، خرج منه دم اولاً ثم ماء

وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم . ٣٦ لان هذا كان ليم الكتاب القائل «عظم لا يكسر منه» . ٣٧ وايضاً يقول كتاب آخر

لم يكتف البشير بان يقول ان شهادته مفيقة ، بل قال انها «مور» . فهي اذا شهادة ماثية ، ومعتمدة ، وموثوقة . «وهو يعلم» — علم اليقين — «انه يقول الحق ، لتؤمنوا انتم» (١٩: ١ و ٣٢ و ٣٤ و ١٣: ٨ و ١٤ و ٧: ١٢)

لقد وضع يوحنا ختم شهادته على هذه الرواية : (١) لكي يقرر ، انه وان يكن خروج الدم من الجسم بعد الموت أمراً غريباً ، الا انه على رغم ذلك ، قد وقع بالفعل . (٢) ليدحض الاقتراءات اليهودية — وما اليها — التي حاولت ان تلقي سحابة من الشك على موت المسيح وقيامته (متى ١٣: ٢٨-١٥) . (٣) لكي يؤيد حقيقة لاهوت المسيح ، وحقيقة ناسوته — بخلاف ما نادى به الايونيون والغنوسييون . (٤) لكي يقرر من غير ما لبس ولا ابهام ، ان يسوع المصلوب ، هو «مسيا» المنتظر ، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم

عدد ٣٦ . (هـ) المسيح فصمنا ابوك : «لان هذا كان ، ليم الكتاب القائل : «عظم لا يكسر منه» — الاشارة هنا ، الى ما جاء في خروج ١٢: ٤٦ وعدد ١٢: ٩ . هذه هي الحقيقة التي نادى بها بولس الرسول ايضاً : «لان فصمنا المسيح قد ذبح لاجلنا» (١ كو ٥: ٧) . لذلك كان من المحتم ، ان عظام المسيح الكامل ، «تحفظ جميعها ، وان واحداً منها لا ينكسر» (مزمو ٢٠: ٣٤)

عدد ٣٧ . (و) المسيح المصلوب هو مسيا رجاء اليهود ، ومشتهى الامم «وايضاً يقول كتاب آخر : سينظرون الى الذي طعنوه» . وردت هذه النبوة

سينظرون الى الذي طعنوه . ٣٨ ثم ان يوسف

في زكريا ١٢: ١٠ ، لتصف آلام المسيح قبل مجيئه الاول . وقد عرفنا يوحنا البشير ، في سفر الرؤيا (رؤ ١: ٧) ، انها تنطبق أيضاً على المسيح في مجيئه الثاني . فهي اذاً منطبقة على المسيح رجاء اليهود، ومشتهى الامم

(٧) الرقى - ظهور التلمذية اللزيم طالت مدة تخفيهما (١٩: ٣٨-٤٢)

انسانان ممتازان ، ظلا مدة غير قصيرة من الزمان ، تلميذين للمسيح اثناء وجوده بالجسد على الارض . لكنهما كانا تلميذين متخفين ، لسبب الخوف من اليهود . فلا شك انهما كانا يحرصان شديد الحرص على عضويتهما في مجمع السنهدريم ، وكانا يخشيان من ان يفقدا مكانتهما الاجتماعية بين قومهما . ومن المحقق ، انهما كانا يرضنان باموالهما الطائلة من ان تعبت بها عواصف الاضطهادات الدينية . لذلك ظلا متخفين طوال هذه المدة . ولعلهما كانا يطمعان في ان تتاح لهما فرصة ، فيها يخدمان سيدهما مدة تخفيهما . وفعلاً استطاع احدهما - نيقوديموس - أن يدافع عن المسيح في احدى جلسات السنهدريم - دفاعاً ما أضعفه (٧: ٥٠) !

لكن بعد ان صُلب المسيح ، صهرت نيران صليبه ذلك الخوف ، الذي كان مستولياً على نفسيهما ، واحرقت الربط الاجتماعية التي كانت تغل ايديهما وارجلهما ، وسلطت عليهما قوة المصلوب ، فاجتذبتهما وانتزعتهما من مخبئيهما وصبت في دمائهما ناراً وحديداً . وهما نحن نراها الآن على احسن ما يكون عليه المرء من شجاعة ، وبطولة ، وولاء

عدد ٣٨ . (١) ولواء اولهما - يوسف الرامي : «ثم ان يوسف ، الذي

الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل ييلاطس ان يأخذ جسد يسوع . فأذن ييلاطس فجاء واخذ جسد يسوع . ٣٩ وجاء ايضاً نيقوديموس الذي اتى اولاً

من الرامة — ومعناها « المرتفعة » او « الصعيد » — « وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود ، سأل ييلاطس ان يأخذ جسد يسوع » .
 شتان بين هذا الطلب الذي تقدم به هذا التلميذ الامين الى ييلاطس ، وبين ذلك الذي سأله اليهود من ييلاطس عنه . هذا طلب جسد يسوع ، ليقدّم له كل اكرام . واولئك سألوا ييلاطس ان تُكسر سيقان المصلوبين الثلاثة ، تقديساً لطقوسهم النافلة ، وتدنيساً لقلوبهم ، باضافة آلام جديدة على آلام المصلوبين . اما ييلاطس ، ذلك القوي الجبان ، والعنيد المطواع ، فقد اجاب طلب رؤساء اليهود ، مثلما اجاب ملتمس يوسف الرامي : « فأذن . فجاء واخذ جسد يسوع » . ولا يفوتنا ان نذكر الشجاعة العظيمة ، التي تسلم بها يوسف الرامي ، قبل ان يذهب الى ييلاطس ، ليطلب منه جسد يسوع . لان مثل هذا الطلب يحمل معه تهديداً لمركزه الاجتماعي والديني بين اليهود ، وينطوي على تعريض ضمني بسمعته الادبية ، في نظر ييلاطس نفسه

عدد ٣٩ . (ب) ولأول مرة — نيقوديموس : « وجاء ايضاً نيقوديموس ، الذي اتى اولاً الى يسوع ليلاً ، وهو حامل مزيج مر وعود ، نحو مئة منا » .
 ان هذا اللقب : « الذي اتى الى يسوع ليلاً » ، لم يفارق نيقوديموس مطلقاً (١: ٣ و ٤٩: ٧ و ١٩: ٣٩) . قد يُشفي المرء من ضعفاته الادبية والروحية ، لكن

الى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منّا . ٤٠ فأخذنا
جسد يسوع ولفناه بأكفان

أثرها يظل عالقاً به . كريض يُشفى من مرض الجدري مثلاً ، لكن آثار
هذا المرض الخبيث ، لا تبرح جسمه مهما طال المدى . على ان رحمة الله ،
غافرة ومغيرة ، ومجددة وممجدة . فهي تخاق من ضعفاتنا قوة (٢ كو ١٢: ١٠)
يستفاد من قول البشير : « وجاء أيضاً نيقوديموس » ، ان ليوسف الرامي
فضل الاسبقية على نيقوديموس ، وربما كان ذهابه الى يلاطس ، خير مشجع
لنيقوديموس . لكن هذا الاخير ، استطاع ان يعوّض عن بعض تقصيراته ،
بسطاء تقدماته : « فجاء حاملاً مزيج مرّ وعود نحو مئة منّا » — والمنا رطل
مصري ، فائلة منّا ، تساوي قنطاراً مصرياً . هذا يدل على ان نيقوديموس
كان غنياً جداً ، ولعله بالغ في هذه التقدّمات ، لكي يغمر بها جسد ذاك ،
الذي سبق فغمره من على الصليب بفيض غفرانه . وجدير بالذكر ، ان مثل
هذه التقدّمات ، لا تقدم الا للملوك ! هذه شهادة ضمنية لملك المسيح

مسكين انت يا نيقوديموس ! فلو كنت قد قدمت بعض هذه التقدّمات
للمسيح ، وهو حيّ بجسده على الارض ، لتمتعت بابتسامة الرضى من شفّتيه
الطاهرتين . لكنّ عزاءك الآن ، هو ان المسيح حيّ لن يموت ، وهو لن
ينسى « تعب محبتك ، وعمل ايمانك ، وصبر رجائك » (١ تس ١: ٣)
عدد ٤٠ . (ج) وروّهما المشترك : « فأخذنا جسد يسوع ولفناه بأكفان
مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا » — على خلاف عادة المصريين في

مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا . ٤١ وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قط . ٤٢ فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لان القبر كان قريباً

تكفين اجساد موتاهم ، اذ كانوا ينزعون الامعاء من الجسد قبل تحنيطه على ما عرفنا هيرودت المؤرخ الشهير ، وكما ن شاهد في المتحف المصري العظيم

عدد ٤١ . (د) وصف موضع القبر : « وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان . وفي البستان قبر جديد » - لكي « لا يرى » جسد المسيح الطهور اي فساد - حتى فساد عظام القبور - « فهناك وضعا » - جسد - « يسوع » . يفهم مما جاء في اعمال ١٣: ٢٩ ، ان اليهود اشتركوا مع نيقوديموس ويوسف الرامي ، في دفن جسد يسوع . اما اليهود ، فعن حسد ، وحق ، وبغضاء . واما نيقوديموس ويوسف الرامي ، فعن محبة ، وولاء

عدد ٤٢ . (د) وضع الجثمان في القبر : كان اليهود آنذ يستعدون لذبح حمل الفصح ، بعد ان فرغوا من ذبح حمل الله . من اجل ذلك ، أُجريت عملية الدفن بغاية العجلة ، لان السبت كان على الابواب . ومما ساعد على انجاز الدفن بسرعة ، ان القبر كان « قريباً من اورشليم »

غالباً جداً ، كان هذا البستان والقبر ، ملكاً ليوسف الرامي . لكن لافضل ليوسف في تقديمه بستانه للمسيح لان المسيح سبق فجاد على يوسف وامثاله ، بفردوس الخلود (رؤيا ٢: ٧) . ولا فضل للرامي في تقديم قبره ليسوع ، لان المسيح سبق فاعده له ان « يجلس معه في عرشه » (رؤيا ٣: ٢١)

الاصحاح العشرين

القبر الخالي

المسيح ينتقل من القبر الى المجد . والتلاميذ ينتقلونه من العياشه الى البرمائه
 في الاصحاح السابق ، تركنا المسيح في ذلك القبر الجديد الذي لم يوضع
 فيه احد من قبل ، وتركنا تلاميذه في قبر من اليأس والاحزان . فما اشد
 الخوف الذي كان مستولياً على قلوبهم طوال يوم السبت ، الذي اعقب يوم
 الصلب ، بل ما ارهب السكون الذي خيم على قلوب رؤساء الكهنة بعد
 انقضاء تلك العاصفة الهوجاء التي اثاروها ، فاختتمت بالصلب . ومن الحق
 انهم شعروا بدهشة مرهبة ، ورهبة مدهشة ، حينما ذهبوا الى الهيكل في
 صباح سبتهم «المقدس» ، ورأوا «حجاب» الهيكل السميك ، وقد «انشق»
 من فوق الى اسفل» (متى ٢٧: ٥١) . ولعل ذلك اليوم ، كان ارهب الايام
 عليهم ، واشقاها على التلاميذ ، الذين قد تشتت شملهم بعد ان ضرب راعيهم،
 وهُدم صرح آمالهم في «مسيا المنتظر» ، فقد كانوا هم ايضاً «يرجون انه هو
 المزمع ان يفدي اسرائيل» (لوقا ٢٤: ٢١)

غير ان هذه المخاوف التي خيمت على قلوب التلاميذ منذ غروب شمس
 الجمعة ، لم تكن سوى سحابة صيف ، بددتها شمس صباح الاحد ، فتبدلت
 اتراحهم افراحاً ، واستعالت مخاوفهم يقيناً ، واهتزت قلوبهم بنشوة الظفر ،
 عند ما سرت بينهم هذه البشري : «الرب قام بالحقيقة» ! (لوقا ٢٤: ٣٣)
 كل قبر محفور في الارض ، يُعتبر موقعة ظفرٍ للموت ملك الاهوال ،

سكن قبر المسيح صار مدفناً للموت ، ومقبرة لاعوان الشر ، ومطلع حكمة ،
 وكنز عزاء ، ومنبت انوار للمؤمنين . ولا عجب فهو القبر المثمر « في بستان »
 واذا حق للانسان ان يسحب من قيامة الموتي ، فمن حقه ان يسحب اذا
 لم يكن المسيح قد قام . لانه « كان ينبغي ان يقوم المسيح من الاموات »
 (٢٠: ٩) . فالقيامة هي الختم الالهي ، الذي كان ينبغي ان تتوج به حياة
 هذا الكامل الاوحد . لاننا نحن البشر الفاسدين نولد في الارض ، وعوامل
 الفساد تعمل فينا . فكان حياتنا منسوجة بنحیوط العدم . لأنها في اتم مظاهرها
 موت بطيء . لكن المسيح « قدوس الله » ، قد جاء ارضنا ، وعاش بيننا ،
 ولم « يكن لرئيس العالم فيه شيء » — بشهادة الاعداء والاصدقاء — فكان من
 الختم ، ان الذي تنزه جسده عن فساد الحياة ، لا يرى ايضاً فساد القبر
 ان قيامة المسيح ، هي طابع رضى الآب عن ذبيحته الكفارية التي قدمها
 على الصليب . لان كل ذبيحة مقبولة لدى الله ، كانت ترتفع الى السماء على
 نسبات رضى الله . فكان من الختم اداً ، ان يرتفع المسيح بجسده الى السماء ،
 علامة رضى الآب عن ذبيحته . ولا شك في ان الذي فاز برضى الآب عنه
 عند نهر المعمودية (لو ٣: ٢٣) ، وكسب مسرة الآب به على جبل التجلي
 (مت ١٧: ٥١) ، وظفر بتمجيد الآب له عند تلّ الجلجثة (يو ٣: ٢٨) ،
 يكون ايضاً حقيقاً برضى الآب عنه ، بعد ان « اكمل » تدبير الفداء (يو ١٩: ٣٠)
 ان قيامة المسيح ، هي حصن ايماننا ، وحيطة قيامتنا العتيدة (١ كو ١٥ :
 ١٣ و ١٤) ، وهي خير باعث لنا على السلوك في جدة الحياة (١: ٣ — ٣) .
 هي ختم بنوة المسيح الازلية (رو ١: ٤) ، وهي باب دخوله الى المجد الذي كسبه

لنفسه بآلامه وموته (في ٩:٢ وعب ٩:٢)، وهي تاج عمل الفداء الذي قام به عنا، اذ «أسلم من اجل خطايانا وأقيم لاجل تبريرنا» (رو ٢٥:٤)

بعد ان أدخل جسد المسيح الى القبر، وُضع على باب القبر حجر كبير، ثم «مضى رؤساء الكهنة والفريسيون وضبطوا القبر بحراس من قبل بيلاطس. وختموا الحجر» (مت ٢٧:٦٢-٦٦). فكان القبر اذاً، في قبضة اعداء المسيح، الذين افرغوا جعبتهم في ابتكار أبرع الوسائل لحبس هذا الجسد المقدس داخل القبر. وكأنهم عقدوا مؤامرة مع الموت لابقاء «قدوس الله» في ظلمة القبر. وفي الوقت نفسه، كان تلاميذ المسيح الساكنين محاطين بجوٍ تسوده عوامل مموتة: اولها - بأسهم من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم، بعد ان وُضع الحجر الكبير على قبر سيدهم. والعامل الثاني - خوفهم من ماضهم، اذ صاروا محاطين باليهود الذين سطوا على الراعي، فلا يتورعون من ان يبسطوا ايديهم على الرعية ايضاً. والعامل الثالث - اسفهم على ماضهم تركوا فيه اشغالهم، وودعوا اهلهم وذويهم، ليتبعوا انساناً صار القبر غاية مصيره، فلولم يكن المسيح قد قام، لما قامت لتلاميذه قائمة. ولولم يعتلى تلاميذه بيقين القيامة في انفسهم، لصار مهد الكنييسة لحدّها

من اجل هذا، اهتم كل البشيرين بتسجيل حادثة قيامة الفادي. الا ان كلاً منهم حدثنا عن الحوادث المتعلقة بالقيامة من وجهة نظره الخاصة. ولا يبرح عن بالنا، ان يوحنا كاتب هذه البشارة، لم يقصد ان يقدم لنا تاريخاً وافياً للحوادث التي وقعت بين قيامة المسيح وصعوده - فان بشارته كتبت في وقت كانت فيه الكنييسة المسيحية ملة غاية الالمام بالحوادث المتعلقة

بالقيامة — ولكنه اختار من جعبة اختباراتِه الخاصة، بعض الحوادث، كنماذج تحمل بين طياتها رمزاً معنوياً لحقائق روحية، أراد ان يجعلها نصب اعيننا . فجاءت روايته، بحكم طبيعتها، متممة ومؤيدة لروايات من سبقوه من البشيرين وجدير بالذكر، ان ما كتبه يوحنا في الاصحاحين التاليين، عن الحوادث المتعلقة بالقيامة، يقابل ما كتبه في الاصحاحين السابقين عن حوادث الصلب . في حوادث الصلب، ارانا بغضة اليهود للمسيح، وقد هوت الى حضيض البغضاء والانتقام والاجرام . وفي حوادث القيامة، ارانا محبة التلاميذ للمسيح، وقد ارتقت من مستوى العيان المنخفض الى اوج الايمان الراقى . فاذا كان ظل الموت منعكساً على الاصحاحين السابقين، فان نور الحياة الجديدة يسطع في ارجاء الاصحاحين التاليين

ولقد اهتم أيضاً يوحنا البشير بتدوين حوادث معينة، انتقاها لتكون صوراً حية تمثل شخصيات بارزة، بكل وضوح وجلال، — كشخصية بطرس، ويوحنا نفسه، وتوما، ومريم المجدلية

فمن الحوادث التي تفرد يوحنا بذكرها : اعطاء المسيح لتلاميذه سلطاناً لاعلان الحل والعقد (يو ٢٠: ٢٣)، وظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم في الاحد الثاني للقيامة (٢٠: ٢٦) . هذا فضلاً عن حوادث الاصحاح الختامي ومما يسترعي الالتفات، في الحوادث التي دوّنها يوحنا : درجات الايمان، الممثلة في الاشخاص الذين آمنوا بحقيقة القيامة : (١) فالتلميذ « الذي كان يسوع يحبه » آمن نتيجة مموت علامات تجلت له، من غير ان يرى المسيح بالذات (٢٠: ٨) . (٢) و« مريم المجدلية » آمنت بعد ان سمعت المسيح منادياً

يا لها باسمها (٢٠:١٤-١٦). (٣) و«التلاميذ» آمنوا اذ رأوا جروح الرب (٢٠:٢٠). (٤) و«توما» آمن بعد ان عرصه عليه المسيح انه يضع يده في جنبه كما طلب (٢٧:٢٠). اما ارقى درجة في الايمان ، فقد جعلها المسيح من نصيبنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (٢٩:٢٠) ومع انه من الصعوبة بمكان ، ان نعيّن بالضبط ، الوقت الذي وقعت فيه الحوادث المتعلقة بالقيامة ، الا اننا نستطيع ان تقدّر وقتاً تقريبياً ، لبعض تلك الحوادث ، استناداً الى اوثق المصادر :—

السبت الساعة ٦ مساءً مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب تعاننان
القبر (مت ٢٨:١)

حوالي ٦ ١/٢ مساءً مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ، وسالومة
تشرين حنوطاً (مر ١٦:١)

الأحد باكراً جداً القيامة ، فالزلة ، فنزول الملاك ، وفتح
القبر (مت ٢٨:٢-٤)

الساعة ٥ صباح الأحد مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ، وسالومة ،
(وقت السحر) وبعض النساء ، يذهبن الى القبر ، فتسبقهن

مريم المجدلية ، ثم ترجعن تواء لتخبر بطرس
ويوحنا بما رأته (يو ٢٠:١-١٠)

الساعة ٥ ١/٢ صباحاً رفيقات مريم يصلن الى القبر (مر ١٦:٢)

فيتراءى لهم الملاك ، ويوصيهم برسالة الى
التلاميذ (مت ٢٨: ٥ ، ومر ١٦: ٥)
جماعة اخرى من النساء ، يأتين الى القبر
(لو ٢٤: ١)

قبيل ٦ صباحاً

ظهور ملاكين ، لهذا الفريق الثاني من النساء ،
وافضاؤهما اليهن بكلمات معزية (لو ٢٤: ٤)
ذهاب بطرس ويوحنا الى القبر ، وظهور
الملاكين لمريم المجدلية (يو ٢٠: ٣-١٣)
وفي نحو هذا الوقت ، ذهبت النساء ليلفن
التلاميذ خبر القيامة (لو ٢٤: ١٠)

الساعة ٦ صباحاً

» ٦ ١/٢ صباحاً

المسيح يظهر نفسه لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١٤-١٨ ومر ١٦: ٩) ، وبعد وقت قصير ،
يظهر ذاته لجماعة من النساء ، كنّ راجعات
الى القبر ، (مت ٢٨: ٩)

الساعة ٧ صباحاً

ظهوره لبطرس (لو ٢٤: ٣٤ و ١ كو ١٥: ٥)
ظهوره لتلميذي عمواس (لو ٢٤: ١٣
ومر ١٦: ١٢)

حوالي ٤ بعد الظهر

بين ٤ و ٦ بعد الظهر
(على وجه التقريب)

ظهوره لجماعة الرسل وآخرين (لو ٢٤: ٣٤
ومر ١٦: ١٤ و يو ٢٠: ١٩)

الساعة ٨ مساءً

اما المرات التي ظهر فيها المسيح مدة الاربعين يوماً التي توسطت بين قيامته وصعوده ، فقد استطعنا ان نرتبها في الجدول الآتي — على قدر ما وصل اليه علمنا ، بعد البحث والاستقراء :

الكاتب الذي أنبأنا بالظهور	زمان الظهور	مكان الظهور	الذين ظهر لهم	ترتيب الظهور
يوحنا ٢٠: ١٤ — ١٧ ومرقس ١٦: ٩ — ١١ مت ٢٨: ٨ و ٩ لو ٢٤: ٣٤ وبولس في ٢ كو ١٥: ٥	الساعة ٧ صباحاً بعد الساعة ٧ « بقليل حوالي الساعة ٤ بعد الظهر بين الساعة ٤ و ٦ بعد الظهر الساعة ٨ مساء	عند القبر في الطريق بين القبر واورشليم في اورشليم على طريق عمواس في العلية في اورشليم	لمريم المجدلية للنساء وهن راجعات من القبر لبطرس لاثنتين من غير الرسل لرسل في غياب توما	الاول الثاني الثالث الرابع الخامس
يو ٢٠: ٢٦ — ٢٧ يو ٢١: ٢٤ — (مت ٢٨: ١٦) مت ٢٨: ١٦ — ٢٠ و ١ كو ١٥: ٦ بولس في ١ كو ١٥: ٧ لوقا في اع ١-٣ و ١ كو ١٥: ٧	بعد القيامة بثمانية أيام في شهر مايو في شهر مايو في شهر مايو قبيل صعوده	في العلية في اورشليم على شاطئ بحر طبرية على جبل في الجليل في اورشليم (غالباً) في اورشليم	للاحد عشر رسولاً وتوما معهم لسبعة من الرسل للاحد عشر رسولاً و ٥٠٠ أخ ليعقوب للاحد عشر رسولاً	السادس السابع الثامن التاسع العاشر

١ وفي اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً

خامساً : القيامة (١:٢٠ - ٣)

هذا اصحاب الحياة الجديدة . فلا غرو اذا كان قلبه نابضاً بحياة الايمان وايمان الحياة : « فرأى وآمن » (٨:٢٠) . ينقسم هذا الفصل الى ثمرة اقسام :
(١) العلامات الثمينة المثبتة لحقيقة القيامة (١:٢٠ - ١٠) . (٢) الظهور المثلث (١١:٢٠ - ٢٩) . (٣) غاية يومنا من كتابة بشارته (٢٠:٣٠ و ٣١)

(١) العلامات الثمينة المثبتة لحقيقة القيامة : ا - العلامة الاولى : القبر المفتوح (٢٠:١ و ٢) - هذه العلامة رأتها مريم وخبرت بها - ب - العلامة الثانية : القبر الخالي - ا كفان ولا جسد (٢٠:٣ - ٦) : هذه العلامة تحققها بطرس ويوحنا - ج - العلامة الثالثة : المنديل الملفوف على حدة (٢٠:٧ - ١٠) . هذه العلامة وسابقتها كانتا سبباً في ايمان بطرس ويوحنا

(١) العلامات الاولى - القبر المفتوح (٢٠:١ و ٢)

عدد ١ - (١) مريم المجدلية ترى القبر المفتوح : « في اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً والظلام باقٍ . فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر » . ينتهي الاصحاح السابق ببدء آخر « سبت يهودي » في العهد القديم . ويُستهل هذا بفرقة اول « سبت مسيحي » في العهد الجديد . وما كاد يحل آخر سبت يهودي على العالم حتى كان ظلام البشرية على اشده . لان جسد مخلص الانام كان قد أُودع في القبر ووضع على القبر حجر ، ولكن ما كاد يبرغ فجر السبت المسيحي الاول ، حتى كانت انوار الفداء قد عمّت الارحاء

والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر . ٢ فركضت وجاءت الى سيمان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت

لان « شمس البر » قام من قبره قبل ان تقوم شمس الطبيعة من خدرها فكان خليقاً بالذي بدد ظلمة القبر، ان يقوم والظلام مخيم على الارض . من اجل ذلك لم يستطع احد ان يرى « كيف » قام المسيح ، ومع اننا نؤمن ايماناً وطيداً ان المسيح قام « حقاً » . فديانته ليست ديانة « الكيف » بل ديانة « الحق » يُستهل هذا الاصحاح بآية ، تنبئنا بـ « الآية » الاولى المثبتة لحقيقة القيامة وهي — القبر المفتوح . ومن العجيب ان اول من شهد هذه « الآية » ، امرأة لم تكن في حياتها السابقة ذات مركز اجتماعي سام — مريم المجدلية^(١) التي يقول عنها لوقا ان الرب « اخرج منها سبعة شياطين » (لو ٨: ٢) . فلا عجب اذا رأيناها مبكرة وذهابة الى القبر في مقدمة الجميع، لانها كانت في مقدمة من غمرتهم افضال المسيح . فتقل الدين يقابله ثقل في المسئولية

عدد ٢ . (٢) المجدلية نخب بطرس ويوحنا بما رأيت : « فركضت وجاءت الى سيمان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه » . يُستنتج من تكلم مريم بصيغة الجماعة : « لسننا نعلم اين وضعوه » ، انها كانت تتكلم عن نفسها وعن

(١) لقت مريم بـ « المجدلية » ، نسبة الى بلدها « مجدل » وهي المدينة التي اتى الى تخومها المسيح بعد ما اشبع الاربعة الآلاف ، في الجنوب الشرقي من بحر الجليل (متى ١٥: ٣٩) ويعتقد الاكثرون انها « المجدل » الحالية ، التي تبعد نحو ساعة الى شمالي طبرية

لها اخذوا السيد من القبر

النساء اللواتي ذهبن الى القبر بزعامتها ، ومعهن حنوط لتعطير جسد المسيح
(مت ٢٨: ٢١ ومر ١٦: ٢ ولو ٢٤: ١٠)

ويستفاد مما كتبه البشير ون الاولون ، ان مريم والنساء اللواتي كنَّ معها ، كن يقفن فيما بينهن ، في طريقهن الى القبر : من يدخرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ ولما وصلن الى القبر وجدن الحجر قد دُخرج عنه ، واذ لم يعرفن شيئاً عن كل ما حدث اندهشن . وحالما دخلن القبر ، ولم يجدن جسد الرب تحيّرُن جداً . اما مريم المجدلية فظننت ان جسد الرب قد سُرق . ويُفهم من قولها : «اخذوا السيد» ، انها ربما ظننت ان اليهود قد سرقوا جسد الفادي ، او ان يوسف الرامي ونيقوديموس قد نقلا الجسد من القبر الى مرقد آخر . فاختلجت في قلبها لوعة يمازجها الحزن والدهشة ، فلم تتمالك نفسها من ان تترك القبر وسائر النساء هناك ، وتهرول راكضة الى بيت بطرس الذي لم يزل بعد محسوباً من زعماء الرسل - على رغم انتشار خبر انكاره لسيدته ، والى بيت يوحنا «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» . وهو الذي ظلّ ملازماً لسيدته حتى آخر لحظة ، «وقالت لها اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه» !

حسن ان مريم وهي تتكلم عن «الجسد» الذي في القبر ، قالت : «السيد» . فهي اذاً كانت احكم من نفسها وهي لا تدري ، لان الرب كان قد قام وقتئذ . فهو اذاً حي . غير ان مريم ، وقعت في سلسلة اغلاط بسبب ضعفها البشري . فقد ذهبت الى القبر لتعطّر جسد يسوع الانسان ، وغاب عنها ان هذا

ولسنا نعلم اين وضعوه . ٣ نخرج بطرس والتلميذ الآخر واتيا الى

الجسد قد ارتقى الى العلاء، فتعطرت برائحته كل اجواء السماء. جاءت الى القبر عليها ترى جسد المصلوب ممسكاً بسلاسل القبر. وقد فاتها ان يد الظلام لا تقوى على ملامسة اهداب «نور العالم». جاءت لتقدم فروض ولائها لانسان ذهب ضحية ظلم الناس. وقد نسيت ان من اوجب واجباتها ان تقدم عبادتها لهذا المخلص العجيب، الذي التقت فيه رحمة الله بعدالته. مسكينة هذه المجدلية اذ توهمت ان «السيد» امسى جثماناً هامداً، يستطيع اعداؤه ان «يأخذوه»، وقد سهي عليها، ان السيد هو العزيز المقتدر، رب الموت والحياة. ظننت مريم ان كل هذا حدث بفعل ايدي الناس، فتعذبت. مع انها لو ادركت ان يد الرب، هي التي فعلت كل هذا، لتعزّت. اننا في نفس الوقت مدينون لمريم المجدلية بجهالتها وغفلتها. فلو كانت مريم متوقعة قيامة الرب من الاموات، لو وجد امام المعارضين مجال متسع للقول: ان حادثة القيامة تكونت في فكر مريم، نتيجة وساوس، واختلاط عقلي في ذهنها

وهل من ريشة تستطيع ان ترسم لنا مبلغ تأثير مريم ام المخلص بهذا الخبر، حين بلغها وهي مقيمة مع يوحنا في بيته؟ (٢٧: ١٩)

(ب) العروة الثانية: القبر الخالي. اكفاه ولا مبر (٢٠: ٣-٦)

عدد ٣ و ٤. (١) بطرس ويوحنا يذهبان الى القبر مسرعين. سمع الرسولان هذا الخبر الغريب، فخرجا مسرعين الى القبر. اما بطرس فكان — على ما نعهده فيه من الاندفاع — اسبق الاثنين الى الانطلاق. وربما وصلت

القبر. وكان الاثنان يركضان معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً الى القبر. ٥ وانحنى فنظر الاكفان موضوعة ولكنه لم يدخل

المجدلية الى بيته قبل ان تصل الى بيت يوحنا (عدد ٢). اما يوحنا، فلكونه اصغر الاثنين سناً، فقد استطاع ان يلحق ببطرس «وكان الاثنان يركضان معاً». ومن ثم سبق يوحنا بطرس وجاء أولاً الى القبر. فالغيرة قد تكون أسبق من المحبة في بدء الطريق، لكن المحبة تسبق الغيرة وتسبقها في النهاية عدد ٥. (٢) يومنا نحن على باب القبر، فبحسب العذبة الثانية «وانحنى» — اي يوحنا. وعلة انحنائه ان باب القبر كان منخفضاً — «فنظر الاكفان موضوعة»، فحقق ما قالته مريم ان «الجسد ليس في القبر». ولعله تعجب من ان الذين اخذوا الجسد، لم يأخذوا الاكفان ايضاً، اقتصاداً في الوقت والتعب. هذا اذا كان الذين اخذوا الجسد، من اعداء المسيح. اما اذا كانوا من احبائه، فلا يُعقل انهم يأخذون الجسد ويتركون الاكفان. فمن المحقق اذاً، ان اليد التي رفعت الجسد من القبر، ليست يد انسان — عدواً كان ام صديقاً. ما هذه الا يد الله

وقد يلذ لنا ان نذكر ان الكلمتين: «انحنى ونظر»، مترجمتان الى العربية عن كلمة واحدة في اللغة الاصلية — وردت ايضاً في عدد ١١ — وهي عين الكلمة التي بها وصف بطرس الرسول موقف الملائكة تجاه «امور» الفداء: «تشتهي... ان تطلع عليها» (١ بط ١: ١٢). ولكون يوحنا متهيئاً بطبيعته، لم يدخل القبر، وربما وقف واجماً لشدة حزنه على... ٥

٦ ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة.
٧ والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل
ملفوقاً في موضع وحده . ٨ فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر

عدد ٦ . (٣) . سمعان بطرس يصل بعد يوحنا ، ويدخل القبر ، فيرى
العمدة الثانية : «ثم جاء سمعان بطرس يتبعه» — لانه كان اكبر من يوحنا
سناً ، ونظراً لكونه عملياً في محبته وجسوراً ، لم يقف عند حد النظر الى
القبر ، بل اندفع كمادته « ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة » . الكلمة
المتروكة « نظر » ، معناها الحرفي « نظر بامعان وتدقيق » ، فأبصر ما لم يستطع
ان يراه يوحنا في لمحته العاجلة

(ج) العمدة الثالثة . المنديل الملفوف على حدة (٦:٢٠ - ١٠)

عدد ٧ . (١) . بطرس يرى هذه العمدة ، اولا : «والمنديل الذي كان
على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل ملفوقاً في موضع وحده » . هذا
مفاده ان المنديل كان ملفوقاً بكل عناية ، وموضوعاً من غير عجلة ، في مكان
على حدة . وردت هذه الكلمة «منديل» مرة اخرى في هذه البشارة (١٤:١١)
عدد ٨ . (٢) . يوحنا يقتدي ببطرس ويدخل القبر فيرى هذه العمدة :
«فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر» — اي يوحنا البشير — . «الذي جاء اولاً
الى القبر ورأى فأمن» . ما اقوى تأثير الانسان على غيره ، وما اشد تأثيره من
الآخرين ! فقد كان لشجاعة بطرس واقدامه في هذا الظرف الخاص ، اجمل
تأثير في يوحنا وهو لا يدري . فأمام شجاعة بطرس واقدامه ، اختفى تهيب

الذي جاء أولاً الى القبر

يوحنا واحجامة ، لذلك يقول يوحنا—وهو خير من يحدثنا عن نفسه ، وان يكن آخر من يذكر لنا اسمه : « فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً الى القبر » . والظاهر ان يوحنا لم يستطع ان يرى المنديل الملفوف ، وهو منعني على باب القبر (عدد ٥) ، لان المنديل كان موضوعاً في مكان داخلي ، ولان يوحنا كان قد التقى لحظة عاجلة على محتويات القبر ، ففاته ان يرى ما رآه بعد ان دخل

(٣) تأثير هذه العروسة في يوحنا : « ورأى فأمن » . بأي شيء آمن يوحنا ؟ أب مجرد الخبر المبهم المزعج ، الذي انبأته به مريم المجدلية ؟ كلا . لكنه آمن ان الرب قد قام ، لانه بعد ان رأى الاكفان موضوعة ، والمنديل ملفوفاً بكل عناية ، وموضوعاً على حدة ، اقتنع ، وآمن بان المسيح قد قام . لان في لف المنديل بهذه العناية ، ووضع على هذا النظام ، دليلاً على ان اليد التي مدت الى القبر ، ليست يد لص سارق . لان السارق بعد ان ينهب ما يريد بكل عجلة ، يترك الباقي مبعثراً مشتتاً . هذه اذاً يد عزيز مقتدر يجري اعماله بتأني ، ودقة ، وعناية ، ونظام . بل هذه يد المسيح نفسه اله القدرة والتأني ، الذي في ايام جسده ، كان ذاهباً ليقم فتاة ميتة ، فتمهل في طريقه ، وبكل عناية شفى امرأة مريضة (لوقا ٨: ٤١ - ٥٥) . بل هذه يد المسيح ، اله الترتيب والنظام ، الذي يهتم بعظائم المخلوقات ، اهتمامه بأصاغرهما . فهو يكسو البلوطة الضخمة ، مهابة وجلالاً ، ويفيض على البنفسجة الصغيرة بهاء وجمالاً

ورأى فأمن . ٩ لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب

ان القول بان يوحنا « آمن ان المسيح قام من الاموات » ، هو تعبير آخر للقول ، بان يوحنا آمن ان يسوع هو المسيح . واذا ما اضفنا هذه الكلمة: « آمن » ، الى درجات السلم التي ارتقى اليها ايمان التلاميذ في ما مرّ بنا من هذه البشارة (٣٨:١ و ١١:٢ و ١١:١٥ و ١١:١٤) ، اتضح لنا ، ان هذه ارقى درجة بلغها ايمان يوحنا ، في سجل بشارته

عدد ٩ . (٤) . علة تباطره ايمانه الرسل - بما فيهم يوحنا . لم يقل يوحنا عن نفسه انه « رأى وآمن » ، بنعمة الفخور المعجب بذاته ، كأنه كان اسبق الرسل الى هذا الايمان الذي هو وليد العيان . كلاً . وانما قالها بروح التواضع ، الذي يمازجه شيء من الخجل ، لانه لم يستطع ان يؤمن الا بعد ان رأى . من اجل ذلك ، نراه يدمج نفسه مع سائر الرسل ، في الكلام عن تباطؤ ايمانهم : « لانهم » - اي الرسل بما فيهم يوحنا - « لم يكونوا بعد » - اي الى الآن - « يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من الاموات » فاذأ جهل الرسل بما في الكتب ، هو علة تباطثهم في الايمان بقيامة المسيح . الاتحمل هذه الكلمات بين جنباتها ، اعترافاً ضمناً ، بان رسل المسيح كانوا اقل من اليهود انتباهاً لكلام السيد ؟ لان متى يخبرنا في بشارته : ان « رؤساء الكهنة والفريسيين اجتمعوا الى بيلاطس قائلين : يا سيد قد تذكرنا ان ذلك المضل قال وهو حي اني بعد ثلاثة ايام اقوم » (متى ٢٧: ٦٢ و ٦٣) . فكأن اعداء المسيح ، كانوا اسرع من احبائه الى فهم كلامه . وما اكثر

انه ينبغي ان يقوم

الافاق التي يكون فيها «ابناء هذا الدهر ، احكم من ابناء النور في جيلهم» (لو ١٦: ٨) ! اما « الكتاب » التي يقول يوحنا ، انه هو سائر الرسل « لم يعرفوه » ، فهو ما كُتب عن المسيح في ناموس موسى ، والانبياء ، والمزامير — سيما هذا السفر الاخير (مز ١٦: ١٠) . (قابل هذا بما جاء في لوقا ٢٤: ٢٥ و ٤٤) . من هذا يُستنتج : (ا) ان حوادث كثيرة ، تظل امامنا كسفر مختوم ، حتى يفيض عليها الزمان نوراً ساطعاً ، فتتلاها امامنا في ضوء الاختبار ، وفي نور روح ارشاد المسيح (لوقا ٢٤: ٤٥) . (ب) ان في قيامة المسيح مفتاحاً لاسرار الكتاب . وبغيرها يظل «الكتاب» سفيراً مختوماً . (ج) لو لم يكن المسيح قد قام ، لكان من المحتم ان يقوم . لان قيامته ليست «فرض كفاية» بل هي «فرض عين» : «ينبغي ان يقوم من الاموات»

هذه مرة أخرى ، قال فيها البشير كلمة : «ينبغي» في عرض كلامه عن شخص المسيح . وقد يكون من المفيد لنا ، ان نستعرض في لمحة موجزة ، المواضع التي ارتبطت فيها هذه الكلمة الحتمية : «ينبغي» بحياة السيد

«ينبغي ان يُرفع ابن الانسان» (يوحنا ٣: ١٤ و ١٢: ٣٤) — هذا فرض افراد الاغتباري . «ينبغي ان يذهب الى اورشليم» (متى ١٦: ٢١) — هذا فرض الوصية التي قبلها المسيح من الآب . «فكيف تكمل الكتب انه هكذا ينبغي ان يكون» (متى ٢٦: ٥٤ ، لوقا ٢٢: ٩ ، ٢٤: ٧ ، ٢٦: ٤٤) — هذا فرض المكتوب . «ينبغي ان اكون في ما لأبي» (لوقا ٢: ٤٩) — هذا فرض

في الاموات . ١٠ فمضى التلميذان ايضاً الى موضعهما

« المسيح ينوء الازلية للآب . » ينبغي ان امكث اليوم في بيتك «
 (قا ١٩: ٥) - هذا فرض المحبة الغافرة المتنازلة . « ولي خراف أخر ...
 في ان آتي بتلك أيضاً » (يو ١٠: ١٦) - هذا فرض النصر النهائية ،
 ستبلغها كنيسة المسيح عند كمالها . « ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني
 دام نهار » (يو ٩: ٤) - هذا فرض المهرمة المعجزة التي تقلدها المسيح من
 آب . « ان ابن الانسان ينبغي ان يتألم كثيراً » (مرقس ٨: ٣١) - هذا
 فرض المحبة الالهية القدائية . « ينبغي ان يسلم ابن الانسان في ايدي اناس
 طاة » (لوقا ٢٤: ٧) - هذا فرض الحياة البشرية

عدد ١٠ (٥) . رجوع بطرس ويوحنا الى موضعهما: « فمضى التلميذان
 ضاً الى موضعهما » . مضى كل من هذين التلميذين الى محل اقامته في اورشليم ،
 ان شرفتهما العناية برؤية ذلك القبر الخالي . اما يوحنا ، فسار في طريقه
 لايمان يملأ قلبه . واما بطرس ، فمضى في سبيله ، متفكراً في العلامات التي
 اينها بنفسه في القبر . وفي الغالب ، لم يبلغ درجة الايمان اليقيني بالقيامة ،
 بعد ان افتقده الرب برحمته ، وظهر له بنفسه ، حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر
 لنا اليوم عينه (لو ٢٤: ٣٤ و ١ كو ١٥: ٥) .

ومع اننا لاندري شيئاً عن الحديث الذي دار بين بطرس وسيده في
 هذه المقابلة ، الا انه من السهل علينا ان نتصور ، ان انكار بطرس لسيده لم
 ين خارجاً عن موضوع حديثهما في هذه المرة ، التي هي أول مرة التقيا فيها
 - تلك النظرة الفاحصة المذيبة (لوقا ٢٢: ٦٢)

١١ اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي . وفيما هي تبكي انحنت الى القبر ١٢ فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين

(٢) الظهور المثلث (١١:٢٠ - ٢٩)

ينبثنا هذا الفصل، بثلاث مرات اظهر فيها المسيح ذاته . أ - مريم المجدلية (١١ : ٢٠ - ١٨) - ب - لتوميزه في غياب ثوما عنهم (١٩ : ٢٠ - ٢٥) - ج - لتوميزه وثوما معهم (٢٠ : ٢٦ - ٢٩)

- أ - ظهور المسيح لمريم المجدلية (١١ : ٢٠ - ١٨) .

(١) مريم مخبرة بأكية : (١١ : ٢٠ - ١٣)

عدد ١١ . - أ - هذه مريم المجدلية ورواؤها : « اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي » . بعد ان أتمت مريم مأمورياتها التي قامت بها خير قيام ، بابلاغها خبر القبر الخالي الى بطرس ويوحنا ، عادت الى القبر من طريق غير الطريق الذي رجع منه بطرس ويوحنا . ومن شدة ولائها لسيدها ظلت واقفة عند القبر تبكي . لكن عين المحبة المخلصة المتألمة ، الطاهرة ، لا تكتفي بذرف الدموع ، بل تريد دائماً ان تتطلع ، عليها ترى من خلال الدموع ، ما يعيد اليها اطمئنانها ، ويرد لها ما غاب عنها ، ومن فقدت : « وفيما هي تبكي انحنت الى القبر »

عدد ١٢ . - ب - مريم ترى ملاكين حيث كان جسد يسوع موضوعاً « فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين ، واحداً عند الرأس ، والآخر عند الرجلين ، حيث كان جسد يسوع موضوعاً » . ما أبهى هذا المنظر العجيب ،

واحدًا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعًا . ١٣ فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين . قلت لهما انهم اخذوا

الذي رآته مريم ! انه شبيه بمنظر الكرو وبن الذين كانوا « مظلّين الغطاء حيث حل مجد رب الجنود قديماً » (خر ٢٥ ٢٢ ، ١ صم ٤:٤ ، ٢ صم ٢:٦ ، مز ٨٠:١ ، ١٠٩:١) . ولكن على رغم ما في هذا المنظر من جمال وبهاء ، فان مريم لم ترضَ به بديلاً عن سيدها . ومن العجيب ، انها لم تستغرب رؤية الملاكين ، ولم تخف منهما . لان حزنها العميق وانشغالها الشديد بالعشور على جسد سيدها ، ملكا عليها كل مشاعرها ، فتغافلت عن كل شيء عداه

ان قول يوحنا ، بان ملاكين ظهرا لمريم ، لا يتنافى ورواية متى ، بان ملاكاً واحداً ظهر لسواها من النساء (متى ٢٨:٥) . لان ذلك الملاك الواحد ظهر للنساء ، في الفترة التي تركتهن فيها مريم وانطلقت لتخبر الرسل بما رأت . واما الملاكان فقد ظهرا لمريم بعد انصراف سائر النساء

عدد ١٣ - ج - سؤال الملاكين وجواب مريم : « فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين » ؟ لقد اوضحنا معنى كلمة « امرأة » - كما وردت في الاصل - في ٢:٤ ، فاطلبها هناك . « قالت لهما انهم اخذوا سيدي ولست اعلم اين وضعوه » . مع ان جواب مريم عن سؤال الملاكين ، يتفق في جوهره وقولها الذي خبرت به بطرس ويوحنا (عدد ٢) ، الا انهما يختلفان في كلمتين : اروهما - انها في كلامها مع بطرس ويوحنا ، قالت « السيد » بصيغة التعميم . ولكن في جوابها للملاكين قالت « ميري » - بصيغة التخصيص . وناشرهما : انها في حديثها مع

سيدي ولست اعلم اين وضعوه . ١٤ ولما قالت هذا التفتت الى الورا فنظرت يسوع واقفاً

الرسولين تكلمت بصيغة الجماعة : « نعلم » . ولكنها في كلامها مع الملاكين ، تكلمت بصيغة المفرد : « أعلم » . فكأنها في كلامها الاخير ، عبرت عن خسارتها الشخصية وحيرتها الفردية ، اللتين اصابتها ، بفقدانها جسد سيدها

(٢) مريم غافل (١٤:٢٠ و ١٥)

عدد ١٤ - أ - مريم ترى يسوع ولا تميزه : ما كادت مريم تفرغ من اجابتها الملاكين عن سؤالها ، حتى حانت منها التفاتة الى الورا . ولعلها لم ترغب في مواصلة الحديث مع الملاكين ، لانها لم ترَ في نعمة كلامها بارقة أمل بإزالة سبب حيرتها . او ربما لانها احسَّت بطريقة ما ، ان شخصاً آخر قد حضر . أو كما يقول يوحنا الذهبي الفم : انها لمحت على وجهي الملاكين امارات جديدة - ولعلها امارات تهيب واعجاب ، مما دلها على انهما يرحبان بقدوم شخص عجيب ! « فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع » . ولكم من المرات يتراءى لنا يسوع في سبل حياتنا اليومية ، ونحن عن قدومه غافلون ! فقد يتراءى لنا في صورة فقير بائس ينتظر عوناً ، او في شكل ضيف يجلس على موائدنا ينتظر سخاءنا ، او في هيئة جليس يستمع لاحاديثنا

يُعزى جهل مريم بحقيقة يسوع الى : (١) عدم توقعها ان تراه . (٢) التغير الذي طرأ على جسده بعد القيامة . لان جسده القدوس ، استمر الى ساعة موته خاضعاً لنواميس طبيعتنا البشرية المحدودة . لكنه بعد القيامة كان يدخل ،

ولم تعلم انه يسوع . ١٥ قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين . مَنْ تطلين . فظنت تلك انه البستاني فقالت له يا سيد ان كنت انت

ويخرج ، ويظهر ، ويغيب ، على اسلوب خفي لا يُستقصى (١٩: ٢٠) .
(٣) ربما لان عيني مريم أمسكتنا عن معرفة شخص المسيح ، مثلما أمسكت
اعين تلميذي عمواس عن مرأى سناه (لوقا ١٦: ٢٤)

عدد ١٥ - ب - سؤال المسيح وجواب مريم : « .. يا امرأة لماذا تبكين ؟
من تطلين ؟ » . هذه هي اولى الكلمات التي نسمعها من المسيح بعد قيامته
سؤاله عجيبان - أولها ممره لثانيتها ، وثانيها مؤبد ومفسر لأولها .
« لماذا تبكين ؟ من تطلين ؟ » بهذه الكلمات ، سأل المسيح مريم عن ^{عده}
بطرها ، وبسبب عذابها ، الذي هو ايضا مصدر عذابها : « لماذا تبكين ؟ من
تطلين ؟ » - وهل تخلو هذه الكلمات من تنبيه ضمني من المسيح لمريم ، على
خطأها بكانها ؟ فكأنني به يقول لها : « اخطأت بطلبك الحي بين الاموات ! »
اما مريم ، فظنت ان الذي يكلمها هو « البستاني » . لان قبر المسيح كان
في بستان فكان من الطبيعي ، ان تتوقع مريم وجود البستاني هناك . فقالت
له « يا سيد ان كنت انت » - انت لا ابي واحد من الاعداء - « قد حملته ،
فقل لي اين وضعته وانا آخذه » . من العجيب ، ان مريم في حزنها لم تحسب
حساباً لضعف قوتها ، فتوهمت ان في امكانها - وهي امرأة ضعيفة - ان ترفع
جثة من موضعها . لكنها ، في كل كلامها - سواء مع بطرس ويوحنا ، أو مع
الملاكين ، أو مع يسوع الذي ظننه البستاني - كانت تتكلم عن المسيح كأنه

قد حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه . ١٦ قال لها يسوع يا مريم .
فالتفتت تلك وقالت له

شخص حي، ماثل امامها . فلم تقل مرة واحدة : « جسد » ، ولا « جثة » ، بل
قالت : « السيد » (عدد ٢) و « سيدي » (عدد ١٣) . ولكون المسيح حاضراً
في ذهنها هي ، ظنت انه حاضر ايضاً في ذهن غيرها ، فقالت عنه في عدد ١٥ ،
« حملته » . . . « وضعته » . . . آخذه » ، من غير ان تذكر اسمه بالذات

عدد ١٦ . (٣) مريم مؤمنة : « قال لها يسوع يا مريم ! ان مخاطبة المسيح
اياها في العدد السابق بالقول : « يا امرأة » لم يقابل منها باي اهتمام ، لان
الملاكين سبقا فخطباها بنفس هذه الكلمة (عدد ١٣) فلم تر فيها شيئاً
جديداً . لكنها عند ما سمعت هذا الشخص العجيب يناديها باسمها ، تأكدت
انه هو راعيها الصالح ، الذي يناديها باسمها الخاص

ومن أسباب عزائنا، ان تذكر ان راعينا الصالح ، هو ايضاً طيبينا الحكيم ،
فهو لا يسلط نوره دفعة واحدة على العيون المغمورة بظلال الفجر ، بل يقدم
لها النور تدريجياً . في بادئ الامر خاطب المسيح المجدلية بقوله لها : « يا امرأة » ،
وعند ما وجدها على استعداد لقبول مزيد من النور ، قال لها : « يا مريم » .
وربما لو ابتدرها بالقول : « يا مريم » لصُغت من شدة الفرح ، وفرط العجب .
وكان مريم كانت ضالة في برية احزانها ، تائهة عن حقيقة ذاتها ، غافلة عن
شخصية راعيها ، فلما سمعت الراعي الصالح يناديها باسمها ، ردت نفسها اليها ،
والى راعيها . عندئذ « التفتت » — كأنها كانت الى الآن مطرقة بوجهها

رَّبُّونِي الذي تفسيره يا معلم . ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم

الى الارض حيا ، وهي تخاطبه ، او ربما كانت ناظرة هنا وهناك ، من فرط حيرتها ، ولعلها كانت قد اتجهت ببصرها مرة أخرى الى القبر (عدد ١٤) وهنا استجمعت كل ما عندها من قوة الرباء ، واليقين ، والاعجاب ، والتعبد ، وارتعت عند قدميه محاولة ان تمسك بهما ، او بهذب ثوبه (قابل هذا بما جاء في متى ٩: ٢٨ و ١٠) ، وعبرت عن شعورها بكلمة واحدة ، لفظتها بلغتها العبرية : «ربوني» ! الذي تفسيره «يا معلم» . ان كلمة «ربوني» أقوى وأرفع من كلمتي «راب» و «ربأي» . ومعناها «المعلم الاعظم» . وقد قالتها مريم معبرة بها عن يقين معرفتها بشخص المسيح ، وعظم ابتهاجا برؤيته حيا مقاما ، وشدة شكرها له بعد قيامه من الاموات

(٤) مريم مبشرة : (١٧: ٢٠ و ١٨)

عدد ١٧ . (١) مريم تسلم البشرى : «قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم أعود بعد الى أبي . ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم : اني اعود الى ابي واياكم والهي والهكم» . تتضمن هذه الكلمة : تنبيها لمريم على خطاياها ، وعلامة هذا التنبيه : «لا تلمسيني لاني...» . الكلمة المترجمة ، «تلمسيني» ، معناها الحرفي : «لا تمسكيني وتتعلق بي» . ولو كانت هذه لمسة من يريد ان يتحقق أن للمسيح جسدا حقيقيا بعد القيامة «لسمح لها المسيح بها ، ودعاها اليها ، لانه واضح من لوقا ٢٤: ٣٨ ، ان المسيح لم يكتف بأن يسمح للتلاميذ بأن يلمسوه ، بل دعاهم وامرهم أن «يجسّوه» ، في نفس هذا اليوم . وظاهر أيضا

اصعد بعد الى ابي . ولكن اذهبي الى اخوتي

من يوحنا ٢٠:٢٧ ، ان المسيح قال لتوما ، بعد أسبوع من هذا التاريخ : «هات يدك وضعها في جني» . ولكن هذه لمسة من ظنت أن صلة المسيح بتلاميذه بعد قيامته ، ستعود مثلما كانت قبل القيامة ، عن طريق الحواس الطبيعية ، كالنظر واللمس والسمع . من أجل ذلك نهى المسيح الى ان مدة معاشرته الجسدية لتلاميذه وأتباعه ، قد انقضت ، وان لا سبيل الى شركتهم معه بعد القيامة ، الا عن طريق روحه الاقدس (١٤:١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢٨-٢٠:١٦) . وبما ان الروح القدس ، لم يكن قد أعطي بعد ، لان يسوع لم يكن قد مُجد بعد (٣٩:٧) ، لذلك افهمها الفادي ، ان موعد هذه الشركة الروحية لم يأت بعد . اذ قال لها : «لاني لم أصعد بعد . . .» . فقبل القيامة ، كان المسيح عائشاً بالجسد مع تلاميذه ، ولكن بعد الصعود ، عاش فيهم بروحه . هذا يوافق قول بولس الرسول : «وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن الآن لا نعرفه ايضاً» (٢ كو ٥:١٦)

(٢) مهمة معبرة : «ولكن اذهبي الى اخوتي ...» . كأنه أراد ان يقول لها : «بدلاً من أن تصرفي وقتك وجهودك في ما لا طائل تحته ، لان أوانه لم يأت بعد ، اذهبي الى اخوتي ...» . هذه مهمة جلية ، أبان فيها السيد :

(١) . الشرف الممتاز الذي وهبه السيد لمريم المجدلية ، بأن جعلها «رسولة» الرسل : «اذهبي ...» . ألا نلاحظ ان المسيح ، اذ اوصى مريم بهذه الوصية ، متعها بأعظم مما كانت تطلب او تتمنى ؟ تمت هي ان تمسك بقدميه ،

وقولي لهم اني اصعد الى ابي وايايكم والهي والهكم

فشرفها هو بان جعلها تبلغ اول رسالة عن قيامته المجيدة . وهل من فرصة يتمتع فيها الانسان بمعاشرة المسيح ، نظير المجال الذي يظفر به من يكون خادماً له : «حيث اكون انا هناك ايضاً يكون خادمي» ؟

(ب) . افرقة التلاميذ للمسيح : «الى اخوتي» . قبل اسمهم «عبيداً» ، ثم دعاهم «أهباء» ، وكأنه رأى ان هذين اللقبين غير كافيين ، فجاء عليهم بلقب جديد ممتاز : «افرقة» — دلالة على متانة الاتحاد الروحي الكائن بينه وبينهم

(ج) . امتياز بنوة المسيح عن بنوة التلاميذ : «وقولي لهم : اني اصعد» . لم يقل المسيح في رسالته لمريم : «قولي لـ اخوتي اني قمت» ، بل «اني اصعد» . كأن القيامة كانت عزمه الصعود ، وهي الخطوة التمهيدية التي تكملت بالصعود . هذا دليل على ان الصعود عملية تمت تدريجياً في خطوات متتابعة ، فكانت القيامة اولى هذه الخطوات . وكان انطلاق المسيح الى السماء مائة هذه الخطوات . ومن الامور التي تستدعي دقة الملاحظة ، ان المسيح لم يشرك التلاميذ معه في صلته بالآب ، بل جعل بنوته للآب ، متميزة وممتازة عن بنوتهم هم ، فقال : «الى ابي وايايكم» ، لا «الى آيينا» . لان بنوته الآب ، تمتاز عن بنوة المؤمنين : في النوع ، والرتبة ، والطبيعة . فالمسيح هو الابن ، بمعنى طبيعي ، لكن التلاميذ وسائر المؤمنين هم ابناء بالتبني

قال المسيح : «إلهي» ، باعتبار كونه «ابن الانسان المتجسد» لاجل خلاص البشر — حتى في هذه النسبة ايضاً يمتاز القادي عن البشر

١٨ فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا . ١٩ ولما كانت

عدد ١٨. (ب) مريم تبليغ البشرى الى التلاميذ: «فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا» . هذه اول بشرى في تاريخ كنيسة العهد الجديد ، بل هذه هي البشارة الدائمة التي ينبغي ان ينادي بها كل فرد ، بناء على اختباره الخاص : «رأيت الرب»

ان قول البشير : « فجاءت مريم واخبرت » — كما ورد في الاصل — يفيد ان مريم حالما رجعت من عند القبر ، بدأت تلهج بنحبر القيامة . وهكذا يكافئ الرب منتظره . فقد بقيت مريم عند الصليب ، وبصكرت عند القبر ، فتمتعت ببركة الوعد القائل : «الذين يبكرون اليّ يمجّدوني»
ان في هذا برهاناً ضمناً على صدق البشيرين ، والا لقالوا ان اول من رأى الرب ، هو بطرس «الصخر» ، أو مريم العذراء «ام المخلص» ، لا مريم المجدلية « التي اخرج منها الرب سبعة شياطين »

ب — ظهور المسيح للتلاميذ في غيباب نوما (١٩:٢٠ — ٢٣).

في هذه المرة عالج المسيح خوف تلاميذه ، مثلما كافأ في ظهوره السابق ايمان مريم (١١:٢٠ — ١٨) . في تلك المرة ظهر المسيح لتلاميذه في الصباح . وفي هذه المرة ، في المساء . الظهور السابق كان لفرد . وهذا ، الجماعة . ذلك الظهور كان في الظهوء عند القبر ، وهذا في المدينة اورشليم ، وفي غرفة خاصة

عشية ذلك اليوم وهو اول الاسبوع وكانت الابواب مغلقة حيث
كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود

ينقسم هذا الفصل الى قسمين : (١) هوف الترميز (١٩:٢٠ (أ)).
(٢) ظهور المسيح المقام وعطاياه لتلاميذه (١٩:٢٠ (ب) — ٢٣)
عدد ١٩ (أ). (١) هوف الترميز: «ولما كانت عشية ذلك اليوم» —
وهو اول الاسبوع — «وكانت الابواب مغلقة ، حيث كان التلاميذ مجتمعين
لسبب الخوف من اليهود» . يضع البشير اهمية خاصة على «ذلك اليوم» لانه
صار يوم الرجاء للرسل وللكنيسة . فكان من المناسب جداً ان يقع في اول
الاسبوع ، لينشر نور رجائه المقدس ، في ارجاء سائر ايام الاسبوع . فاذا
كانت الباكورة مقدسة، تقدست كل الاثمار .

«ذلك اليوم» ، هو يوم الايام ! فيه تحررت قلوب مستعبدة . لان فيه
استقرت حماسة الرجاء في القلوب التي طار منها عصفور الامل يوم الجمعة الحزينة.
ان «ذلك اليوم» شمس بالنسبة لسائر الايام ، وما هي الا كواكبه ، لان
كل انوارها مستمدة من نور «يوم الايام» . فلا عجب اذا صار هو سبت
المسيحية الجديد . فيه قام المسيح . وفي مثله ظهر لتلاميذه في عليا اورشليم .
وفي مثله ظهر أيضاً لتلاميذه على شاطئ بحر طبرية ، كما يعتقد معظم المفسرين
«ولما كانت عشية ذلك اليوم» — نحو الساعة الثامنة مساءً — «وهو
اول الاسبوع» — وكان تلميذا عمواس قد رجعا الى اورشليم ، واخبار القيامة
قد انتشرت في المدينة، خاف التلاميذ من ان يلحقهم اذى من رؤساء اليهود،

جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم

الذين تبرعوا لهم بتهمة سرقة جسد المسيح، قبل قيامته بثلاثة ايام (متى ٢٧:٢٣ و ٦٤). ومن يدري ماذا يفعلون بهم الآن؟ لذا خلوا الى بعضهم البعض في عليّة اورشليم، واغلقوا غرفتهم. خطأ ما اكبره! فانهم خافوا في الوقت الذي كان ينبغي ان يتدفعوا فيه بشجاعة دونها شجاعة الاسود

(٢) ظهور المسيح للمقام وعطاياه لتلاميذه (١٩:٢٠ ب - ٢٣)

١٩ (ب). ظهور المسيح في الوسط: «جاء يسوع ووقف في الوسط». اننا لا نشاطر كلّ من رأيه القائل ان المسيح فتح الابواب من غير ان يدري به التلاميذ. لان الابواب كانت مغلقة بغاية الاحكام بسبب خوف التلاميذ من اليهود. فمع ان جسد المسيح، بعد القيامة، كان جسداً حقيقياً، الا انه يختلف في اشياء كثيرة عن جسده قبل القيامة. والظاهر ان الخاص كان يحتاج في لحظة واحدة من مكان الى آخر، وان تلاميذه كانوا راراً يرونه، ويتحدثون معه، ولا يميزونه، الامتى اراد هو ان يظهر ذاته لهم. فالمسيح كان قبل موته، ظاهراً بجسده الا في الاوقات التي اراد ان يختفي به فيها. لكنه بعد القيامة كان مختفياً بجسده، الا في الاوقات التي اراد ان يظهر به فيها

١٩ (ج) - ٢١ (أ). الرحبة الاولى - السوم. حالما ظهر المسيح لتلاميذه، أعطاهم سلاماً فياضاً - سوم الماضي والحاضر - سلام الفخر واليقين: «وقال لهم سلام لكم» (١٩ ج). لم تكن تحية جوفاء، هذه التي حيا بها المسيح للمقام تلاميذه. لكنها تحية غنية، محملة بسلامه العميق القلبي،

سلام لكم . ٢٠ ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه . ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب . ٢١ فقال لهم يسوع ايضاً سلام لكم . كما ارسلني الآب

الذي يبدد مخاوف الماضي، وشكوك الحاضر . هذا هو سلام الفخرانه ، الذي ستر به المسيح تقصيرات التلاميذ وجبنهم (راجع تفسير ٢٧: ١٤)
عدد ٢٠ . (أ) ضمائه السوم ومهجة دواء :

«سلام لكم . . ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه» . بذلك تأكد التلاميذ ان المسيح قام حقاً . لانهم اذ رأوا يديه وجنبه تبينوا فيها آثار المسامير والحربة «فرحوا اذ رأوا الرب» ، لانهم تحققوا انه «هو الرب» . ان السلام الذي قدمه المسيح لتلاميذه قد اشتراه لهم بصليبه ، فاليدان المثقوبتان ، والجانب المطعون ، هي الوثيقة الحية التي خطها المسيح بدمائه ، وقدمها للتلاميذ كحجة خالدة، وضمان يقيني لسلامه . قال ستيوبنز للوثر: «تأمل باستمرار في جروح المسيح ، فهي ختم الفداء ، وهي ضمان السلام الذي هو وليد الفداء»

عدد ٢١ . (ب) . سوم المستقبل — سلام الخدمة : « فقال لهم يسوع ايضاً سلام لكم كما ارسلني الآب ارسلكم انا» . بعد ان طمأن المسيح تلاميذه بسلام الماضي ، وملاً قلوبهم يقيناً بسلام الحاضر ، اراد ان يعدهم لمسئوليات المستقبل ، باعتبار كونهم رسله في العالم، فوهبهم ايضاً سلام المستقبل . لان السلام هو ترياق الماضي ، وعلاج الحاضر ، وقوة المستقبل

الرهبة الثانية : شرف الكرازة باسم المسيح : « كما ارسلني الآب ارسلكم انا» . مع ان رسالة الرسل ليست على طراز رسالة المسيح — لا : (١) من

ارسلكم انا . ٢٢ ولما قال هذا نفخ وقال لهم

حيث الزمن - لان المسيح أرسل منذ الازل ، لكن التلاميذ أرسلوا في وقت معين . ولا : (٢) من حيث الرتبة ، لان المسيح رسول الآب الاوحد ، على رتبة لا يدانيه فيها الرسل . الا ان التشابه الذي بين الرسالتين ، كائن في الاسم ، والسلطان . فكما ان المسيح جاء الى العالم حاملاً اسم الآب ، ومتقلداً سلطانه ، كذلك انتشر الرسل في العالم حاملين اسم المسيح ، ومتقلدين سلطانه

عدد ٢٢ . الرتبة الثالثة - عطية الروح القدس : « ولما قال هذا ، نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس » - هذا هو « رأسمال » التلاميذ في الخدمة - بل هذا هو ضمامه نجاحهم فيها - الروح القدس . فكما ان قيامة المسيح تُعتبر عربوناً لصعوده ، كذلك يُعتبر قبول التلاميذ عطية الروح القدس من المسيح المقام ، عربوناً لنوالهم ملء الروح القدس من المسيح المجدد يوم الخمسين

« قال لهم سلام لكم ... ولما قال هذا اراهم يديه ... »

« قال لهم ارسلكم انا ... ولما قال هذا نفخ ، وقال لهم اقبلوا الروح »

تقع هذه العبارات في اربعة مقاطع - تسير في صفين متوازيين . فالمقطع الاول ، يتمشى مع المقطع الثالث ، مثلما يسير المقطع الثاني جنباً الى جنب مع الرابع . وكما ان المقطع الثاني هو ضمان الاول وحجته ، كذلك الرابع ، ضمان الثالث وحجته

هبة السلام : « ... قال لهم سلام لكم ... »

ضمانها ومجبة دواورها : « ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه »

اقبلوا الروح القدس . ٢٣ من غفرتم خطاياهم

مهمة الكرازة : « كما ارسلني الآب ارسلكم انا »
 ضمائرهم ومهمة نجاههم : « ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح »
 « نفخ وقال لهم ^(١) اقبلوا ^(٢) الروح القدس ». يذكرنا هذا القول، بذلك
 الذي ورد في غرة سفر التكوين : « وجبل الرب الاله آدم تراباً من الارض
 ونفخ في انفه نسمة حياة » (تك ٢: ٧) . هذه مرة أخرى يلتقي فيها يوحنا
 البشير ، كاتب بشارة الخليقة الجديدة ، بموسى كاتب سفر تكوين الخليقة
 الاولى (راجع يوحنا ١: ١) . فعندما هبأ الله هيكل الانسان الاول ، نفخ في
 انفه نسمة الحياة الطبيعية . وكذلك عندما هبأ المسيح قادة كنيسة الجديدة ،
 نفخ فيهم نسمة روحه القدس . قال اغسطينوس : « ان المسيح اذ نفخ
 فيهم وقال « اقبلوا الروح القدس » برهن على ان الروح القدس ، ليس روح
 الآب فقط ، بل روحه هو أيضاً »

عدد ٢٣ . الرتبة الرابعة : السلطان المترتب على نوال الروح القدس
 « من غفرتم خطاياهم تغفر له ، ومن امسكتم خطاياهم امسكت ». ان كل
 هبة من الهبات الاربع التي منحها المسيح للمقام لتلاميذه ، مترتبة على الهبة

(١) جاء في المدراس اليهودي، انه عندما وضع موسى يده على يشوع، قال الله: في
 هذا الدهر فقط — اي في العصر اليهودي — ينال الانبياء فقط موهبة النبوءة، ولكن في
 الدهر الآتي — اي في العصر المسيحي — يكون كل بني اسرائيل انبياء

(٢) الكلمة التي ترجمت « اقبلوا » هي نفس الكلمة التي استعمالها المسيح في العشاء الرباني
 حين قال « خذوا » (متى ٢٦: ٢٦) . وكما ان الخبز يرمز الى جسد المسيح ، كذلك ترمز
 هذه النفخة الى الروح القدس

تُغفر له . ومن امسكتكم

السابقة لها، وممهدة للهبّة اللاحقة بها . ومن الاهمية بمكان عظيم ، ان نذكر :
 (١) انه واضح من لوقا ٢٤:٣٣ ، ان هذه الجماعة الملتزمة ، لم تكن قاصرة على الرسل ، بل كانت تضم معهم قوماً آخرين من المؤمنين بما فيهم تلميذي عمواس (لوقا ٢٤:٣٤) . فهبات المسيح المتضمنة في هذا الفصل المجيد ، ليست محتكرة للرسل ، لكنها تشمل ايضاً كل الجماعة التي تتألف منها كنيسة المسيح على الارض . (٢) ان هذا السلطان ليس وفقاً على فرد من الافراد، مهما سمت رتبته ، لكنه من حق كل الجماعة . (٣) ان الحل والعقد المذكورين في هذه الآية ، ليسا من الاحكام التعسفية التي يصدرها من يشاء ، مسجماً يشاء ، بل هما من النتائج المترتبة على الكرازة بكلمة البشارة . فالكلمة نفسها هي خير حكم لمن يقبلونها، وعلى من يرفضونها. او بعبارة اخرى: ان خير حكم للانسان، او عليه، هو الانسان نفسه — فان قبل كلمة البشارة تمتع بنعمة الغفران ، وان رفضها صار هو الحاكم على نفسه بأنه ليس اهلاً لهذه النعمة . وخير مثال لذلك ، ما جاهر به بولس و برنابا لليهود الذين لم يقبلوا كلمة الانجيل : « كان يجب ان تكلموا انتم اولاً بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الابدية ، هوذا نتوجه الى الامم » (اعمال ١٣:٤٦) . وما امساك الخطايا الا نتيجة طبيعية لعدم غفرانها

(٢) ان هذا السلطان. المسّم للرسل و الجماعة المؤمنين ، هو سلطان الاعذار ، والتصريح . لا سلطان الحكم والقضاء . فالمسيح وحده يغفر الخطايا

خطاياهم أمسكت . ٢٤ اما توما

لكن خدامه يصرون بان هذا الغفران قد تمّ او لم يتم — بناء على قبول الانسان كلمة الخلاص ، او رفضه اياها . فسلطان الكنيسة في الروحيات ، مماثل لسلطان كهنة اليهود في أمر المصاب بالبرص قديماً ، حين كانوا يحكمون بطهارة من شفي من دائه ، وبنجاسة من لم يُشف منه بعد . ولكن لم يكن في سلطانهم ان يشفوا احداً من البرص ولا ان يضربوا به احداً . وهو ايضاً على مثال السلطان الذي وهبه الله لأرميا (ارميا ١: ١٠) . فهو إذا سلطان متعلق بامرهم الغفران لا بالغفران ذاته . (٥) واذا سلمنا جدلاً ، مع القائلين بان هذا السلطان محتكر للرسول ، فما هذا الا السلطان الذي خوله المسيح اياهم ، حين اوحى اليهم بروحه الأقدس ان يضعوا دستور الايمان في رسائلهم . فكل ما قالوه في هذا الباب صار حكماً لا يُنقض ولا يُبرم

(ج) ظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم (٢٤: ٣٠ — ٢٩) .

« فتيلة مدخنة لا يطفى ، وقصبة مرضوضة لا يقصف ، حتى يخرج الحق الى النصر » — هذا هو الوصف البليغ الذي خلعه زعيم انبياء العهد القديم على المسيح . وهو نفس الوصف الذي يلابس المسيح في هذا الظرف الذي نحن بصدده الآن . فقد حدثنا يوحنا في الاعداد السابقة ، عن ظهور المسيح لتلاميذه في غيبة اثنين منهم — امرهما : يهوذا الذي ذهب قتل اليأس ، بعد ان ذهبت فيه كل وسائل الاسعاف ادراج الرياح . وثانيهما : توما الذي « يقال له التوأم » الذي كان على شفير جرف عدم الايمان ، فأدركه الراعي

احد الاثني عشر الذي يقال له التوأم

الصالح ، وانتشله قتل ان يهوي به الجرف الى حضيض عدم الايمان؛ والهلاك في هذا الفصل ، نرى ثمرات صور لتوما : (١) توما مصاباً براء الشك (٢٤: ٢٥ و ٢٥) . (٢) توما بين يدي طبيب الارواح يستأصل منه داء الشك (٢٦: ٢٥ و ٢٧) . (٣) توما يبرأ من الشك ويماهر بايمانه (٢٨: ٢٥) . وفي ختام هذا الفصل نرى ارقى ذروة في درجات الايمان (٢٩: ٢٥)

(١) الصورة الاولى : توما مصاباً براء الشك (٢٤: ٢٥ و ٢٥)

عدد ٢٤ . (١) توما المتخلف عن جماعة الرسل : « اما توما واحد من الاثني عشر ، الذي يقال له التوأم ، فلم يكن معهم حين جاء يسوع » . لسنا ندري هل نلوم توما ، او نحمده على شكه ، الذي صار في ترتيب العناية سبباً في تثبيت حقيقة القيامة في اذهان الاكثرين على مر الدهور . لان هذا الشك اضحى سبباً في اضافة براهين جديدة الى قائمة البراهين المؤيدة لحقيقة القيامة . اننا نشكر رب توما ، الذي اخرج لنا من شك توما الجافي ، حلاوة لحاقنا مع ان التلاميذ صار عددهم الآن احد عشر — بعد وفاة يهوذا — الا ان يوحنا لا يزال يذكرهم بعددهم الذي ذكرهم به في ٦: ٦٧ ، على اعتبار ان مكان يهوذا لم يخلُ الا الى حين . فكأن يوحنا رأى في عددهم الكامل ، معنى رمزيًا الى أسباط كنيسة العهد الجديد المكملين

« اما توما الذي يُقال له التوأم » - سبقنا فأوضحنا المراد بكلمة: « توأم » في شرح ١٦: ١١ ، فاطلبه هناك — « فلم يكن معهم حين جاء يسوع » . ما اعظم

فلم يكن معهم

لخير الذي يحرم الانسان نفسه منه ، بتخلفه عن اجتماع القديسين . فهما يكن محضر القديسين حقيراً في مظهره، الا ان المرء يعجز عن ان يقدر مبلغ الخسارة التي تلحق بمن « يتركون اجتماعهم كما لقوم عادة » ، لانه في ساعة لا تخطر على بال احد ، يُظهر المخلص ذاته لجماعة المؤمنين . فبسبب تخلف توما عن اجتماع الرسل في احد القيامة ، حرم نفسه من النملي من وجه مخلصه ، ورؤية يديه وجنبه . وبسبب هذا الحرمان ، اوقع نفسه في لج الشك اسبوعاً او بعض اسبوع ، واعطى داء الشك فرصة ، حتى تغفل في دمه ، وكاد يودي بحياته الروحية . ولئن سكنت البشير عن ان يذكر صراحةً علة تخلف توما عن اجتماع الرسل الا اننا نستطيع ان نستنتج ضمناً ، ان توما كان عصبي المزاج يعيش بعواطفه ، وينظر دائماً الى الجانب المظلم في الحياة . فعند ما كان سيده ذاهباً الى بيت عنيا ، ليقم لعازر من الاموات ، لم يستطع توما ان يفكر في القيامة ، بل فكر في الموت . وقال للتلاميذ رفقاؤه « لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه » . (١٦:١١) . وفي مناسبة أخرى ، ما كاد يستمع لحديث المسيح مع تلاميذه عن علمهم « بالطريق » حتى قال ضجراً متبرماً : « لسنا نعلم اين تذهب ، فكيف تقدر ان نعرف الطريق » (٥:١٤)

الى هذا الحد ، كانت نظرة توما الى الحياة قائمة سوداء — هذا بينما كان المسيح معه بالجسد . فكما أمست نظره الى الحياة أشد سواداً بعد موت قاده . ويكاد يكون من المحقق ، ان موت المسيح كان صدمة قوية أصابت ايمان

حين جاء يسوع . ٢٥ فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب .
فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير واضع اصبعي في أثر المسامير

توما ورجاءه . ولعله كان يقول في نفسه ، بعد موت المسيح مباشرة : « ألم اقل له مراراً وتكراراً ان لا يقف في طريق رؤساء اليهود ؟ ولكن هذا ما حصل فالذي تحذرين يا نفس قد وقع » . امام هذه الافكار المظلمة القائمة ، شعر توما بمرارة في نفسه وبسببها اقصى نفسه عن حظيرة الرسل — ولو الى حين . فلما ظهر لهم الخالص في اول احد للقيامة : « لم يكن توما معهم » . في هذه الآونة ، كان توما « واحداً من الرسل » ، مع انه لم يكن معهم . بخلاف يهوذا الذي كان مع الرسل لكنه لم يكن منهم . ولو كان منهم لبقى معهم (١ يو ٢: ١٩)

عدد ٢٥ . (ب) التلاميذ بخبرونه نوما بأنهم رأوا الرب : « فقال له التلاميذ قد رأينا الرب » . لا شك في ان التلاميذ اخبروه بتشككهم هم ايضاً في بداية الامر ، وكيف ان الرب دعاهم الى ان يجسوه ، وينظروا ليحققوا ان له جسداً حقيقياً (لو ٢٤: ٣٩ و ٤٠)

(ج) توما بتسلح بنية عدم الايمان : « فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير ، وأضع اصبعي في أثر المسامير ، وأضع يدي في جنبه لا اؤمن » . كان من الممكن ان يصدق توما زملاءه الرسل ، وهو يعهد فيهم الصدق . لكن ما سمعه منهم عن رؤيتهم جسد الرب ، ولمسهم اياه ، كان محرضاً له على ان يطلب هو الآخر نفس هذه العلامة . وزاد فأمعن في طلب ثموت علامات — كل منها اقوى من سابقتها ، وبدونها يأبى الا ان يكون غير مؤمن : « ان لم

واضع يدي في جنبه لا أومن . ٢٦ وبعد ثمانية ايام

ابصر» «ان لم اضع اصبعي» «ان لم اضع يدي ...». ليس عيب
توما ، انه طلب هذه العلامات التي أتيح لغيره من الرسل ان يتمتع بها او
يبعضها ، لكن عيبه في تسليحه بنية عدم الايمان . لان النبوة في كلامه واقعة
على عزم الودعاء لا على الودعاء . فبدلاً من ان يقول: «ان رأيت ولمست،
آمنت» ، قال : «ان لم أر . . وان لم أجس . . لا اؤمن» . فكأنه كان الى
عدم الايمان اقرب منه الى الايمان

كان الظلام يحيط بكلمات توما من جميع الجهات الا من جهة واحدة
منيرة — هي تفكيره المتواصل في الآم سيده . وان تلميذاً هذه حاله ، لا بد
وان يرسو على مرفأ الايمان بأمان

(٢) الصورة الثانية: توما بين يدي طبيب الارواح يستأصل منه داء الشك
(٢٦:٢٠ و ٢٧) . لقد عالج طبيب الارواح داء توما بوسيلتين : اولهما —
عامة : وهي ظهوره للرسل وتوما معهم . (عدد ٢٦) . والثانية — خاصة : وهي
طلبه الى توما ان يختبره بنفسه اختباراً حسيّاً، حسبما طلب (عدد ٢٧)

عدد ٢٦ . (١) . ظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم : « وبعد ثمانية
ايام » — اي في الاحد التالي لاحد القيامة . قال البشير : « ثمانية ايام » — كمادة
اليهود ، في حسابان اول يوم وآخر يوم ضمن المدة التي يقصدونها

قضى التلاميذ السبعة الايام التي بعد اول يوم في الفصح ، في اورشليم ،
كمادة اليهود ، فصاروا في مهاية هذه المدة على وشك ان يتركوا اورشليم ،

كان تلاميذه أيضاً داخلًا وتوما معهم . فجاء يسوع والابواب مغلقة
ووقف في الوسط وقال

ليرجعوا الى محال اقامتهم في الجليل . ولكن كيف يمكنهم ان يغادروا عليهم
المعهودة ، في هذا اليوم التاريخي ، المقدس ، المعهود — يوم الاحد — الذي
في غرة مثله من الاسبوع الماضي ، قام سيدهم ، وفي مسائه اظهر لهم ذاته . لذلك
لم يبرحوا اورشليم في ذلك اليوم ، توقعاً منهم ان يمن عليهم سيدهم باظهاره
ذاته لهم مرة اخرى . ولعل نفوسهم الشريفة ، أبت عليهم ان يتركوا اورشليم
في هذه الآونة وواحد منهم — توما — متخلف عن جماعتهم . وفي الغالب
جداً ، دعوا هذا الرسول ليجتمع بهم في هذا اليوم عليهم يفوزون واياه ، في
هذه المرة أيضاً ، بمثل ما فازوا به في الاحد الماضي . اما « راعي النفوس »
الاعظم ، فقد كان عند حسن ظن رسله به ، فكافأ كل انتظاراتهم فيه ، وظهر
لهم في هذه المرة أيضاً ، ليزيدهم يقيناً على يقين ، وليرد هذا الحمل الظالع الى
الحظيرة . هذه هي المرة الثالثة ، التي اظهر فيها المسيح ذاته بعد القيامة ، في
سجل هذا الاصحاح . وهي السادسة بين جميع المرات التي في كل البشائر

يُستفاد من قول البشير : « كان التلاميذ أيضاً داخلًا » ، انهم كانوا
مجتمعين في ذات المكان الذي اجتمعوا فيه في الاحد الماضي . الا ان « خوفهم
من اليهود » ، قد انتفى منهم في هذه المرة الثانية ، لان تيقنهم من قيامة
سيدهم ، انتزع من بين ضلوعهم قلوب الغزلان ، ووضع مكانها قلوب الاسود
« فجاء يسوع والابواب مغلقة » . ذكر البشير هذه العبارة ، ليقرر لنا ان

سلام لكم . ٢٧ ثم قال لتوما هات اصبعك الى هنا وابصر يديَّ
وهات يدك وضعها في جنبي

المسيح دخل الى مكان اجتماعهم بطريقة معجزية — «ووقف في الوسط وقال
سلام لكم» — اطلب تفسير ١٩: ٢٠ ، حيث وردت هذه الكلمات بالذات

عدد ٢٧ . (ب) . المسيح يدعونا الى انه يختبره بنفسه اختباراً حسيّاً :
«ثم قال لتوما» — في هذه الاثناء ، حانت من المسيح التفاتة الى توما ، بها
مزق حجب الشكوك التي كان مدثراً بها هذا الرسول المستضعف ، فانتشله
الفادي من وهدة عدم الازمانه ، مثلما انتشل بطرس من هاوية اليأس ،
بتلك النظرة التي ادمت قلبه واستدرت الدموع من عينيه (لوقا ٢٢: ٦٢) ،
ثم مدَّ يده المثقوبة الى توما ، وقال «هات اصبعك الى هنا وابصر يديَّ» —
ثم كشف له عن جنبه المطعون ، وقال : «وهات يدك وضعها في جنبي» —
وهنا شعر توما المسكين ، كأن طبيب الارواح قد وضعه «على المشرحة» ،
وسلط عليه انواراً كشافة من علمه الكلي ، فكانت هذه الانوار اقوى من
الراديو ، وانفذ فعلاً من اشعة رنتجن . وما كان اشد غرابة توما ، عند ما سمع
فاديه يردد على مسمعه تلك الكلمات عيناها ، التي سبق توما فأفصى بها الى
التلاميذ رفقاءه . لا شك انه احس وقتئذ بمثل ذلك الاحساس ، الذي ملأ
قلب نثنائيل ، حين ادرك ان المسيح عالم بماضيه وحاضره (١: ٤٨ و ٤٩)
غير ان كلمات المسيح لتوما ، لم تكن مجرد دعوة منه لذلك التلميذ ،
بان يفحصه فحصاً حسيّاً ، لكنها تحمل بين طياتها تعنيفاً وتلويماً ، كما يظهر من

ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. ٢٨ اجاب توما وقال له ربي والهـي.

قوله له : « ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » ، لانه علم بالنية التي كان قد بيثها توما في قلبه ، وتسليح بها — نية التشكك. ولو بقي هذا المسكين على هذه الحال ، لقاده التشكك الى عدم الايمان . فكأنه كان على مفرق طريقين ، بل كان الى عدم الايمان اقرب منه الى الايمان . هذه ، ولا شك ، حالة شاذة. لانه من الطبيعي ان يؤمن الانسان، الى ان يقين سبباً لعدم ايمانه ، لكن توما صمم على عدم الايمان ، ما لم يجد سبباً لهـيمانه . هذا انسان سلبى عدد ٢٨ . (٣) الضرورة الثالثة : توما يبرأ من الشك . ويـباهر بايمانه

غالباً جداً، لم يجد توما داعياً الى ان يلمس يدي المسيح ولا ان يضع يده في جنبه، بعد ان تحقق من كلامه له، انه علام الغيوب. عندئذ لم يقتنع فقط بان المسيح قام ، بل أيقن ايضاً ان المسيح المقام هو « الرب الاله » . هاتان الكلمتان ، تقابلهما في العهد القديم كلمتا «يهوه الوهيم» — «السيد الرب» (اشعيا ٦١: ١) . على ان توما لم يكتف بالقول ان المسيح رب واله ، بل أدخل نفسه في نسبة جديدة معه ، فقال — موجهاً الكلام الى المسيح بالذات : « ربي والهـي » ! هذه درجة ممتازة في الايمان ، تفوق كل الدرجات التي مررنا بها في هذه البشارة

فكأن يوحنا البشير قد باغ مدى بشارته عند هذا العدد. ومن العجيب ان الذي صرّح بهذا الايمان الممتاز ، هو توما الذي طبع بطابع الشك — وهكذا يصير الآخرون اولين !!

٢٩ قال له يسوع لانك رأيتني يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا

عدد ٢٩ . ارقى نرى الامامة : « قال له يسوع : لانك رأيتني يا توما ، آمنت ؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . في هذا العدد يتجلى امامنا امره : اولهما - استقراء ممتزج بتعجب : « لانك رأيتني يا توما آمنت ؟ ! جميل ان المسيح لم يعنف توما على كلمات التعبد التي وجهها اليه ، كما انه لم ينفر منها - هذا دليل على ان المسيح اعظم من ملاك ، والا لاقتدى بملاك الرؤيا اندي عنف الرائي على عبادته له وقاله له : « لا تفعل .. اسجد لله » (رؤ ١٩: ١٠) فضلاً عن هذا ، فان المسيح رحب بهذه العبادة التي قدمها له توما ، وقبلها كحق له ، لا ينازعه فيه احد - هذا دليل قاطع على ان المسيح اله تام . وان لم يكن الهاً تاماً ، فمن المحال ان يكون انساناً كاملاً ، لان الانسان الكامل لا يقبل العبادة التي لا يليق تقديمها الا لله وحده !

والامر الثاني - هو الغبطة المذخرة لجميع المؤمنين على عمر الاجيال : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » - هذا نصيب ممتاز ، يفوق النصيب الذي تمتع به البشير نفسه لانه آمن بعد ان رأى (٢٠: ٨) . تذكرنا هذه الغبطة التي ميز بها المسيح المؤمنين من الرسل ، بتلك الغبطة التي سبق فميز بها المؤمنين عمن تربطهم به صلة جسدية (لوقا ١١: ٢٧ و ٢٨) . ان توما هو الشخص الوحيد - في الرسل - الذي قُدمت له فرصة التمتع بهذه الغبطة ، لكنه تركها تمر من بين يديه ، فأضحت من نصيبنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور وهكذا يلتقي آخر هذه البشارة باولها . في مقدمتها أسمعنا يوحنا كلمة

ولم يروا . ٣٠ وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب . ٣١ واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله

المؤمن الواثق : « كان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسداً » (١: ١ و ١٤) ،
وعند ختامها اسمعنا هتاف من كان شاكاً فأمن : « ربي والهي ! »

غاية يوحنا من كتابة بشارته ، وغاية غايته (٢٠ : ٣٠ و ٣١)

في هذين العديدين ، ابان يوحنا البشير غايته من كتابة بشارته ، بكلمتين -
اولاهما : سليية (عدد ٣٠) ، والثانية : ايجابية (عدد ٣١)

عدد ٣٠ . (ا) غاية يوحنا من كتابة بشارته - الجانب السلبي : « وآيات
أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » - لم يقصد
يوحنا ان يلم في بشارته بكل المعجزات التي صنعها المسيح قدام تلاميذه ،
ولكنه تخير منها سبع معجزات - والسبعة عدد كامل - كنموذج يساعد على
الوصول الى غرضه . ولقد اجاد في ترتيب هذه المعجزات ترتيباً تدريجياً منطقياً ،
ثم ختمها بمعجزة المعجزات - قيامة المسيح من الاموات

عدد ٣١ . (ب) غاية يوحنا من كتابة بشارته - الجانب ايجابي : « واما
هذه فقد كتبت لتؤمنوا » : (١) « ان يسوع هو المسيح » رجاء اليهود ، ومشتهى
الأمم ، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم وتكملت فيه رموزه : (٢) ان يسوع
المسيح هو « ابن الله » ، و « كلمة الله » المتجسد . فهو ليس نبياً على طراز جديد

ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه

نظير موسى ، وايليا ، وداود . بل هو «الله الذي ظهر في الجسد» . ولو لم يكن المسيح ابن الله لما امكن ان يكون هو مسيح اسرائيل او مسيح الله ، فمسيحيته قائمة على بنوته ، وبنوته تدعم مسيحيته . هو الانسان الكامل لانه هو الاله الحق — «هذا هو الاله الحق والحياة الابدية» (١ يو ٥: ٢٠)

ان لهذه الغاية التعليمية ، غاية عملية — هي : «لكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه» . فمع انه يكفي ان يكون الايمان غاية في ذاته ، الا ان يوحنا جعله ايضاً وسيلة لغاية عملية — نوال «الحياة الابدية» . فليست غاية يوحنا عقائدية ، فحسب ، بل هي ايضاً اخلاقية عملية

ان هذه الحياة الابدية مرتبطة ارتباطاً حياً «باسمه»

وهكذا نسمع في خاتمة هذه البشارة صدى صوت بدايتها

«فيه كانت الحياة ... باسمه» (١: ٤ و ١٢) — هذا هو الصوت

«لكي تكون لكم حياة باسمه» (٢٠: ٣١) — هذا هو الصدى



الاصحاح الحادي والعشرون

تمت البشارة -- على شاطئ بحيرة الجليل

في قلب فلسطين ، تلك الارض المقدسة ، حيث تحمل الطبيعة سافرة
بمجدها وجلالها ، تقع بحيرة طبرية ، التي صارت الآن محط رحال الطيارات
التي تجتاز الأجواء من الغرب الى الشرق ، ومن الشرق الى الغرب ، مثلما
كانت شواطئها قديماً مدرسة خالدة تعلم فيها رسل المسيح ، الذين وصلوا الشرق
بالغرب ، والغرب بالشرق بكلمة بشارتهم . . . هذه هي البحيرة الهادئة الجميلة ،
ذات الماء الازرق الصافي ، التي أصغت امواجها الى الاحاديث العذبة التي
سمعتها التلاميذ من فم ذاك « الذي صوته كصوت مياه كثيرة » (رؤ ١: ١٥)
ان اجتماع المسيح بتلاميذه في تلك البقعة الجميلة ، لم يأت عرضاً . فلقد
سبق وانبا تلاميذه بهذا اللقاء : « كلكم تشكون في هذه الليلة
ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل » (متى ٢٦: ٣٢)

على احدى ضفاف هذه البحيرة ، تقع المدينة « كفرناحوم » ، التي اختارها
المسيح وطناً ثانياً له ، فشهدت هذه البحيرة آيات كثيرة صنعها مخلصنا في ايام
جسده على الارض . فكان من الطبيعي ان تشهد ايضاً هذه البحيرة عينها ،
فصلاً مجيداً من حياة فادينا قبيل صعوده الى المجد

ان نسبة هذا الفصل الختامي ، الى الاصحاحات السابقة في هذه البشارة ،
كنسبة المقدمـة الافتتاحية (١: ١ - ١٨) الى الاصحاحات التي تليها . في المقدمة
الافتتاحية ، رأينا المسيح « كلمة الله المتجسد » كائناً ، حياً ، عاملاً منذ الازل ،

قبل التجسد . وفي هذه الخاتمة ، نرى المسيح المقام عاملاً في كنيسته ، ومرتقياً الى العرش ، صائراً ملكاً متوجّجاً الى الابد ، ومرتباً مستقبل خدامه

ان هذا الفصل الذي اختتم به يوحنا بشارته ، مطبوع بذات الطابع الذي طُبعت به سائر اجزاء البشارة . ومكتوب بنفس الأسلوب الذي كتبت به ، يتضمن عدداً وفيراً من ذات العبارات ، التي يتميز بها قلم يوحنا البشير

فمن هذه العبارات الممتازة : (١) كلمة « أظهر » — هذه لم ترد بصيغة المبني للمعلوم — في كل الانجيل — إلا في كتابات يوحنا البشير وحده . (قابل هذا بما جاء في ٣١:١ و ٣١:٣ و ٣:٩ و ١٤:٢١ و ١ يوحنا ٢:١ و ٢:٢ و ١٩:٢ و ٢٨ و ٢:٣ و ٥ و ٨ و ٩:٤) . (٢) « بحيرة طبرية » — هذا هو الاسم الخاص الذي أطلقه يوحنا البشير وحده على هذه البحيرة (انظر ايضاً ١:٦) ، مع العلم ان متى يسميها « بحر الجليل » (متى ٤:١٨) ، ولوقا يدعوها : « بحيرة جنيسارت » (لوقا ١:٥) . (٣) كلمة : « هكذا » (١:٢١) . (٤) وصف توما الرسول (قابل ١٦:١١ و ١٤:٥ و ٢٤:٢٠ بما جاء في ٤:٢١) . (٥) ذكر اسم ثنائيل (قابل ٤٥:١ بما جاء في ٢:٢١) . (٦) حذف اسمي ابني زبدي — على اعتبار ان يوحنا البشير احدهما (٢:٢١) . (٧) كلمة : « أتصيد » (قابل ٣:٢١ و ١٠ و ١٠:٣ و ٧:٣٠ و ٣٢ و ٤٤ و ٢٠:٨ و ٢٠:١٠ و ٣٩:١١ و ٥٧:١١ و رؤى ٢٠:١٩) . (٨) كلمة : « جمرًا » (قابل ٩:٢١ بما جاء في ١٨:١٨) . (٩) تلقيب سمعان بطرس بـ « ابن يونا » (قابل ٢١:١٥ و ١٦ و ١٧ بما جاء في ٤٢:١) . (١٠) كلمتا : « الحق الحق » (قابل ٢١: ١٨ بما جاء في ١:١) . (١١) العبارة : « قال هذا مشيراً » (قابل ١٩:٢١ بما

١ بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية.

جاء في (٣٣:١٢ و ٣٢:١٨). (١٢) كلمة: «يبقى» (قابل ٢٢:٢١ بما جاء في ٣٢:١ و ٣٣ و ٣٩ و ٤٠ و ١٢:٢ و ٣٦:٣ و ٤٠:٤)

يتقسم هذا الفصل الى قسمين رئيسيين ، اولهما : المسيح وتلاميذه كجموع (١:٢١-١٤). ثانيهما : المسيح واتقائه مع تلاميذه (١٥:٢١-٢٣) خاتمة تاريخية (٢٤:٢١ و ٢٥). في القسم الاول نرى صورة رمزية لبرنامج عمل الكنيسة كجموع، وفي الثاني نرى صورة لبرنامج اثنين من افراد فدادم الكنيسة اولاً : المسيح وسبعة من تلاميذه (١:٢١-١٤). في هذا القسم نرى التلاميذ في نموت حالات : (أ) الفشل الذي حل بهم وهم يعملونه من تلقاء ذواتهم (١:٢١-٢). (ب) النجاح الذي اصابهم وهم يعملونه طبقاً لارشاد المخلص (٤:٢١-١١). (ج) الشبع الذي نالوه من المسيح المقام (١٢:٢١-١٤) (أ) الفشل الذي حل بالتلاميذ وهم يعملونه من تلقاء ذواتهم (١:٢١-٣) انقضت ايام الفصح، فاقفل التلاميذ راجعين الى الجليل، فاجتمع سبعة منهم على بحر طبرية. وان في اجتماعهم معاً على هذه الصورة ، لا كبر دليل على ان قيامة المسيح قد وحدث صفوفهم ، بعد ان شئت الصليب شملهم

عدد ١. (١) ظهور المسيح للتلاميذ على بحر طبرية : «بعد هذا أظهر ايضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا». ما أشبه هذه العبارة بحلقة اتصال بين ظهور المسيح لتلاميذه في اورشليم ، وظهوره لهم في الجليل . في هذا تعتبر رواية يوحنا جامعة لما بين طرفي رواية متى — عن ظهور المسيح في

ظهر هكذا. ٢ كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم وثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم

الجليل ، ورواية لوقا — عن ظهوره للتلاميذ في اليهودية. فنحن مدينون ليوحنا بهذه الحقيقة — وهي : ان المسيح ظهر لتلاميذه في كلا اليهودية والجليل

عدد ٢ . (٢) السبعة الذين ظهر لهم يسوع : « كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ، وثنائيل الذي من قانا الجليل ، وابنا زبدي . واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم » . هؤلاء سبعة تلاميذ — والسبعة عدد كامل — وقد ذكر منهم البشير ، اسماء ثمانية نصرياً — وهم : « سمعان وتوما ، وثنائيل » . واثنين نلجياً — وهما : « ابنا زبدي » ، اللذان تحاشى البشير ذكر اسميهما، تواضعاً منه، لانه احدهما . واثنين ، وصفهما بالقول « من تلاميذه » — ومن المعقول انهما كانا (*) اندراوس وفيلبس ، — لان قائمة الاسماء التي في غرة هذا الاصحاح ، تذكرنا بتلك القائمة التي وردت عند ختام الاصحاح الاول ، فهي تتضمن ذات الاسماء التي في تلك ، مع اضافة اسمي توما ويعقوب مما جعل عدد الرسل رمزاً الى كمال الخدمة في الكنيسة المسيحية

أو لا نجد في وضع البشير، اسم « سمعان بطرس » واسم « توما » جنباً الى جنب، مغزى خاصاً — وهو ان هذا المشهد جمع التلميذ الذي انكر سيده، بذاك الذي شك فيه ، وضعهما ، على رغم ضعفهما ، الى صفوف الرسل ؟

(*) يعتقد جودي ان هذين التلميذين اللذين لم يذكر يوحنا اسميهما ليسا من الرسل وانما هما من صفوف التلاميذ المؤمنين. ويظن ان احدهما هو ارستيون، وثنائيل يوحنا، لذي كان يشغل وظيفة شيخ في الكنيسة الاولى ، ولقبه بايلاس ب « تلميذ قديم للرب »

٣ قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد . قالوا له نذهب نحن
يضاً معك . فخرجوا ودخلوا

عدد ٣ . (٣) التلاميذ يقضونه ليبتصرهم في الصيد بغير مهدي :

« قال لهم سمعان... » . في هذا العدد تتجلى امامنا ثمرات حقائق رئيسية
(أ) اقتراع بطرس : « قال لهم سمعان بطرس انا اذهب لأتصيد » . فمثلاً قضي
التلاميذ الفترة التي بين دعوتهم الاولى ، وبين بدء خدمتهم الجهرية ، في
الصيد ، كذلك ارادوا ان يقضوا الفترة التي بين رجوعهم الى الجليل ،
وتسليمهم مهام خدمتهم ، في نفس ذلك العمل — « الصيد » . فليس في قول
بطرس « انا اذهب لأتصيد » ما يفيد انه انحرف عن جادة الخدمة ، وانما قصد
ان يملأ يده بعمل شريف ليقفات منه — والمسيح يظهر نفسه دائماً للعاملين
الشرفاء — حتى تحين ساعة تسلمه مقاليد اشرف الاعمال . ومن العجيب ، ان
بطرس ، على رغم انكاره لسيدته ، لم يزل محتفظاً بمقام الزعامة بين الرسل ، لانه
كان غالباً اكبرهم سناً ، واكثرهم اقدماً ، واسبقهم الى الكلام

(ب) الرسل يقضونه ببطرس : « قالوا له نذهب نحن ايضاً معك » . مثلاً
اقتدى يوحنا ببطرس في الدخول الى القبر (٢٠: ١٨) ، كذلك ايضاً ، اقتدى
سائر الرسل ببطرس في الانصراف الى الصيد : « نذهب نحن ايضاً معك »

(ج) فشل بطرس والتلاميذ في تلك الليلة : « فخرجوا ودخلوا السفينة
لوقت . وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً » . غالباً جداً انتظر التلاميذ ، حتى
اتقضى السبت اليهودي ، وما ان غربت شمسهم ، حتى « خرجوا » من بيوتهم

السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ٤ ولما كان الصبح

ليتصيدوا في تلك البحيرة — «ودخلوا السفينة» — والظاهر أنها هي سفينة بطرس، التي كان قد تركها منذ ان تبع المسيح (لو ٥: ١١)، ولما دعت الحاجة اليها، استردها ممن باعها له او استودعها عنده — «وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً» — لزيد الأسف. هل ذكرهم فشلهم هذا، بذلك الفشل الذي صادفهم قبل ان يتبعوا المسيح؟ (لو ٥: ٥). او انهم كانوا متعبين لدرجة لم يستطيعوا فيها ان يفكروا في شيء سوى شباكم الخاوية؟ يلاحظ — في اللغة الاصلية — ان يوحنا وضع تنبيراً خاصاً على قوله: «تلك الليلة»، على اعتبار انها كانت ليلة خاصة، فتميزت بهذا الفشل الغير العادي. وكأنه اراد ان يقول: «تلك الليلة الموعودة». هذا فشل هو نعم النجاح. فلو كان التلاميذ قد نجحوا في تلك الليلة، لوجدوا من تشجيعهم، تحريضاً لهم على التمادي في الصيد. لكن العناية الالهية جعلت فشلهم في صيد الاسماك من بحيرة طبرية، توطئة وعربوناً لنجاحهم المقبل في صيد نفوس من بحر الحياة. وان فشلاً يرتبه لنا الله، خير من نجاح ندبره نحن لأنفسنا

(ب) النجاح الذي اصابهم وهم يعمرون بارثاد المخلص (٢١: ٣-١١)

عدد ٤. (١) الضيف المجهول: «لما كان الصبح...». ظل التلاميذ معذبين في تلك الليلة، على رغم كون الليل بطبيعته من انسب الاوقات للصيد (لو ٥: ٦). ولعلمهم ظنوا ان مهنة الصيد تركتهم، بعد ان تركوها هم. وفيما هم على هذه الحال، واذا بالفجر يطوي رداءه الأغبر ليفراً من وجه

وقف يسوع على الشاطئ . ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع . ه فقال لهم يسوع يا غلمان أعل عندكم إداماً

النهار . فما كادت تشرق شمس الطبيعة من وراء الافق ، حتى اشرق «شمس البر» من فوق الشاطئ ، واشرف عليهم : فالتزموا في السفينة والمسيح على الشاطئ ، ! شتان ما بين موقفهم وموقفه — هم في سفينتهم الصغيرة ، تتقاذفها واياهم الامواج ، وتعبث بهم المخاوف طوال الليل وهو على الشاطئ ، عند اشراق الصباح ، حيث الثبات ، والاطمئنان ، والنور . ألا نجد في موقفهم هم ، رمزاً للمتعب التي تحمل بخدام الكنيسة وهم يعملون في بحر هذا الوجود اثناء ليل الحياة ؟ أوليس موقفه هو ، رمزاً لمقام الثقة ، والاطمئنان ، والمجد ، الذي يتمتع به بعد ان أكمل عمل الفداء ؟ أولا يذكرنا موقفه هنا وهو على الشاطئ ، منتظراً ان يعزي تلاميذه ويشجعهم . بذاك الموقف العجيب ، الذي رآه فيه استفانوس قائماً لنجدته واستقباله قبل موته ؟ «ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع» . وكم من المرات يقف المسيح على شاطئ بحر حياتنا ، ونحن عن معرفته غافلون

عدد ٥ . (٢) المائى المعطى : «فقال لهم يسوع يا غلمان» . ناداهم الفادي بقوله لهم : « يا غلمان » تحبباً منه وتودداً . وغالباً كان النداء على هذه الصيغة مألوفاً في ذلك الوقت — « أعلّ عندكم إداماً » . هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة : «إدام» في العهد الجديد . ويراد بها اصلاً ما يؤكل مع الخبز وقد أطلقت من قبيل التخصيص ، على « السمك » . ان السؤال الذي ألقاه

أجابوه لا . ٦ فقال لهم ألقوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا . فألقوا ولم يعودوا يقدرّون ان يجذبوها من كثرة السمك .

المسيح على تلاميذه بهذه الصيغة ، يحمل معه جوابه السلبي . فهو عالم بكل شيء وكان منتظر هذا الجواب ، واثماً سألم اياه ليحملهم على الاعتراف بفشلهم . لان النجاح الذي يرتبه الله لخدمته لا يبتدىء الا بعد ان يصلوا الى منتهى فشلهم

«اجابوه لا» . ان كلمة : «لا» قبيحة في حد ذاتها ، لكن ما اجملها متى كانت ممهدة السبيل لعمل القدرة الالهية في حياتنا ! وبما ان نور الشمس لم يكن قد انتشر بعد في الارحاء ، لذلك لم يستطع التلاميذ ان يميزوا الرب ، بل ظنوه رجلاً جليلاً جاء لبيتاع منهم سمكاً

عدد ٦ . (٣) السائل المجهول يقدم لهم اشارة فينتفون فأمرو ويلقونه الشبكة : «فقال لهم القوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا» . سرعان ما سمع التلاميذ من هذا الزائر الغريب ، هذه النصيحة التي عين لهم فيها الجهة المناسبة للصيد ، حتى صدعوا بأمره ، ظناً منهم انه لمح — وهو على الشاطئ — تموجات في الماء ، أو علامات اخرى ، دلته على وجود سمك في ذلك الموضع المعين ، من غير ان يعلموا انهم منفذون أمر سيدهم وفاديتهم . «فألقوا شباكهم ولم يعودوا يقدرّون ان يجذبوها من كثرة السمك» . فقد يكون النجاح دليلاً على حضور الله في وسط شعبه ، ورضاه عنهم ، الا ان هذه قاعدة لها شواذها ، فقد تأتينا بركات من الله مبرقة بحجاب الفشل .

٧ فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب فلما سمع

عدد ٧. (٤) اسبق التلميذ الى تمييز هذا الزائر الكريم: «فقال ذاك التلميذ الذي كان يسوع يحبه» — أي يوحنا — «لبطرس: هو الرب». ان عيني المحبة كعيني النسر، تريان ما لا تراه أعين اخرى، فلا عجب اذا كانت عينا يوحنا اسبق العيون الى تمييز شخصية المسيح، فهو التلميذ المحب. على ان المحبة لا تكتفي بان تسبق غيرها في ميدان المعرفة، لكنها ايضاً تسبق سواها في اشراك الآخرين معها في ما تكتشفه من كنوز. لذلك قال يوحنا لبطرس:

«هو الرب» — هاتان الكلمتان، شبيهتان بمنارتين مضيئتين، اذا حملهما الانسان معه انى سار، بددت انوارهما كل ظلام ويأس في سبيل حياته. لكن احباء الله، هم وحدهم الذين يستطيعون ان يروا الرب في كل شيء. فاذا ما حلت بهم اوقات ضيقات ومسرات، وافراح واتراح، وفشل ونجاح، وخسائر وارباح، رأوا في هذه كلها يد الرب، وقالوا: «هو الرب». ولكن لا فضل ليوحنا في حبه للفادي، لان محبته للمسيح لم تكن سوى صدى صوت محبة المسيح له: «نحن نحبه لانه هو احبنا اولاً». ومما ساعد يوحنا على تمييز شخصية الفادي، ان النجاح الذي صادفهم في هذه المرة ذكره بذلك النجاح الذي كان قد صادفهم في مناسبة سابقة، عند بدء تعرفهم بالرب (لو ٦: ٥ و ٧)

(٥) بطرس ايضاً يميز هذا الزائر الكريم فيسرع الى لقاء: «فلما سمع سمعان بطرس انه الرب اتزر بثوبه» — هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها الكلمة: «ثوب» في اللغة الاصلية في العهد الجديد — «لانه كان عرياناً

سمعان بطرس انه الرب اترز بثوبه لانه كان عرياناً وألقى نفسه في البحر . ٨ وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لانهم لم يكونوا

والتي نفسه في البحر » . كان يوحنا محباً لسيدته ، وكذلك كان بطرس . لكن كلاً منهما عبّر عن محبته لقاديه ، بالطريقة التي تتفق ومزاجه الخاص ، فيوحنا المحب ، الساكن الرهادي ، عرف شخصية الرب ، لكنه ظلّ في مكانه ساكناً ، متأملاً ، منتظراً حتى ترسو السفينة في وقتها المناسب . اما بطرس الفيور المنافع ، فحالما عرف شخصية السيد ، لم يتمهل حتى ترسو السفينة ، بل اندفع — وعادته الاندفاع — والتي بنفسه في البحر ، بعد ان « اترز بثوبه لانه كان عرياناً » ، مع انه لو ظل في مكانه في السفينة ، لرست السفينة على الشاطئ قبله ، اذ لم يكن بينه وبين الشاطئ « الا نحو مئتي ذراع » . ولكن انى لبطرس ان يتمهل في مكانه منتظراً وهو الذي يريد ان يبالغ في اظهار ولائه لسيدته ، بطريقة تمحو نكرانه له (٢٨: ١٨) ؟

يذكرنا موقف بطرس هنا ، بموقف آخر له عند بدء تعرفه بالمسيح (لو ٨: ٥) . هناك رأينا بطرس شاعراً بخطاياهم ، وفاراً من وجه مولاه قائلاً : « اخرج من سفيني يا رب » . وهنا نراه شاعراً ايضاً بخطيته ، وفاراً الى وجه السيد . فشعور المرء بخطيته يبعده عن الله في بادىء الامر ، لان الله نور لا يدنو منه ظلام . ونفس هذا الشعور يدفع الانسان ايضاً الى الالتجاء الى الله ، مستنجداً به ومستغنياً . لان الله ليس قاضينا فقط ، بل هو ايضاً ولينا ٨٥٤ . (٦) موقف التلاميذ الآخرين تجاه هذا الضيف الكريم :

بعيدين عن الارض الانحو مثتي ذراع وهم يجرون شبكة السمك .
 ٩ فلما خرجوا الى الارض نظروا جراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً
 عليه وخبزاً . ١٠ قال لهم يسوع قدموا من السمك

« اما التلاميذ الآخرون ، فجاءوا بالسفينة ، لانهم لم يكونوا بعيدين عن الارض
 الانحو مثتي ذراع » — المثلثا ذراع هذه ، تساوي نحو خمسة وتسعين متراً
 عدد ٩ . (٧) الضيف المضيف : « فلما خرجوا الى الارض نظروا جراً
 موضوعاً وسمكاً عليه وخبزاً » . ما اكرم هذا المضيف الذي اتى الى تلاميذه
 على الشاطئ ، ضيفاً سائلاً اياهم عما عندهم من ادام ، كما لو كان هو محتاجاً
 الى ادامهم ، مع انه سبق فأعد لهم على الشاطئ إداماً وخبزاً من لدنه . لم يقل
 لنا الكتاب ، من اين اتى المسيح بهذا السمك وهذا الخبز . ويكفي ان تذكر
 انه هو رب البحر والبر ، وان كل ما فيهما ، في قبضة يديه . وفي اعتقادنا
 ان ما اعده المسيح على الشاطئ لتلاميذه ، ليس سوى رمز لما اعده لجميع خدامه ،
 ليتمتعوا به ، متى فرغوا من اعمالهم في بحر الحياة ، ووصلوا الى شاطئ الابد
 عدد ١٠ . (٨) المضيف الكريم يطلب اليهم انه يقدموا من السمك
 الذي امسكوه . « قال لهم يسوع قدموا من السمك الذي امسكنم الآن » .
 يحدثنا هذا العدد عن ثمرة امور : اولها — علم المسيح بكل شيء . لانه
 واضح ان التلاميذ لم يكونوا قد جذبوا بعد شبكتهم من البحر (عدد ١١) .
 فأمره لهم بان يقدموا من السمك الذي امسكوه ، دليل على انه يحيط علماً بكل
 شيء . وثانيها — ان المسيح بطليه الى تلاميذه ان يقدموا له ما سبق تقديمه لهم ،

الذي أمسككم الآن . ١١ فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة الى الارض ممتلئة سمكاً

ارادهم ان يعترفوا بعطاياه لهم ، وان يدركوا ان هذه العطايا ليست للحفاظ ، بل للاستعمال . وتأثيرها — ان في مطالبة المسيح تلاميذه ، بان يقدموا من السمك الذي امسكوه ، رمزاً الى انه سيطعم المؤمنين الامناء من تعب ايديهم متى بلغوا شاطئاً الابد . فمع ان الحياة الابدية تُعطى للانسان هبة مجانية ، الا ان جانباً غير يسير من مسراتها ، يعود على الانسان نتيجة امانته فيما سلم اليه من وزنات

عدد ١١ . (٩) العدد الظاهر : « فصعد سمعان بطرس » — هذه مرة

أخرى نرى فيها بطرس اسبق زملائه الى العمل — « وجذب الشبكة الى الارض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين ومع هذه الكثرة ، لم تتخرق الشبكة » . اهتم المفسرون — من متقدمين ومتأخرين — بعدد الاسماك التي اصطادها الرسل ، وعلقوا عليه تعليقات شتى : فكيرلس الاسكندري ، حسب العدد ١٥٣ مؤلفاً من ١٠٠ + ٥٠ + ٣ . فالعدد ١٠٠ يرمز الى ملء الامم ، والعدد ٥٠ يرمز الى البقية المختارة من اسرائيل ، والعدد ٣ الى الثالوث الاقدس . وقال اغسطينوس : ان العدد ١٠ يرمز الى الناموس ، ولكن بما ان الناموس يقتل ، لذلك اضاف رقم ٧ الى العدد ١٠ الذي يمثل حسب رأيه ملء هبات الروح ، ثم جمع الاعداد من ١ الى ١٧ فصار المجموع ١٥٣ . من اجل ذلك ارتأى ان هذا العدد الاخير ، يرمز الى كل الداخلين تحت لواء المسيح الذي التقت فيه النعمة بالناموس . وقال كستلين ان ١٥٣ هو عدد

كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين. ومع هذه الكثرة لم تتحرق الشبكة .

انواع الاسماك التي كانت معروفة وقتئذ ، دلالة على ان المختارين سيكونون من كل قبيلة ، وشعب ، وامة . وقال هنجستنبرج : ان عدد الاسماك يرمز الى ال ٦٠٠ و ١٥٣ دخیلاً ، الذين كانوا قد دخلوا حظيرة اسرائيل حتى عهد سليمان (٢ اي ١٧:٢) . ومهما يكن من امر هذه التأويلات ، التي لا تخلو من طرافة ممتزجة بغرابة ، فاننا نعتقد ان الاستفادة من هذا العدد هو : (ا) ان السمك الذي اصطاده الرسل كان كثيراً جداً . (ب) ان هذا السمك بلغ كثرة الى حد ان الرسل اهتموا باحصاء عدده فوجدوه ١٥٣ . (ج) ان كل السمك الذي اصطاده الرسل ، وصل الى الشاطئ ، من غير ان يسقط منه شيء ، بدليل قوله ان « الشبكة لم تتحرق » ، دلالة على ان كل المختارين سيصلون الى موطن السلام من غير ان يفقد منهم احد

وقد اهتم بلومر احد المفسرين العصريين ، بوضع مقابلة بين الاسماك التي اصطادها التلاميذ في هذه المرة ، وبين تلك التي اصطادوها عند بدء خدمتهم (لو ٥: ٦) ، فقال ان تلك الاسماك ترمز الى الكنيسة المجاهدة ، وهذه ترمز الى الكنيسة الظاهرة . تلك ضمت عدداً كبيراً من اسماك مختلفة — بعضها حسن وبعضها ردي ، مما دعى الى تمزيق الشبكة — شأن الكنيسة المجاهدة التي مزقتها الانقسامات والاهواء . واما هذه ، فانها ترمز الى الكنيسة المنتصرة ، التي لا تجمع الا المختارين وحدهم ، الذين لا يهلك منهم احد

١٢ قال لهم يسوع هلموا تغدوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ ان يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون انه الرب . ١٣ ثم جاء يسوع وأخذ الخبز واعطاهم وكذلك السمك

(ج) الشبع الذي ناله التلاميذ من المسيح المقام (١٢: ٢١ - ١٤)

عدد ١٢ . (١) المضيف الكريم يدعو ضيوفه الى طعام الافطار الذي اعد لهم : « قال لهم يسوع هلموا تغدوا » . في بدء تعرفهم به ، قال لهم : « هلموا ورأي » ! والآن قبيل اقتراقه عنهم ، قال لهم « تعالوا تغدوا » ! تلك دعوة للتلمذة ، وهذه دعوة ملء الشركة والشبع . ولقد لبى التلاميذ هذه الدعوة الاخيرة ، مثلما لبوا دعوته الاولى . لكن التهييب ، والفرح ، والاقتناع ، قد ملكت عليهم مشاعرهم في هذه المرة . « فلم يجسر أحد منهم ان يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون انه الرب » — على رغم التغير الذي لاحظوه على هيئته بعد القيامة . هذا دليل آخر ، على ان كاتب هذه البشارة شاهد عيان . لانه لم يكتب بان ينقل اليها اقوال التلاميذ ، بل صور لنا ايضاً مشاعرهم ، بدقة فائقة

عدد ١٣ . (٢) المضيف الكريم يطعم ضيوفه مما اعد لهم : « ثم جاء يسوع » — لما رآهم محجبين عن الدنو منه ، بسبب خوفهم وتحييهم ، تقدم هو اليهم — « واخذ الخبز واعطاهم » . وردت كلمتا : « خبز » و « سمك » بالمفرد ، دليلاً على انهما هما الخبز والسمك الاذان كان قد اعدّها المسيح على الشاطئ ، قبل ان يجذب التلاميذ شبكتهم من البحر . فما اكرم هذا المضيف الذي لا يقدم لضيوفه الا مما اعدّه شخصياً من عنده !!

١٤ هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الاموات

١٥ فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس

عدد ١٤ . (٣) كلمة تاريخية تفسيرية : « هذه مرة ثالثة ظهر يسوع

لتلاميذه بعدما قام من الاموات » . اما المرة الاولى التي سجلها يوحنا ، فقد

مررنا بها في ٢٣:٢٠ ، والثانية في ٢٦:٢٠ - ٢٩

ثانياً : المسيح واثنا عشر تلميذه (١٥:٢١ - ٢٣) . هذا الفصل

فيه مشهده : (١) المشهد الاول : المسيح وبطرس (١٥:٢١ - ١٩) .

(ب) المشهد الثاني : المسيح ويوحنا (٢٠:٢١ - ٢٣)

(١) المشهد الاول : المسيح وبطرس (١٥:٢١ - ١٩) . في هذا المشهد

أكد المسيح لبطرس غفرانه التام ، وثبته في وظيفة الرسولية ، وسلمه مقاليدها

من جديد ، في حديث يتألف من خمسة اعداد . الثموية الاولى منها

(عدد ١٥ - ١٧) ، تتضمن سؤالاً مثلثاً ، وجواباً مثلثاً ، ومرمرة مثلثة . وفي

العدد الباقيين (عدد ١٨ و ١٩) ، انبأ بطرس بما سيصيبه في مستقبل الايام

السؤال المثلث ، والجواب المثلث ، والممرمة المثلثة : (١٥:٢١ - ١٧) .

من الملاحظ ان كل عدد من هذه الثموية الاعداد ، يتضمن سؤالاً في غرته ،

وجواباً في وسطه ، ومرمرة في خاتمته

نقطة تاريخية : « فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان . . . » . على شاطئ

بحر طبرية تسلم بطرس مهام وظيفته لأول مرة ، وهو يصطاد سمكاً (لو ٥ :

١٠) ، وعلى شاطئ هذه البحيرة عينها ، استرد بطرس مقاليد وظيفته وهو

«أتجنبي؟» - ثموت مرّات انكر بطرس سيده، وثموت مرات ايضاً وجه المسيح هذا السؤال الى بطرس، ليفوز منه باقرار ايجابي منك ينفى به نكرانه المثلث. فقول بطرس: «انت تعرف» نسخ قوله للجارية «يا امرأة لست اعلم» كنا نتظر ان يسأل المسيح بطرس عن حزنه العميق على خطيئته

١٦ قال له أيضاً ثانية يا سمعان بن يونا اتحبنى . قال له نعم يا رب انت

السابقة، او عن عزمه الاكيد على ان لا يعود الى مثلها مرة اخرى، او عن كبار الاعمال التي ينوي ان يقوم بها في مستقبل الايام ، او عن ايمانه وما سيجود به من ثمار طيبة ، لكن المسيح لم يسأل بطرس لا عن هذا ، ولا عن ذاك ، وانما سألته عن شيء واحد — المحبة . ولا عجب، فالمحبة هي رباط الكمال . او كما قال اغسطينوس «أحب من كل القلب ثم افعل ما بدا لك» . في هذا يمتاز بطرس عن يهوذا — ليس لان خطيته اصغر من خطية ذاك ، بل لان ولائه لمولاه ، اجلّ واكبر . فالحب كان مائلاً قلب بطرس . والسمّ ، قلب يهوذا ومن الملاحظ ان كلمة: «محبة» التي استعملها المسيح في سؤاليه — الاول والثاني — لبطرس (عدد ١٥ و ١٦)، هي غير كلمة: «محبة» التي استعملها بطرس في جوابيه الاول والثاني . فالمسيح استعمل فيها كلمة «اجابان» وهي تعني المحبة في اجل مظاهرها واقوى مشاعرها واسمى درجاتها . مع ان الكلمة التي استعملها بطرس في اجوبته الثموية هي «فيلين» وهي نفس الكلمة التي استعملها المسيح في سؤاله الثالث (عدد ١٧) ، وهي تعني المحبة في مظاهرها الاعتيادية الطبيعية ، وهي اقرب الكلمات الى المودة . هذا دليل آخر على ان البشير كان شاهداً عياناً، وانه اهتم بأن يصور لنا هذا الموقف الاخير، بين المسيح و بطرس، بغاية الدقة ، فحرص على ان يحفظ لكل كلمة قوتها ودلالاتها . هذا وان في استبدال المسيح في سؤاله الثالث ، كلمة «اجابان» الممتازة ، بكلمة «فيلين» المتواضعة ، تعليلاً آخر لحزن بطرس ، الذي استولى عليه ، عند سماعه هذا

تعلم أني احبك . قال له ارفع غنمي . ١٧ . قال له ثلاثة يا سمعان بن يونا

السؤال الثالث من سيده . فمع انه من المسلم به ، ان تكرار المسيح لسؤاله لبطرس ، تموت مرات ، كان سبباً رئيسياً في احزان قلب بطرس — لان السؤال الذي أعيد عليه مموتاً ذكره بخطيته التي ارتكبها مموتاً ، الا ان بطرس حزن ايضاً لانه كلمة ، « فيلين » التي ذكرها المسيح في سؤاله الثالث ، اشعرته بان المسيح لم يحسبه اهلاً لتلك المحبة الرفيعة الممتازة ، الذي سأله عنها في المرتين الاولى والثانية

وجدير بالملاحظة ان المسيح ذكر في سؤاله الاول لبطرس ، عبارة اغفلها عمداً في سؤاليه الثاني والثالث ، وهي قوله : « اكثر من هؤلاء » (عدد ١٥) . فقد اتخذ المسيح هذه العبارة ، اداةً لتذكير بطرس بعهوده التي قطعها على نفسه ، متفاخراً بها على زملائه : « اني اضع نفسي عنك » « ان شك فيك الجميع فانا لا اشك » (يو ١٣: ٣٧ ومتى ٢٦: ٣٣) . اما وقد رأى المسيح من جواب بطرس المثلث ، انه اقلع عن عادة التفاخر على اترابه ، فلم يجد داعياً لتكرار هذه العبارة . لانه لا يلقي علينا درساً مرتين متى فهمناه لأول مرة

الجواب المثلث : « ... نعم يارب انت تعلم اني احبك » (عدد ١٥) « ... نعم يارب انت تعلم اني احبك » (عدد ١٦) . « ... انت تعلم كل شيء انت تعرف اني احبك » (عدد ١٧) — هذه كلها اجوبة مفعمة بروح التواضع ، ومشبعة بالشعور بالضعف . فقد زال منها كل أثر للزهو والخيلاء ، بل قد انعدم منها كل أثر للاعتداد بالذات . لان في استشهاد بطرس بعلم المسيح ، ومعرفته — مع

أُتَحَبِّبِي . فحزن بطرس لانه قال له ثالثة أُتَحَبِّبِي فقال له يا رب انت

علم ذكره شيئاً عن تفضيله نفسه على الآخرين — لا كبر دليل على ان بطرس قد كل ثقة بنفسه، وانه وضع ثقته التامة في المسيح. لان النبوة في كلامه واقعة على كلمة « انت » . في هذا ايضاً دليل ، على ان بطرس كان مخلصاً في حبه لمولاه، والا لما تجاسر ان يستشهد بعلم المسيح، وهو موقن ان سيده عليم بذات الصدور. كذلك ايضاً لم يذكر بطرس في جوابه كلمة واحدة عن المستقبل ، بل اكتفى بالكلام عن الحاضر . الآن فقط ادرك ان المستقبل بين يدي الله ، وان ليس له ، الا اللحظة التي هو فيها

ولقد استعمل بطرس في جوابه المثلث ، كلمتين مختلفتين بمعنى « عرف » فالكلمة الاولى « أويدياس » — وقد اوردها في جوابيه الاول والثاني (عدد ١٥ و ١٦) ، تعني علم المسيح الالهي الخارق الطبيعة . والكلمة الثانية « جينوسكياس » — وهذه استعملها في جوابه الثالث (عدد ١٧) — تعني علم المسيح الاختباري نتيجة الفحص الذاتي . الكلمة الاولى تُرجمت الى العربية « تعلم » ، والكلمة الثانية ترجمت « تعرف »

المرّة الثالثة : « ... ارفع خرافي » (عدد ١٥) « ... ارفع غنمي » (عدد ١٦) « ... ارفع غنمي » (عدد ١٧)

ما اعجب حب قادينا ، وما اوسع رحمته الغافرة . فهو لم يكتف بان يغفر لبطرس خطاياه ، بل شرّفه بوكالة سامية ، واثمنه على قطيعه المختار . فقبر المسيح يذكر الخطايا ولا يغفر ، وان غفر ذكر ، وان غفر ونسي تعذر عليه ان

تعلم كل شيء. أنت تعرف اني احبك . قال له يسوع ارع غنمي

يأتين من سبق ان ائتمنه فخان . لكن المسيح يغفر ، ولا يذكر ، ويأتمنى
«ارع خرافي» .. «ارع غنمي» .. «ارع غنمي» — الآن انتقل بطرس
من عمل الصياد ، الى خدمة الراعي . لان النفوس بعد ان تُنقذ من مخاطر
العالم ، تحتاج الى طعام وغذاء . هذا امتياز الخراف على السمك . فالسمك
يصطادونه ليأكلوه ، والخراف ينقذونها ليطعموها . فالصيد عمل البشر ،
والرعاية عمل الراعي

الكلمة المترجمة «ارع» في عددي ١٥ و ١٧ ، تعني تغذية الخراف بالطعام
والكلمة المترجمة «ارع» في عدد ١٦ ، تعني الرعاية المستمرة — بما فيها
الحرص والعناية والسياسة (لوقا ١٧: ٧ و ١٨ كورنثوس ٩: ٧) . وكذلك الكلمة التي
ترجمت الى «خرافي» في عدد ١٥ ، هي غير الكلمة التي ترجمت الى «غنمي»
في عددي ١٦ و ١٧ . فالاولى تعني «المحمومة» الصغيرة التي تلازم الحظيرة —
هذه تلزمها التغذية بالطعام داخل الحظيرة . لكن الثانية المستعملة في عددي
١٦ و ١٧ ، تعني «الخراف الكبيرة» ، التي تسرح طوال اليوم بين المراعي
والحقول — هذه تلزمها الرعاية والحفظ والسياسة

فمن هذا نرى ان السؤال الثالث ، يتضمن كلمتين مختلفتين عن المحبة .
والجواب الثالث يتضمن كلمتين مختلفتين عن المعرفة . وفي المزمرة الثالثة نجد
كلمتين مختلفتين عن الرعاية ، واضريين متميزتين للخراف

١٨ الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء . ولكن متى شخنت فانك تمد يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء . ١٩ قال هذا مشيراً الى أية مية

المسيح بنبي بطرس عن مستقبله — اتباعه مني الصليب (١٩ و ١٨:٢١)
«الحق الحق» — انظر شرح ٥٥:١ — «اقول لك لما كنت أكثر حداثة» — مما انت عليه الآن — «كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء ولكن متى شخنت . . .» . ان في هذا الكلام مقابلة بين بطرس في شبابه ، و بطرس في شيخوخته . فبطرس في شبابه كان ينعم بالحرية — يسرح ويمرح في الحياة اني شاء ، لكنه في شيخوخته سيحمل الى حيث لا يشاء . و «مد يديه» يشير الى تسميرهما في الصليب الذي كان مزماً ان يُرفع عليه . اما ذلك «الآخر» الذي سيمنطقه ، فهو الجلاد الذي سيسمر جسد بطرس في الصليب ، ثم يحمله هو وصلبيه ، مثبتاً اياهما في مكان مرتفع كالمعتاد (انظر صفحة ٧٧٣) . ولا يستنتج بالضرورة من قول المسيح لبطرس : «حيث لا تشاء» ، ان بطرس سيكون هارباً من الموت — مع ان هذا قد يكون في حيز الاحتمال^(١) — وانما استفاد منه : ان الطبيعة البشرية تنفر بطبيعتها من الموت ، مثلما ينفر الطفل من مواجهة الظلام

«ولما قال هذا قال له اتبعني» — في مناسبة سابقة قال المسيح لبطرس : «حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني» (٣٧:١٧) . اما الآن ، فقد حان

كان زمعاً ان يمجّد الله بها . ولما قال هذا قال له اتبعني . ٢٠ قالت بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه وهو ايضاً الذي اتكأ على صدره وقت العشاء وقال يا سيد من هو الذي يسلمك

الوقت الذي فيه قال له المسيح ، « اتبعني » مشيراً بذلك الى الصليب ، الذي كان معداً ليُرفع عليه بطرس في مستقبل الايام ، مثلما رُفِعَ مولاه من قبل في بدء تعرف بطرس بالمسيح ، سمع منه مثل هذه الكلمة (١: ٤٣ ، متى ٨: ٢٢ ، ٩: ٩) . والآن ، عند توديع سيده اياه ، سمع منه هذا النداء . قبلاً ناداه سيده ليتبعه في حياة المزمرة ، والآن دعاه ليتبعه الى موت الصليب

ب - المشرع الثاني - المسيح ويومنا - هل من نصيب يوحنا انه « يبقى »
منتظراً (٢١: ٢٠ - ٢٣)

سمع بطرس من المسيح كلمة : « اتبعني » - ولعله لمح معها اشارة من مولاه ، فتبعه للوقت . وما هي الا لحيلة حتى حانت منه التفاتة الى الوراء ، تجاه التلاميذ الذين كانوا جالسين حول الموقد ، فرأى يوحنا ايضاً آتياً . فثارت في نفسه غريزة حب الاستطلاع ، وقصد ان يستفهم عن النصيب المذخر لزميله يوحنا ، ولكن بلهجة فيها شيء غير يسير من الاستقصاء الفضولي . وقد لا تخلو من شيء من الحسد . فكان جواب المسيح له : انه ليس عن حكمة يسأل عن هذا . فاذا ما رغب هو في ان يجعل نصيب يوحنا « البقاء » على قيد الحياة حتى يحيى ثانية ، وان يجعل نصيب بطرس الموت العاجل ، فهو حر ، يرتب لكل انسان مصيره وعمله حسبما يشاء . فما على بطرس الا ان يتنبه الى

٢١ فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع يا رب وهذا ما له . ٢٢ قال له يسوع إن كنت اشاء انه يبقى حتى أجىء فماذا لك . اتبعني انت

للسئوليات التي عليه ، وان يقلع عن البقية الباقية من الانسان العتيق الذي في نفسه ، الذي كان يدفعه بين حين وآخر الى ان ينشغل بالآخرين عن نفسه . ولا يستفاد من هذا ، ان السيد يمنعنا عن ان نطمئن على مستقبل من نحب ، بل انه ينصح لنا ان لا نكون فضولين ، وان نرضى بما يرضاه هو لنا . لانه « لا يقدر انسان ان يأخذ شيئاً ، ان لم يكن قد أُعطي من السماء » (٢٧:٣) تقول الامثال: ان الله فرق العقول في الظلام ، فكل انسان يفضل عقله على كل عقل سواه . لكنه فرق الانصبة في النور ، فالانسان معرض لأن لا يرضى بتصيبه ، مفضلاً عليه نصيب سواه .

على ان المسيح الذي عين نصيب كل من بطرس ويوحنا ، قد راعى الاستعداد الطبيعي الذي لكل منهما . فبطرس ذو الطبيعة الحماسية الثائرة للندفة ، قد عين له ان يخلم مجاهداً حتى يُرفع على صليب عاجل . ويوحنا ذو الطبيعة الهادئة الساكنة ، الذي يلذ له الانتظار بصبر وسكون ، قد قال عنه المسيح « ان كنت اشاء انه يبقى حتى أجىء فماذا لك »؟ ان كلمة « يبقى » من مميزات اسلوب يوحنا ، وقد وردت كثيراً في الانجيل الخامس عشر ، بمعنى « يثبت » . فلا فضل لبطرس في جهاده الذي يُتوج بالصبر ، على يوحنا الذي « يبقى » بهلوه وسكون . لان الجندي الذي يلازم المرقب ، خليق بمكافأة نظير الجندي الذي ينخرّ صريعاً في حومة الوغى . فكلهما أمين لوطنه

٢٣ فذاع هذا القول بين الاخوة إن ذلك التلميذ لا يموت . ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت . بل ان كنت اشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك . ٢٤ هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا

قد اساء بعضهم فهم هذه الكلمة التي فاه بها المسيح عن يوحنا، فظنوا ان المخلص وعد يوحنا بالبقاء حتى يجيء ثانية. من اجل ذلك كان كثيرون منهم ينتظرون ان يوحنا الحبيب سينال ما ناله « اخنوخ » و « ايليا » في العهد القديم . فلم يجد يوحنا بُدأً من تصحيح هذه الفكرة ، فعمد الى ترديد كلمات المسيح كما هي، من غير شرح ولا تعليق: «ولكن لم يقل له يسوع انه لا يموت. بل ان كنت اشاء انه يبقى حتى اجيء فماذا لك »

ولا يغرب عن بالنا، ان مجيء المسيح عملية تتم تدريجياً على فترات متتابة فقد يشار به الى مجيئه روحياً يوم الخمسين — للعزاء . أو الى مجيئه يوم خراب اورشليم — للقضاء . أو الى مجيئه عند منتهى حياة كل مؤمن — ليأخذه اليه . أو الى ذلك الحادث المجيد المبتغى — مجيئه نهائياً عند انقضاء الدهور — للملك والقضاء . والمعنى الاخير هو المقصود في هذه القرينة

الخاتمة النهائية: (٢١: ٢٤ و ٢٥) . « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا . . . » . أريد بهذه الخاتمة، تبين تموت حقائق — الاولى ان كاتب هذه البشارة، شاهد عيان : « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا » . والثانية : ان شهادته حق : « ونعلم ان شهادته حق » . فهي حق لانها تحمل في قلبها برهان صدقها ، وهي حق بحكم الاخلاق النبيلة المتصف بها كاتبها

ونعلم ان شهادته حق . ٢٥ واشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان
كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه

بشهادة الجميع . والثالثة: ان ما كتب عن المسيح لا يوازي الا قطرة أخذت
من بحر خضم . فلو كتبت كل اعمال المسيح وكلماته ، واحدة واحدة ،
فان « العالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة » - الاشارة هنا الى سعة العالم
الفكرية والمعنوية ، أكثر منها الى سعته المادية الجغرافية . لان بين ايدينا
اليوم ، كتباً لا تحصى عن حياة المسيح ، وعددها يربى على عدد اي كتب
ألفت في موضوع واحد . ومتى ذكرنا ان كل هذه الكتب مستقاة من قطرة
المعلومات التي وصلت الينا من البشيرين ، فما أكثر الكتب التي كان يمكن
ان تكتب عن حياة المسيح ، لو أُتيح للكتاب ان يرتشفوا من بحر المعلومات
الزاخرة الفيضة . ولكننا نحمد الله لان ما كتب فيه الكفاية لقوم يعقلون
هذه خاتمة هذه البشارة الخالدة التي فيها رأينا « كلمة الله » الازلي ، وقد
تجسد ، « وحل » بيننا فرأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً .
هذا هو « حمل الله » الذي رفع خطية العالم ، وهو هيكلنا الازلي ، الذي لم يكن
هيكل سليمان سوى رمز له . هو ترياقتنا الشافي من كل لدغات الخطية
ولسعاتها . هو ماء الحياة المروي ، وخبز الحياة المشبع ، ونور العالم الساطع .
هو راعي الخراف المضحي بالنفس والنفيس ، وهو الاتيامة والحياة ، للراقيدين
في قبور الخطية - من احياء واموات . هو غالب رئيس هذا العالم ، وهو خير
جاذب القلوب المتباعدة . هو الطريق ، والحق ، والحياة . هو الكرمة

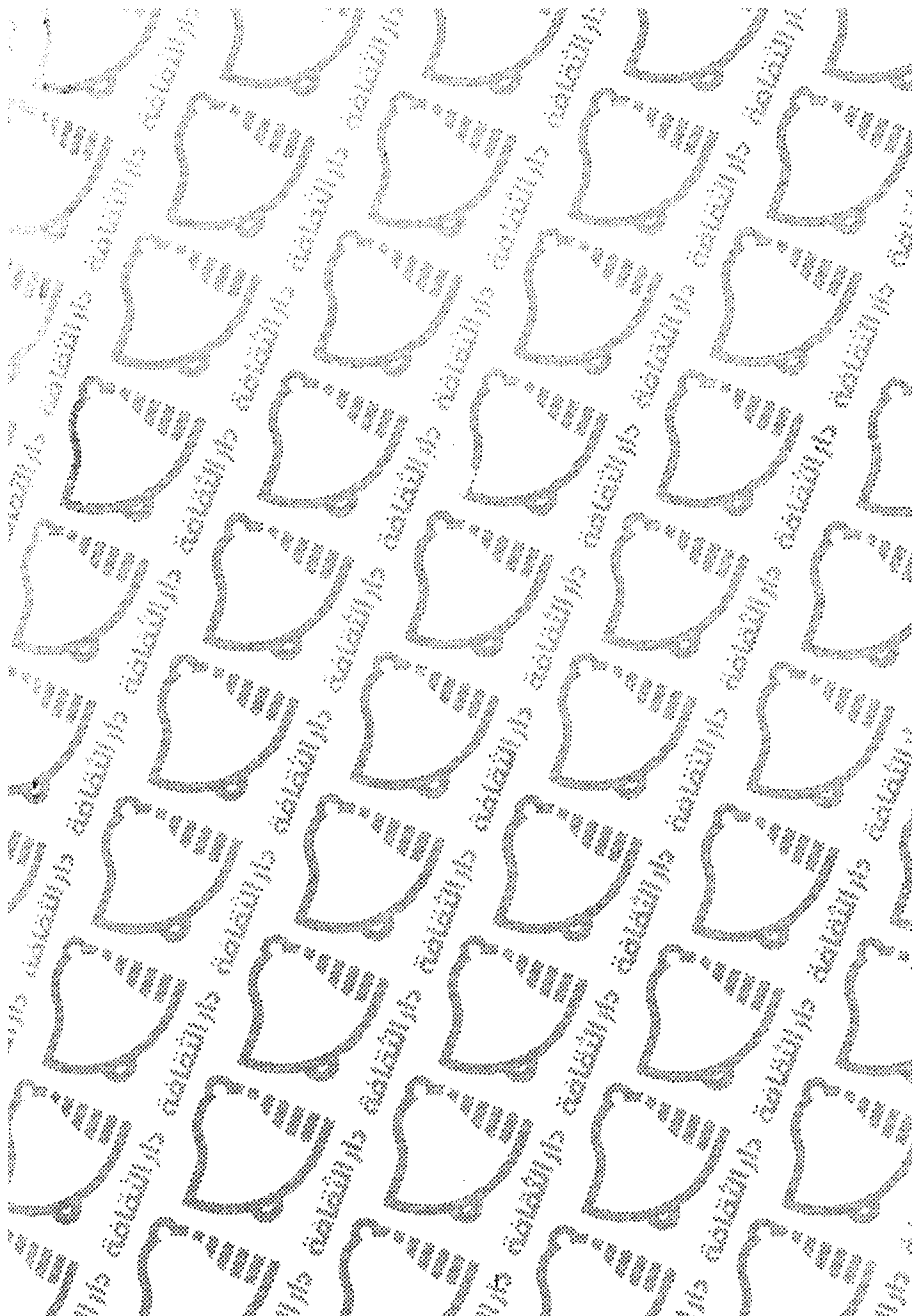
يسع الكتب المكتوبة . آمين .

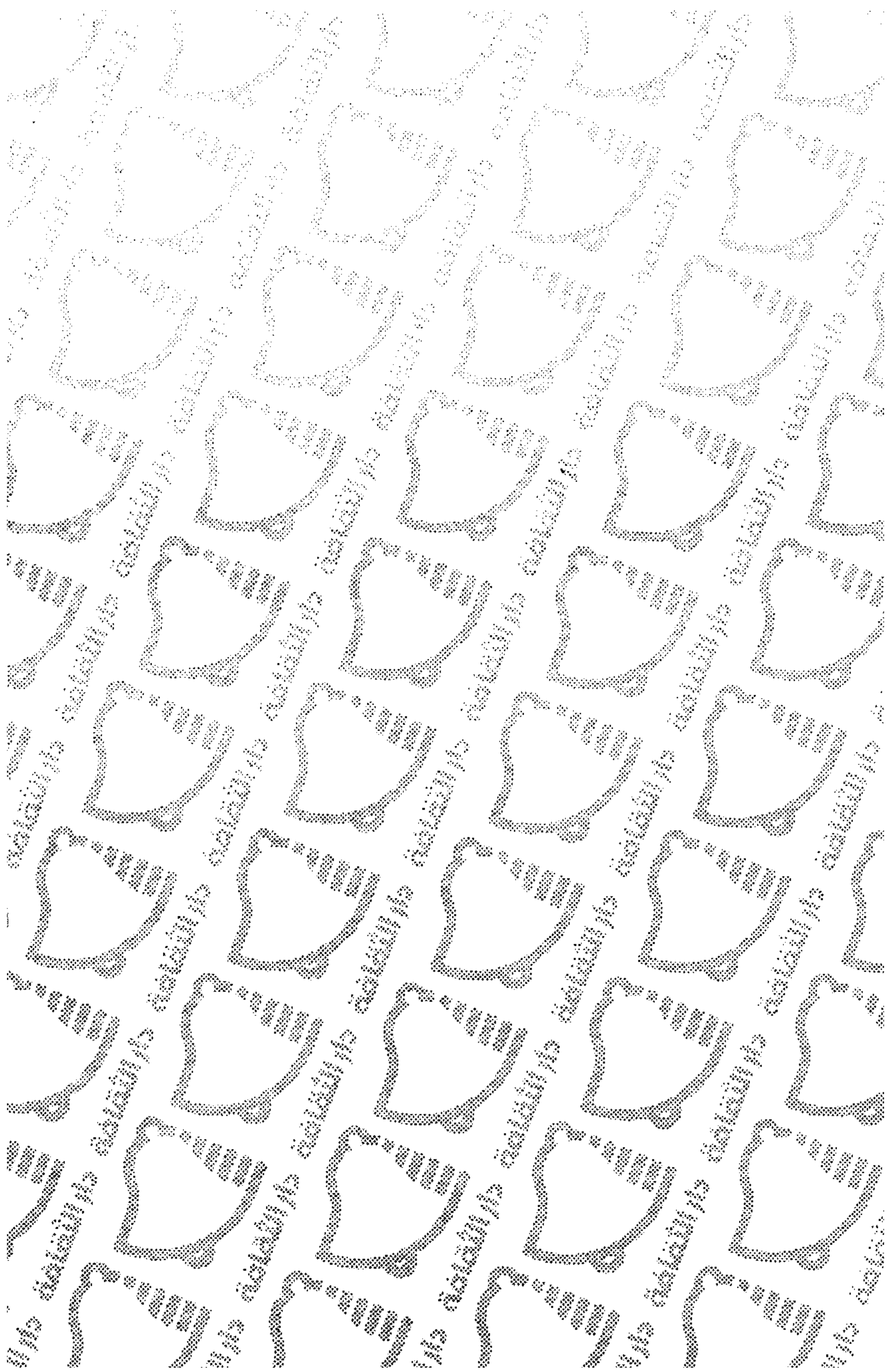
الحقيقية التي صارت عصارتها للبشرية خير عزاء ، وبهجة ، وشفاء . هو الذي
 اذ رُفِعَ على صليب العار ، جعل من الصليب عرشاً ، وخلق من عاره فخاراً ،
 وصير كسرتة غلبة وانتصاراً ، فاضحى وهو على الصليب متوجاً بتيجان كثيرة
 فجاءت مملكة العلم ، ومملكة الرحمة ، ومملكة الحق ، ومملكة المحبة ،
 ومملكة القوة ، فطرح تيجانها عند قدميه ساجدة صاغرة .
 هو الذي قَبِرَ الموت في قبره قمام ظافراً بتاج الخلود ،
 وصعد مرتفعاً الى عرش السماء . وسيأتي
 ثانية ليملك بمجده
 آمين . قَامين

يرى المؤلف لزماً عليه ان يذكر اسماء الكتب التي استعان بها في
تفسيره، إقراراً منه بفضل مؤلفيها : —

Commentary on the Gospel of John	—	<i>F. Godet.</i>
The Speaker's Commentary ; St. John	—	<i>B. F. Westcott.</i>
The Pulpit Commentary, St. John	—	<i>H. R. Reynolds.</i>
Expository Thoughts on the Gospels	—	<i>J. C. Ryle.</i>
The Greek Testament	—	<i>Henry Alford.</i>
The Gospel According to John ...	—	<i>J. P. Lange.</i>
Gnomon of the New Testament ...	—	<i>J. A. Bengel.</i>
The Gospel of St. John	—	<i>F. D. Maurice.</i>
Exposition of Holy Scriptures ...	—	<i>A. Maclaren.</i>
The Cambridge Bible—St. John ...	—	<i>A. Plummer.</i>
The Analysed Bible — „ ...	—	<i>Campbell Morgan.</i>
The Bible Commentary... ..	—	<i>C. J. Ellicott.</i>
Matthew Henry's Commentary ...	—	<i>Matthew Henry.</i>
Critical and Experimental Commentary	—	<i>D. Brown.</i>
The Expositor's Bible ; St. John ...	—	<i>Marcus Dodds.</i>
The Fourth Gospel	—	<i>R. H. Strachan.</i>
Studies in John's Gospel	—	<i>W. W. White.</i>

الكنز الجليل للدكتور ادي وجماعة من اللاهوتيين في سوريا
سيرة يسوع المسيح للدكتور فورد
شرح انجيل يوحنا لبنكرتن
اتفاق البشيرين للدكتور سيمان كلهون







Bibliotheca Alexandrina



0245091